



مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

Hadhramaut Centre for Historical Studies
Documentation and Publication.

حَضْرَمَوْتُ الثَّقَافِيَّةِ

Hadhramaut AL-Thaqafiah Magazine - June - 2019 هـ ١٤٤٠ شوال

مجلة فصلية - السنة الثالثة العدد (12)

مركز حضرموت للدراسات التاريخية يستقبل المهندس عبدالله بقشان



شعر الاجترار في حضرموت

ملف العدد

أدب المرأة
في حضرموت



عبدالرحمن بن عقيل:
عاشق الكتاب والكاميرا



مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

إدارة الدراسات والبحوث

جائزة أفضل بحث تاريخي

لعام 2019م

موضوع الجائزة

الكيانات الحاكمة في المدن الحضرية في العصر الوسيط

شهدت حضرموت في المدة من بداية القرن الخامس الهجري وحتى قيام السلطنة الكثيرة الأولى ظهور عدد من الكيانات الحاكمة في عدد من المدن والمناطق الحضرية، اختلفت من حيث أهميتها ومدى اتساع نفوذها وتعدد الأسر الحاكمة فيها، وقد دخلت هذه الكيانات في علاقات متنوعة مع جوارها القبلي والجغرافي وترك البعض منها بصمات في مجرى التاريخ الحضري .

الشروط العامة للتقدم للجائزة:

- أن تمتاز الأبحاث بالجدة والأصالة وسلامة المنهج.
- أن لا يكون البحث المقدم قد سبق نشره.
- ألا تقل عدد صفحات البحث عن (50) صفحة.
- أن يكتب البحث بلغة عربية سليمة وصحيحة طباعياً ولغوياً.
- حجم الخط (16) الهامش (14)، نوع الخط (Simplified Arabic).
- يجب على الباحث إرسال نسخة من بحثه بصيغة ملف (Word) وملف (PDF) عبر البريد الإلكتروني: hadcenter1@gmail.com
- يقدم المشارك سيرة ذاتية مختصرة يذكر فيها عنوانه الحالي ورقم هاتفه للتواصل.
- البحوث الفائزة تصبح ملكيتها الفكرية للمركز، ويحق له طباعتها ونشرها وتوزيعها وبيعها.
- آخر موعد لاستلام الأبحاث 15 سبتمبر 2019م.
- موعد إعلان الفائزين بالجوائز 20 ديسمبر 2019م (في حفل خاص).

الجوائز:

تُمنح الجائزة سنوياً باسم مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر وهي جائزة تشجيعية ومالية موزعة على النحو الآتي:

- الأولى: درع الجائزة + (400 ألف ريال يمني).
- الثانية: درع الجائزة + (300 ألف ريال يمني).
- الثالثة: شهادة الجائزة + (200 ألف ريال يمني).

للاستفسار زيارة موقعنا:

f Hadramout.center
t Hadramout.center
e hadcenter1@gmail.com
www.hadramout.center



مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

إدارة الإعلام والثقافة - قسم التوثيق التلفزيوني

جائزة أفضل فيلم تسجيلي

لعام 2019م

موضوع الجائزة

(السقايات في حضرموت)



لما لهذه السقايات من دلالات حضارية رفيعة خصص مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر جائزته السنوية لإبراز القيمة المعمارية والدينية للسقايات في حضرموت المرتبطة بالثقافة الإسلامية بأبعادها الإنسانية والاجتماعية العميقة.

المستهدفون بالجائزة :

المختصون والمهتمون والهواة في مجال العمل السينمائي والتلفزيوني (فرقاً وأفراداً).

المعايير الفنية للأفلام التسجيلية المشاركة:

- وضوح فكرة العمل وتميز المعالجة الفنية.
- جودة السيناريو وتماسكه فنياً وتاريخياً.
- دقة التصوير والإضاءة والمونتاج.
- نقاء الصوت (تسجيلاً وتعليقاً وحوارات).
- تنغم المؤثرات الصوتية مع المشاهد التصويرية.

لجنة التحكيم:

سيشرف على التحكيم لجنة فنية مكونة من ثلاثة أعضاء من أساتذة المعهد العالي للسينما بجمهورية مصر العربية، إضافة إلى لجنة علمية محلية مكونة من ثلاثة أكاديميين لتحكيم النص.

الشروط العامة للتقدم للجائزة:

- لا تقل مدة الفيلم عن 5 دقائق ولا تزيد على 15 دقيقة.
- ألا يكون العمل قد فاز في مسابقة محلية أو خارجية.
- لا يحق للمتقدم المشاركة إلا بعمل واحد فقط.
- يتم تحميل الفيلم بدقة عالية على الوسائل المتاحة كاليوتيوب وغيره على رابط مغلق للاطلاع الخاص فقط وإرساله عبر الإيميل التالي : hadcenter1@gmail.com
- الأفلام الفائزة بجوائز المسابقة تصبح ملكاً حصرياً للمركز.
- آخر موعد لاستلام الأعمال 15 سبتمبر 2019م.
- موعد إعلان الفائزين بالجوائز 25 ديسمبر 2019م (في حفل خاص).

الجوائز

تُمنح الجائزة سنوياً باسم مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر وهي جائزة تشجيعية ومالية موزعة على النحو الآتي:

- الأولى: درع الجائزة + (400 ألف ريال يمني).
- الثانية: درع الجائزة + (300 ألف ريال يمني).
- الثالثة: شهادة الجائزة + (200 ألف ريال يمني).

للاستفسار زيارة موقعنا:

- Hadramout.center
- Hadramout.center
- hadcenter1@gmail.com
- www.hadramout.center

على هامش ملف المرأة في هذا العدد

مازالت المرأة بحاجة إلى إحياء، فما زالت قراءتنا لها محدودة، وما زالت قراءتها لنفسها محدودة، وإن أخذت توجهات القراءة الثقافية - الحداثية تكشف بعضاً من خبايا المرأة الذهنية والنفسية المطمورة فيها وفينا، وليس الغاية من هذا في المحصلة البعيدة كشف الأنساق المخبوءة في المرأة، وإنما محاولة تأسيس إنسانة جديدة وإنسان جديد أيضاً.



د. عبد القادر علي باعيسى
رئيس التحرير

أمام هذا الوعد الجميل الذي نرتجيه فإن إشكالات التراث والواقع حول المرأة وحولنا كثيرة، وأبرز هذه الإشكالات أن مفاهيمنا في قراءة المرأة، والقراءة الثقافية بشكل عام مفاهيم جديدة، وبعضها مازال غير مترجم إلى العربية، ننقلها بلفظها الأجنبي إلى كتاباتنا وأبحاثنا، أي لا وجود لها في لغتنا، ومن ثم في



ثقافتنا وتفكيرنا، وذلك إشكال بحاجة إلى تفهم لتحديد وضعنا ووضع المرأة في قراءتنا لها ولأنفسنا عنصر الرجال، إلا إذا أردنا أن ننتج قراءات شكلية تقوم على الانفعال العاطفي الواضح بما فيها كتابتنا البحثية التي تتسم بقدر كبير من الجرأة والرغبة في التغيير السريع والحاسم للواقع، فالرغبة في الانفتاح على فكر الآخر وفهمه وتبنيه شيء، والرغبة في تحويله إلى أداة إجرائية عملية في واقعنا شيء آخر مختلف، ذلك لأن الانفعالية والتعميمية في النقل والتطبيق لن تنتج إلا نماذج مشوهة لصورة المرأة المرتجاة، فرهانات خطابنا المعاصر حول المرأة مازالت صعبة أمام نفسه، قبل أن تكون صعبة أمام تطبيقاته، حيث لا يمكن أن يحدث اندماج مطلق للآفاق المعرفية العالمية في النظر إلى المرأة في العالم العربي والنظر إلى إليها في العالم الغربي، وإن ادعينا النزعة الانسانية الشاملة، فنحن رغم إبتهاجنا بالحدثة نعاني من بؤس معرفي بها وتطبيقاتها فينا علينا أن نعترف به حتى نتصير على أنفسنا قبل أن نتصير على الأفكار التي نراها قدامية أو تخلفية.

محتويات العدد

حديث البداية

- 4 • على هامش ملف المرأة في هذا العدد رئيس التحرير

أصوات

- 15 • قبيلة قضاة محمد عبدالقادر بامطرف
- 22 • الدور التنويري لـ (جمعية الأخوة والمعاونة) د. محمد يسلم عبدالنور
- 27 • كنت هناك في مستوطنة ريبون وفي بعض المواقع اللوعنية العتيقة ا.د. محمد بن هاوي باوزير
- 30 • هل كان الشيخ سعد بن علي مدحج شاعراً؟ منير بن سالم بازهر

دراسات

- 32 • الحضارة في مدينة عدن ودورها الاقتصادي في العصر الإسلامي ا.د. طه حسين هديل
- 36 • لهجة حضرموت محمد عوض محروس

كتابات

- 40 • عبدالرحمن بن عقيل، كائن حضرموت مغلقة قبل بامغربة د. سعيد سالم الجبري
- 42 • نظرة قرآنية في وجه (ناهية) هاني عيود الفتني

لغويات

- 44 • أثر الإضافة والنعت في ضبط دلالة المصطلح اللغوي د. محمد علوي بن يحيى

لقد

- 46 • شعر الاجترار في حضرموت ا.د. عبدالله حسين البار
- 57 • ملامح فن السيرة النائية في كتاب: (سيرة البضائع وضريبة الضوائج) للحيب علي بن حسن العنص ا.د. مسعود عمشوش
- 74 • ملامح الدرامية في القصة اليمنية القصيرة د. طه حسين الحضرمي
- 78 • من السطح حتى الباطن: قراءة في تشكّل أنماط القناع في شعر عائشة الخطاب زهير برك الهويمل

شخصيات

- 89 • من قصة المكلا.. الشيخ القاضي محمد بن عبدالله باجفيد محسن علوي أبوبكر باعلوي
- 98 • سعيد عبدالله باجود الجوهي .. الشاعر الجميل الحكيم حسن أحمد باجود الجوهي

إبداع

- 100 • مسافات (قصيدة) د. أحمد سعيد عبيدون
- 101 • تداعيات .. وهواجس (قصيدة) سعيد محمد بن هاوي باوزير
- 102 • حكاية عشق مصرية (قصيدة) سالم عبدالله بن سلمان
- 103 • سرقة مرزوق (سردي) مسعود علي الفتني

ملف العدد: أدب المرأة في حضرموت

- 108 • إلى تلك الأيادي ... فتختلف سارة العجيلي
- 109 • أحبك .. أيها العملاق الأزرق حنان نجيب
- 110 • أدب يا رمضان هني عمر عوض العمازي
- 111 • هبة الشهيد مريم بن سمير
- 111 • تمرني دائماً وهبة خالد
- 112 • الاكتئاب رهب باحويرث
- 112 • أعجوبة كلمة عائشة علي
- 113 • فنجان وسيلة أحمد

توقيع قلم

- 114 • رزقي جالس ا.د. عبدالله سعيد الجعدي

حضر موت التفاوت

مجلة فصلية

السنة الثالثة العدد (12)

أبريل - يونيو 2019م

تصدر عن مركز حضرموت

للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

رئيس مجلس الإدارة

الأستاذ محمد سالم بن علي جابر

المشرف العام

أ.د. عبدالله سعيد بن جسر الجعدي

رئيس التحرير

د. عبدالقادر علي باعيسى

سكرتير التحرير

أنور سالم باكركر

السكرتير الفني

حسن أحمد باجعد

التدقيق اللغوي

د. جمال رمضان حديجان

الهيئة الاستشارية

- أ.د. عبدالله حسين البار
أ.د. عبدالله صالح بابعير
أ.د. ناجي جعفر الكشيري
أ.د. مسعود سعيد عمشوش
أ.د. خالد يسلم بلخشر
د. حسن صالح الفلام العمودي
د. طه حسين الحضرمي
د. أحمد سعيد عبيدون
د. صادق عمر مكنون

التنفيذ الطباعي

مطابع وحيد الحديثة للأوفست المكلا

- المواضيع المنشورة تعبر عن آراء أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

- ترتيب المواد جاء وفق شروط فنية إخراجية.

المجلة غير ملزمة بإعادة أي مادة تسلمها للنشر سواء نشرت أو لم تنشر ولا تتقدم بنشر المقالات المرسلة إليها بغير أيد.

مراسلات المجلة

hc.magazine16@gmail.com

Baesa-1@hotmail.com

موقعنا على الشبكة الإلكترونية

www.hadramout.center

العنوان: المكلا حي الفهد (مبنى بشارف سابقاً) ت ٥١١٦٩

محتويات العدد

حديث البداية

- على هامش ملف المرأة في هذا العدد رئيس التحرير 4

أصوات

- قبيلة قضاة محمد عبدالقادر بامطرف 15
- الدور التنويري لـ (جمعية الأخوة والمعونة) د. محمد يسلم عبدالنور 22
- كنت هناك.. في مستوطنة رببون وفي بعض المواقع الدوئية العتيقة أ.د. محمد بن هاوي باوزير 27
- هل كان الشيخ سعد بن علي مدحج شاعراً؟؟ منير بن سالم بازهير 30

دراسات

- الحضارم في مدينة عدن ودورهم الاقتصادي في العصر الإسلامي آ.د. طه حسين هديل 32
- لهجة حضرموت محمد عوض محروس 36

كتابات

- عبدالرحمن بن عقيل: كانت حضرموت مغلقة قبل بامخرمة د. سعيد سالم الجبري 40
- نظرة قرآنية في وجه (ناهية) هاني عبود الفتيني 42

لغويات

- أثر الإضافة والنعت في ضبط دلالة المصطلح اللغوي د. محمد علوي بن يحيى 44

نقد

- شعر الاجترار في حضرموت أ.د. عبدالله حسين البار 46
- ملامح فن السيرة الذاتية في كتاب: (سفينة البضائع وضميمة الضوائف) للحبيب علي بن حسن العطاس أ.د. مسعود عمشوش 57
- ملامح الدرامية في القصة اليمنية القصيرة د. طه حسين الحضرمي 74
- من السطح حتى الباطن.. قراءة في تشكّل أنماط القناع.. في شعر عائشة الخطّاب زهير برك الهويمل 78

شخصيات

- من قضاة المكلا.. الشيخ القاضي محمد بن عبدالله باجنيد محسن علوي أبوبكر باعلوي 89
- سعيد عبدالله باجوه الجوهي .. الشاعر الجميل الحكيم حسن أحمد باجوه الجوهي 98

إبداع

- مسافات (قصيدة) د. أحمد سعيد عبيدون 100
- تداعيات... وهواجس (قصيدة) سعيد محمد بن هاوي باوزير 101
- حكاية عشق مصرية (قصيدة) سالم عبدالله بن سلمان 102
- صرة مرزوق (سرد) مسعود علي الفتيني 103

ملف العدد: أدب المرأة في حضرموت

- إلى تلك الأيادي ... فلنختف سارة العجيلي 108
- أحبك .. أيها العملاق الأزرق حنان نجيب 109
- أه يا رمضان! منى عمر عوض العماري 110
- هوية الشهيد مريم بن سمير 111
- تمرني دائماً وهيبة خالد 111
- الاكتئاب رهن باحويرث 112
- أعجوبة كلمة عائشة علي 112
- فنجان وسيلة أحمد 113

توقيع قلم

- رزق جالس أ.د. عبدالله سعيد الجعدي 114

حضر موت الثقافي

مجلة فصلية

السنة الثالثة العدد (12)

أبريل - يونيو 2019م

تصدر عن مركز حضرموت

للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

رئيس مجلس الإدارة

الأستاذ محمد سالم بن علي جابر

المشرف العام

أ.د. عبدالله سعيد بن جسر الجعدي

رئيس التحرير

د. عبدالقادر علي باعيسى

سكرتير التحرير

أنور سالم باكركر

السكرتير الفني

حسن أحمد بلجعد

التدقيق اللغوي

د. جمال رمضان حديجان

الهيئة الاستشارية

أ.د. عبدالله حسين البار
أ.د. عبدالله صالح بابعير
أ.د. ناجي جعفر الكثيري
أ.د. مسعود سعيد عمشوش
أ.د. خالد يسلم بلخشر
د. حسن صالح الغلام العمودي
د. طه حسين الحضرمي
د. أحمد سعيد عبيدون
د. صادق عمر مكنون

التنفيذ الطباعي

مطابع وحدين الحديثة للأوفست - المكلا

- المواضيع المنشورة تعبر عن آراء أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

- ترتيب المواد جاء وفق ضوابط فنية إخراجية.

- المجلة غير ملزمة بإعادة أي مادة تتسلمها للنشر، سواء نُشرت أم لم تُنشر. ولا تتلزم بنشر المقالات المرسلة إليها بخط اليد.

مراسلات المجلة

hc.magazine16@gmail.com

Baesa-1@hotmail.com

موقعنا على الشبكة الإلكترونية

www.hadramout.center

العنوان : المكلا - حي الشهيد - (معهد باشراف سابقاً) - ت. ٢٥٠١٢٥



مركز حضرموت للدراسات التاريخية يستقبل المهندس عبدالله بقشان



للوطن العربي والعالم أجمع، فرسالة حضرموت للعالم هي رسالة ثقافية بالأساس وكان آخرها الأوركسترا التي تم إقامتها في ماليزيا مؤخراً والتي لفتت أنظار العالم إلى حضرموت بلداً وإنساناً مبدئياً إعجابه بنشاط المركز الثقافي وإصداراته ومجلة حضرموت الثقافية التي أفاد أنه يتابع أعدادها باستمرار مؤكداً أن



من المهم أن يتم توعية الأجيال الجديدة بالثقافة الحضرمية الأصيلة، فالمرحلة القادمة هي مرحلة الأدب والثقافة والفن.

وفي ختام اللقاء شكر الجميع المهندس عبدالله بقشان على هذه الزيارة مودعينه ومرافقيه بحفاوة بالغة متمنين له التوفيق والسلامة في زيارته إلى حضرموت.

مشروعاً كبيراً يحتاج إنجازه إلى جهود وتضحيات كبيرة في مختلف المجالات. من جانبه عبر المهندس عبدالله أحمد بقشان عن سعادته بهذه الزيارة إلى مركز حضرموت للدراسات التاريخية مشيراً إلى أن حضرموت غنية بثقافتها وتاريخها وفنها وأدبها ومن المهم أن نسعى جميعاً إلى التعريف بهذه المميزات بالنسبة

إعلام المركز

استقبلت إدارة مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر مساء اليوم الخميس ٢٥/٧/٢٠١٩م المهندس عبدالله أحمد بقشان والوفد المرافق له حيث كان في استقبالهم عند بوابة المركز الأستاذ الدكتور عبدالله سعيد الجعدي المدير العام للمركز والأستاذ الدكتور خالد يسلم بلخشر نائب المدير مدير إدارة العلاقات العامة وعدد من مديري الدوائر بالمركز ورؤساء اللجان العاملة بالموسوعة الحضرمية والموظفين.

وفي بداية اللقاء رحب الدكتور الجعدي ترحيباً حاراً بالمهندس عبدالله بقشان مبدئياً سعادته وسعادة العاملين بالمركز بهذه الزيارة التي تعد زيارة نوعية من شخصية نبيلة قدمت الكثير لحضرموت وما زالت، شارحاً للضيف الكريم ومرافقيه ما مر به المركز في تطوره منذ تأسيسه في عام ٢٠١٥ إلى الآن منوهاً بالموسوعة الحضرمية المشروع الكبير الذي يزمع المركز إصداره، والذي هو بحاجة إلى دعم الخيرين من أبناء حضرموت في الداخل والخارج بوصفه



مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر يستقبل العميد منير التميمي

بثقافته وتاريخه لا سيما فئة الشباب التي هي بحاجة إلى رعاية خاصة. وقد أكد القاضي بنش أهمية تعزيز علاقات المركز وتوسيعها لما فيه زيادة نشاطه مستقبلاً.

من جانبه أوضح أ.د. خالد بلخشر نائب رئيس المركز مدير إدارة العلاقات والترجمة عن مشروع (الموسوعة الحضرمية) الذي يزمع المركز تنفيذه، فهدفنا في المركز علمي صرف، وقد سُررنا بزيارة سيادة



والندوات، والمحاضرات، وورش العمل، وإصدارات الكتب، فحضرموت غنية بالتنوع في مختلف المجالات العلمية، والاجتماعية، والأدبية،

إعلام المركز/

قام العميد منير التميمي مدير الأمن بساحل حضرموت، والقاضي شاكِر بنش رئيس النيابة بحضرموت بزيارة ودية إلى مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر بدعوة من إدارة المركز مساء الاثنين ١٧ / ٦ / ٢٠١٩م. حيث كان في استقبالهم عند مدخل المركز أ.د. عبدالله سعيد الجعدي المدير العام، ومديرو الدوائر وطاقم الموظفين يرافقهم العقيد عيسى العمودي مدير الأمن بمديرية المكلا.

وفي أثناء اللقاء قدّم د. الجعدي شرحاً وافياً عن نشاط المركز منذ تأسيسه في ديسمبر عام ٢٠١٥م، موضحاً أن الهدف من إنشائه هو خدمة تاريخ حضرموت وتراثها، سواء من حيث الاهتمام بالوثائق، أو إصدار مجلة (حضرموت الثقافية)، أو إقامة المؤتمرات العلمية الدولية والمحلية،



المحافظ اللواء الركن فرج سالمين البحسني للمركز العام قبل الماضي. حضر اللقاء عدد من مديري الإدارات بالمركز ورؤساء اللجان العاملة بـ (الموسوعة الحضرمية). وفي الختام طاف الضيف الكريم ومرافقوه بأروقة المركز وإداراته.

والثقافية، والعسكرية، والتاريخية، والتراثية، وما يهمنا هو أن نكون قريبين من المجتمع.

فيما أعرب العميد التميمي عن سعادته بهذه الزيارة للمركز الذي يبرز أصالة حضرموت، ويفتح نوافذ ثقافية لها، ويعمل على توعية المجتمع





مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر يقيم حلقة نقاش ويحضر جلسة دان ويزور عدداً من مناطق مديرية دوعن



بن جبل



الجعيدي



بانخر



باعيسى

إعلام المركز:

نظم مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر، بالتنسيق مع السلطة المحلية بمديرية دوعن ونادي الهجرين الرياضي الثقافي ثلاثة برامج ثقافية وتراثية وتعريفية في عدد

من مناطق مديرية دوعن، وتأتي هذه البرامج ضمن الخطة السنوية لفعاليات وأنشطة وبرامج المركز لعام ٢٠١٩م.

حلقة نقاش:

عصر الأربعاء الأول من مايو، أقيمت حلقة نقاش علمية وتاريخية بعنوان (الهجرين في التاريخ.. إضاءات في المعالم والأعلام)، قدم الحلقة د.

بأعضاء المركز والأكاديميين من جامعة حضرموت وسينون وجميع من حضر، شاكرًا القائمين على المركز على تنظيم هذه الفعالية واهتمامهم بهذه المدينة التاريخية، حيث تعد الهجرين البوابة الشمالية لدوعن، مستعرضاً جزءاً من تاريخ الهجرين والبعثات الاستكشافية، مستحضراً بعض الشواهد التاريخية التي تدل على قدم المدينة.

ثم ألقى أ. د. عبد الله سعيد الجعيدي مدير المركز كلمة رحب عبرها بجميع الحضور، ثم استعرض أهداف المركز وتحدث عن نشاطه الذي يشمل جميع مناطق حضرموت مرحباً بالباحثين والأكاديميين والمختصين والمهتمين بالتاريخ الحضرمي، ثم عرج على مشروع (الموسوعة الحضرمية) التي يعمل المركز جاهداً لإنجازها.

عبد القادر باعيسى أستاذ الأدب والنقد المشارك كلية الآداب بجامعة حضرموت مدير إدارة الإعلام والثقافة بالمركز، مرحباً بالحضور جميعاً، ثم تليت آيات من القرآن الكريم بصوت الأخ عبدالرحمن بادحمان.

وبدأت فقررة كلمات أبرز الشخصيات، فألقى الأستاذ سالم أحمد بانخر مدير عام مديرية دوعن كلمة رحب فيها





10

العدد (12)

إبريل

يونيو

2019م



ألقى بعد ذلك أ. سالمين بن جبل رئيس نادي الهجرين الرياضي الثقافي كلمة مرحباً وشاكراً فيها وقد المركز والحاضرين لإنجاح مثل هذه الفعالية القيمة، ثم تحدث موضحاً موضوع حلقة النقاش مقدماً شكره مرة أخرى للداعمين لإقامة هذه الفعالية والداعمين للنادي.

بعد ذلك افتتحت حلقة النقاش حيث استهلهاد. حسين أبوبكر العيدروس أستاذ الآثار المساعد بجامعة سيئون، تحدث في ورقته البحثية عن الأهمية التاريخية لأودية حضرموت الغربية -

حيث ذكر أن تاريخ الهجرين حلقة مفقودة، وتطرق إلى إشكالية سبب تسمية الهجرين وموقعها، وكيف كانت في أيام التاريخ الإسلامي ومبعث النبي صلى الله عليه وسلم، وارتباط الهجرين بذكر أحمد بن عيسى المهاجر، ثم ذكر عدداً من علماء الهجرين، وإشكالية التوسع في فهم سيرهم.

وبعد انتهاء حلقة النقاش فُتِحَ المجال للمداخلات من قبل بعض الحاضرين ومنهم: د. علي حسين العيدروس مدير قسم الإعلام بجامعة سيئون، وأ. علي أحمد بارجاء المحاضر بجامعة سيئون، والأخ صالح محمد المعلم، وأ. عبدالله قنيوي.

اختتمت الفعالية بفقرة التكريم حيث كرم المركز مدير عام المديرية والمشاركين وعدداً من الأساتذة والشخصيات الاجتماعية والجهات الراعية والداعمة للفعالية.

الأعلام بـ(الموسوعة الحضرمية)، حيث تحدث عن إضاءات في المعالم والأعلام في التاريخ الإسلامي لمدينة الهجرين من خلال بعض الإشارات التي منها: وجود المذهب الشافعي



والحنفي، في المدينة في بعض مراحل تاريخها، ومجيء الإمام المهاجر إلى دوعن، وظهور عدد من علماء الهجرين.

واختتم الحلقة أ. عبدالرحيم محمد بن مغيث الباحث في التاريخ الحضرمي

دوعن، العين، عمد، رخية - وأبرز المعالم لهذه المنطقة.

تلاه د. محمد يسلم عبدالنور أستاذ التاريخ الإسلامي وحضرته المشارك بكلية الآداب جامعة حضرموت رئيس قسم التاريخ فيها، ورئيس قسم





11

العدد (12)
إبريل
يونيو
2019م



زيارتان وسمر دان حضرمي:

وضمن فقرات الفعالية التراثية أقيم في المساء بمقر نادي الهجرين سمر دان حضرمي، حضره أعضاء وفد المركز وعدد من محبي وعشاق الدان الحضرمي الأصيل. وكان الوفد قبل سمر الدان قد زار مدرسة بن محفوظ الأهلية واطلع على ما فيها من مرافق وأدوات وأنشطة تخدم العملية التعليمية والارتقاء بالتعليم في المنطقة. كما زار الوفد داراً تُنسب للإمام أحمد بن عيسى المهاجر بناها حين مقدمه إلى حضرموت.

زيارات استطلاعية:

واختتم وفد مركز حضرموت نشاطه بزيارته لبعض مناطق مديرية دوعن، بمعية الشخصية الاجتماعية السيد عبدالله بن عمر العطاس، حيث بدأت بالذهاب إلى آثار (معبد الإله سين) الذي يبعد (٢ كم) عن مركز المدينة، اطلع الوفد على أجزاء من هذه الآثار حيث تبادل الحضور وفي مقدمتهم السيد العطاس والبروفسور الجعدي، شيئاً من ذاكرة التاريخ الحضرمي القديم ووفادة الحملات الاستكشافية الأجنبية لهذه المنطقة..

وإلى جنوب غرب الهجرين جبل عليه بلدة (صيلع) وسكانها من آل بن

محفوظ وآل باطرفي وغيرهم وقد أشار إليها امرؤ القيس في قوله:
أتاني وأصحابي على رأس صيلع

حديث أطار النوم عني فأنما
اطلع الوفد على المناظر الرائعة
من رأس صيلع المطل على الوادي
الكبير لدوعن الذي تلتقي فيه
وديان دوعن.

ثم توجه الوفد إلى بلدة (القزه) حيث
نبح شرحبيل وجدول الماء الجاري
وديار آل البطاطي، وبعدها زيارة إلى
قيدون موطن الشيخ سعيد بن عيسى
العمودي.

وبذلك اختتم وفد مركز حضرموت
للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر
زيارته الحافلة والغنية بالأنشطة
والفعاليات والتي هي ضمن خطته
لعام ٢٠١٩م.





12

العدد (12)
إبريل
يونيو
2019م

أكدت على الاهتمام بما تبقى من التراث البحري الحضرمي.. ندوة البحر في الموروث الثقافي والشعبي تختتم أعمالها



إعلام المركز/

نظّم مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر، مع مكتب الثقافة بساحل حضرموت اليوم الثلاثاء ٢٠١٩/٧/١٦م بقاعة نادي متطوعون، ندوة بعنوان (البحر في الموروث الثقافي والشعبي في حضرموت) تأتي ضمن برنامج احتفالات مهرجان البلدة ٢٠١٩م الذي يقام تحت رعاية اللواء الركن فرج سالمين البحسني محافظ حضرموت وقائد المنطقة العسكرية الثانية.

بدأت الندوة التي قدمها وأدارها الدكتور عبدالقادر علي باعيسى أستاذ الأدب والنقد المشارك كلية الآداب بجامعة حضرموت مدير إدارة الإعلام والثقافة بالمركز، بتلاوة عطرة من أي الذكر

التي حملت عنوان: (البحر في الحكايات الشعبية).

وفي فقرة المداخلات، حظيت الندوة بمداخلتين ضافيتين الأولى ألقاها الأستاذ صالح سعيد باعمر الذي أبدى إعجابه الشديد بفكرة الندوة وأوراقها المفيدة التي استمع إليها مضيفاً بعض ذكرياته عن البحر وقرائنه عن أدبه وما يتعلق به من موروث حضرمي كبير..

والمداخلة الثانية للأستاذ الباحث في أحوال بحر العرب عمر خميس بامتيرف، الذي ذكر بعض الانتقادات على بعض المفاهيم المتداولة عن نجم البلدة والاحتفالات به وعن برودة البحر وأسباب ذلك، مقدماً أفكاراً وتصورات قيمة للحفاظ

القادمة وبالذات المؤتمر الدولي الرابع داعياً جميع المهتمين بتاريخ حضرموت وتوثيقه وترجمته ونشره إلى المجيء إلى المركز والإسهام بما لديهم فهو مركز الجميع دون تمييز.

وبعد فقرة الافتتاح، دلفت فقرة الأوراق المقدمة للندوة؛ حيث الورقة الأولى: (البحر في الشعر الشعبي) للأستاذ الدكتور



الحكيم تلاها الأستاذ أنور سالم باكركر.

ثم ألقى الأستاذ خالد أحمد القحوم مدير مكتب الثقافة بساحل حضرموت كلمة أكد فيها على أهمية إقامة مثل هذه الفعاليات الثقافية في غرس المفهوم التراثي والثقافي في الوعي الحضرمي لارتباطه بتاريخ حضرموت وموروثها الثقافي والشعبي، مؤكداً على عمق التعاون بين مركز حضرموت ومكتب الثقافة بساحل حضرموت.

ولمركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر كلمة ألقاها مديره الأستاذ الدكتور عبدالله سعيد الجعدي، شكر فيها المشاركين في إلقاء محاورها واستجاباتهم وتفاعلهم مع الندوة لما لها من أهمية في موضوعها الذي يحتاج بالفعل إلى مزيد عناية، ثم عرّج بالحديث عن أنشطة وفعاليات مركز حضرموت

على التراث البحري وعاداته وتقاليده والأسماك والأحياء البحرية بساحل حضرموت، داعياً الجهات المختصة والمهتمة بهذا التراث العظيم للمبادرة والإسراع في تبني مثل هذه المشاريع المهمة وتوثيقها قبل أن تندثر معالم تراثنا ومواقعنا السياحية البحرية..

وختام الندوة ثمن وأثنى فيها الدكتور عبدالقادر باعيسى على جهود المشاركين بورقاتهم، والمداخلين بمداخلاتهم موافقاً لأفكار وتصورات التطوير والحفاظ

عبدالله حسين البار أستاذ الأدب والنقد بجامعة حضرموت..

تلتها الورقة الثانية: (البحر في الأغاني والأهازيج البحرية) للدكتور عبدالباسط الغرابي باحث في التراث الشعبي.

ثم الورقة الثالثة بعنوان: (البحر وأحواله في مدونات ربانة حضرموت) للأستاذ محمد علوي باهارون مدير دار الحامي للدراسات والنشر..

واختتم فقرة الأوراق الأستاذ فائز محمد باعبد الباحث في الأدب الشعبي بورقته



13

العدد (12)
إبريل
يونيو
2019م

سفير الهند بالسعودية يستضيف مجلس إدارة مركز حضرموت



إعلام المركز

يهتم مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر بالإرث الحضري وتتبعه تاريخيا وحضاريا، وصارت مساعيه الدؤوبة في تتبع آثار الحضارم في المهاجر المختلفة عبر العالم ملء السمع والبصر، وفي هذا الإطار تلقى مجلس إدارة المركز دعوة كريمة من السفير الهندي لدى المملكة العربية السعودية للاطلاع على نشاط المركز ومساعيه في تتبع تاريخ الحضارة في الهند.

ومن الجدير بالذكر أن سعادة السفير من أصول حضرمية، فهو أوصاف بن عوض بن سعيد المصلي اليافعي، وقد هاجر جده من المكلا ليستقر في الهند.

وفي لقاء هو الأول من نوعه، استضاف معالي السفير مجلس إدارة المركز بمقر السفارة الهندية في الرياض في تمام الساعة الرابعة عصر يوم الثلاثاء الموافق ١٦/٧/٢٠١٩م، وقد ضم اللقاء السفير الهندي السيد أوصاف سعيد، ورئيس مجلس إدارة المركز الأستاذ محمد سالم بن علي جابر، ونائب رئيس مجلس الإدارة رئيس الهيئة الاستشارية الأستاذ عبدالرحمن صالح باسلم.

وقد أبدى سعادة السفير إعجابه بالجهود التي يقوم بها المركز، كما أبدى استعداده لتيسير عمل المركز في أوساط الحضارة بالهند، والسعي لإقامة مؤتمر علمي على غرار مؤتمر جاكرتا الذي أقامه المركز في ٢٠١٧ لدراسة التأثير والتأثر بين حضرموت والهند في عدد من المحاور الثقافية والحضارية والاجتماعية.

استمر الاجتماع لأكثر من ساعة ونصف الساعة، ليخرج بعدد من الترتيبات التي تصب في صلب استكمال خطه الموسوعة الحضرمية الشاملة، وتوثيق العلاقة الثقافية بين الهند وحضرموت، وتفعيلها في الأيام القادمة.

وقد تركز اللقاء حول جهود مركز حضرموت في تتبع الهجرات الحضرمية، وبخاصة الهنود الحضارمة، وعملية التأثير والتأثر الثقافي والحضاري بين الهند واليمن عموماً وحضرموت بشكل خاص.

كما اطلع سعادة السفير على مشروع الموسوعة الحضرمية الذي يعمل المركز على القيام به، والذي يشمل دراسة الحضارم في جميع المهاجر التي هاجروا إليها في الهند وشرق آسيا وأفريقيا، ويعد ذلك المشروع الأول والأشمل الذي يحيط بجميع ما يخص الحضارم من تراث ثقافي وتاريخي، ويرصد تأثيرهم ونجاحهم البارز في البلدان التي هاجروا إليها.

مدير المركز يشارك في أمسية رمضانية (ومضات من تاريخ حضرموت)



إعلام المركز

شارك أ.د. عبدالله سعيد الجعدي مدير عام مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر مساء السبت ١٨/٥/٢٠١٩م الموافق ١٣ رمضان ١٤٤٠هـ في الأمسية الرمضانية بعنوان (ومضات من تاريخ حضرموت) التي أقامتها شبكة قادة للتنمية في ساحة قصر السلطان بالمكلا، برعاية من مكتب وزارة الثقافة بساحل حضرموت بالتعاون مع الهيئة العامة للآثار والمتاحف بساحل حضرموت.

وقد تحدث البروفيسور الجعدي في إضاءات عن تاريخ حضرموت القديم والوسيط والحديث، ثم تناول العادات الحضرمية المكلاوية في رمضان، كما

محمد بافطيم مدير متحف المكلا سابقاً، والشاب عازف العود علا أنور غلام صاحب شركة أعواد حضرموت لصناعة العود. حضر الأمسية العميد سليمان بن غانم مستشار محافظ حضرموت قائد لواء شبام سابقاً، والأستاذ خالد أحمد القحوم مدير مكتب وزارة الثقافة بساحل حضرموت وجمع غير من الشباب والمهتمين بالتاريخ والثقافة.

تحدث مدير المركز عن أنشطة وإنجازات وفعاليات مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر ومشاريعه المستقبلية وفي مقدمتها (الموسوعة الحضرمية).

الأمسية أدارها كل من محمد البعسي ومريم المعاري وتحدث فيها أيضاً الأستاذ حسين عبدالقادر الجيلاني مدير صندوق تنمية المهارات سابقاً، والأستاذ غالب



14

العدد (12)
إبريل
يونيو
2019م

الإعلاميان لرضي والحامدي يزوران مركز حضرموت



إعلام المركز/

استقبل أ.د. عبدالله سعيد الجعدي مدير مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر بمكتبه، مساء الأحد ١٩ / ٥ / ٢٠١٩م الإعلاميين ياسر علي لرضي، ومحمد سعيد الحامدي.

في مستهل الزيارة رحب مدير المركز بضييفه معبراً عن سعادته بزيارتهما للمركز والإطلاع عن كثب على أنشطته ومشاريعه وإنجازاته لما للإعلام من مكانة وتأثير في الواقع بوصفه الوسيلة الناقلة للمعلومة للناس.

كما تقدم أ.د. الجعدي بالتهنئة لهما بمناسبة حصولهما على الماجستير في الإعلام، من جامعة عدن، وأن تكون رسالتهم إضافة رائعة للمكتبة الإعلامية الحضرية، التي هي بحاجة ماسة لمثل هذه الجهود التوثيقية في هذا المجال. من جانبهما عبر لرضي والحامدي عن شكرهما للبروفيسور الجعدي على حفاوة الاستقبال، وتمنيا للمركز والقائمين عليه دوام التوفيق والنجاح في مسيرة عملهم وتحقيق أهدافه التي تخدم حضرموت وتاريخها وتراثها..

وفي ختام اللقاء قدم الإعلامي ياسر علي لرضي هدية لمكتبة مركز حضرموت وهي نسخة من رسالته للماجستير التي حملت عنوان (صحيفة الرائد الحضرية ١٩٦٠ - ١٩٦٤م دراسة تحليلية في الشكل والمضمون)، وقدم الإعلامي محمد سعيد الحامدي هديته كذلك نسخة من رسالته للماجستير وكانت بعنوان (المقال الافتتاحي في صحيفة الطليعة الحضرية ١٩٥٩ - ١٩٦٧م "دراسة تحليلية").

مدير مشروع (خط رجعة) تزور المركز



إعلام المركز/

استقبل أ.د. عبدالله سعيد الجعدي مدير مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر بمكتبه، مساء الثلاثاء ٢١ / ٥ / ٢٠١٩م مديرة مشروع (خط رجعة) الأخت عائشة الجعدي والأخ حمزة بامحفوظ الباحث في المشروع. حيث استمع أ.د. الجعدي لنبذة عن المشروع وأبدى إعجابه بالجهود التي تبذل في سبيل نفع الشباب والارتقاء بهم نحو الأفضل ليكونوا لبنة في مسيرة بناء ونهضة المجتمع.

الجعدي يستقبل وفد مركز الرناد ومجموعة (قل دان)

في مستهل اللقاء، رحب البروفيسور الجعدي بالضيوف وشكرهم على الزيارة، وأطلعهم على مايقوم به مركز حضرموت من أنشطة وفعاليات تخدم تاريخ حضرموت وتوثيقه ونشره، وما سيقوم به في الفترة القريبة القادمة من أعمال وفي مقدمتها المؤتمر الدولي الرابع الذي يحمل عنوان: (التاريخ والمؤرخون الحضارة في القرن الثالث عشر الهجري - التاسع عشر الميلادي) وغير ذلك من الأنشطة والفعاليات.

من جانبهم، أبدى أ.د. باهادي وبقية الفريق الزائر سعادتهم الغامرة لحسن الاستقبال وفرصة زيارة المركز واللقاء بمديره أ.د.عبدالله الجعدي. حضر اللقاء د. محمد يسلم عبد النور رئيس قسم الإعلام بمشروع الموسوعة الحضرية الذي طاف مع مدير المركز بالضيوف على إدارات المركز والتعرف على أعمالها ومهامها..



إعلام المركز/

استقبل أ.د. عبدالله الجعدي مدير مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر بمكتبه مساء الثلاثاء ٢٣ / ٧ / ٢٠١٩م الأستاذ علي سالم باهادي نائب رئيس مركز الرناد للتراث والآثار والعمارة بتريم وعدد من أعضائه بمعية مجموعة (قل دان) التابعة لقسم الموروث الشعبي بمركز الرناد.



قبيلة قضاة

قبيلة قضاة أشهر القبائل اليمنية، وهي تحتل مناطق عديدة في اليمن. وكانت قضاة الساحلية منقسمة على نفسها، وكانت في حروب طاحنة فيما بينها، وكان أبرز فروع قضاة الساحلية قبيلة المهرة، ويلبها في القوة والبأس قبيلة بني عليان بن مالك القضاة، التي كانت تحكم الشحر في زمن غير معروف قبل الإسلام.

التجارة الخارجية والداخلية في المدينة
قال:

أهوين يا شحر سمعون الكحيل
وسوقها من زمن يرقل رقل
ولا يتاوى مائل به مثيل
الله يشهد وخلقه شاهدين
إلى قوله:

كانت كما أيام سمعون الكحيل
وهي بلاد الغني والغتكيل
ما هي كما تاربة أرض البطل
وإلا كما القطن وإلا كالعين
تجارها رجال نازلهم نبد
كل يوم مركب ينزلها عدد
ما الموسم ذي السنه إلا كعد
شوفها عجيبة تلعب عرض السنين
ثم ينادي الملكة سمعون بقوله:
سمعون يا كفن الظل الظليل
أين هميسع واينه شر حبل

لي حلوا سعاد جيلاً بعد جيل
نعمة قضاة رجال راشدين

سمعون شي الشحر رجعت كصداع
وقوتنا في زعائم باسباع

إن تمت إلا كده هذا الضياع
أهلش غدوا في السواحل شاردين
والقصيدة هذه تقع في أربعة
وخمسين رباعية، ذكر الشاعر فيها من

الحادية عشرة من عمره، والمخيلة
بنت هميسع، وهي فتاة في التاسعة
عشرة من العمر، والزبينة بنت
الهميسع، وهي فتاة في الثامنة عشرة
من العمر، وإلى جانب هؤلاء الأولاد
خلف الهميسع أرملة هي "ماء السماء"
بنت الحارث من قضاة وادي عمد،
وكانت أم ولديه وبناته الثلاث.

الملكة القضاية (سمعون) ملكة الشحر

كانت سمعون تتمتع بجمال رائع،
ولذا يلقبها أهل الشحر، بـ(سمعون
الكحيل أو الكحيلة)، وهو وصف أبقتة
لها أدوار التاريخ إلى يومنا هذا.
وشعراء الشحر الشعبيون كانوا
يشيدون باسمها في أشعارهم، ومن
ذلك قول المغفور له الشاعر الشعبي
الشحري، صلاح جابر النوبي حيث يقول
في إحدى مقطوعاته الغنائية:

وليش بالتيه كله

ناع السفه ما أقدر
لا أنت بوران وحسنتك

كما سمعون -ذلا حكاية سمر-
ويقول الشاعر الشعبي الشحري سالم
محمد باحويرث، المتوفى سنة
١٣٢٥هـ من قصيدة رباعية له يصف
فيها حالة الشحر الاقتصادية في
عمره، وذلك بعد أن احتكر الهنود



محمد عبدالقادر باهمطرف

كان لبني عليان بن مالك ملك يسمى
الهميسع بن النمر بن مرة بن عليان
بن مالك القضاة. وبسبب التناحر
بين الفروع القضاية طمعت كندة في
اقتحام منطقة قضاة الساحلية، وعلى
احتلال منطقة الشحر بوصفهما
مينائين تجاريين مهمين في ذلك
العهد.

توفي الملك الهميسع بن النمر ملك
الشحر وخلف من النسل سمعون بنت
الهميسع بن النمر، وهي أرملة في
الثلاثين من عمرها، ولها ولدان
صغيران هما: أنعم بن شرحبيل في
العاشرة من عمره، والناصفة بن
شرحبيل في الثامنة من عمره، أبوهما
شرحبيل بن طابخ بن النمر، وهو ابن
أخ الهميسع، وكان يعمل رباناً في
السفن التجارية، وقد مات غريقاً عند
خروجه من شرق أفريقيا إلى الشحر.

كما خلف الملك الهميسع أيضاً،
غاشم بن الهميسع، وهو فتى في



عن طريق تلقي الخلف عن السلف، كان أهل
الشجر يعلمون عن تاريخ الشجر الإخباري ما
يجهله الكثيرون الآن، وقد كان النابغون منهم
الذين عاشوا إلى ما يقرب أربعين عاماً مضت
يعلمون أخباراً عن أحوال الشجر القديمة حتى
ولو كانت أخباراً امتزجت فيها الحقائق بالأساطير.

بن بريك وغيرهم من الثقات، ومن
أخبار أوردتها الكتب التاريخية
استطعنا أن نصوغ فذلك من تاريخ
الشجر القديم.

في أحد العهود الضاربة في القدم في
التاريخ هاجرت فروع من قبيلة كندة
اليمنية من مطارحها بحضرموت إلى
منطقة البحرين، ومنطقة البحرين
تعني قديماً بالمنطقة الممتدة من
رأس مصندم في عمان إلى القبلة في
العراق.

وتشمل هذه المنطقة ما يعرف الآن
بدولة الإمارات العربية المتحدة وقطر
والأحساء والقطيف والكويت وجزءاً من
العراق. والفروع الكندية التي هاجرت
من حضرموت كانت السكاسك،
والحروم، وبنو الأشرس، وبنو دومان،
وبنو الأشعث، وبنو لعجم، وبنو عفير،
وبنو المعشار، وبنو عكابة، وبنو مرتع،
وبنو ثعلب، أما فروع كندة التي ظلت
بحضرموت منهم بنو الليث بن حارث -
أي الصيعر-، وبنو المحايل، والسكون،
وبنو الريش، وبنو ذهل بن معاوية،
والصديفون، ونقيب، وبنو معاوية،
وبنو وهب، وبنو قشاقيش، وكانت
منازلهم في حضرموت الصحراء
الشمالية الغربية والسور، ووادي سر،
ووادي هينن، ووادي جعيمة،
والهجريين، ودمون الهجريين، وعندل،
والقرزة، والكسك، وهي المنطقة

المسيال الذي يخترق مدينة الشجر في
موضعين، كذكرى لزواجها الميمون،
فأصبح يدعى مسيال سمعون بعد أن
كان يعرف بوادي السرحة. والسرحة أو
السرحة هي شجرة دم الأخوين، وكانت
هذه الأشجار توجد في هذا المسيل؛
ولأن عود هذه الشجرة قوي جداً لا
تأكله الأرضة أو أية آفة من آفات
الخشب، فكان أهل الشجر يسقفون
بها بيوتهم إلى عهد قريب.. وقد
بلغني من أحد المهتمين بشئون
الغابات أن شجرة السرحة، شجرة برية
لا تغرس ولكنها تنبت عشوائياً في
بعض المناطق الممطرة موسمياً؛
لأنها تحتاج إلى مطر غزير يسقيها،
ولأن وجودها في هذا الوادي، وادي
سمعون ليدل على أن الأمطار كانت
تهطل بشكل موسمي بغزارة في هذا
الجزء من جنوب بلاد العرب في العهود
التي عاصرت الملكة سمعون.

والآن سوف نروي حادثة، كانت في
قديم الزمان، وسالف العصر والأوان،
قد حدثت على عهد الملكة سمعون
ملكة الشجر، فمن الأخبار التي تلقيناها
من أهالي الشجر السابقين أمثال:
سالم بن أحمد عديد، وعمر عبود
حميد، وصالح بكار باشراحيل، وناصر
جابر النوبي، والعلامة محمد بن عمر
العماري، والمقدم أحمد بن علي بن
ناصر بن بريك، والحاج سالم بن أحمد

كانوا تجاراً من أهل الشجر في عهده،
والذي يهمنا من كلام الشاعر
باحويرث إشارته إلى الملكة سمعون
وأبيها الهميسع وزوجها شرجبيل
وقبيلتها قضاة، وكم هي مثيرة
للشجن كلمته، فقد كان -رحمه الله-
يرى أن أهالي الشجر بتليدهم
وطريقتهم ما هم إلا امتداد للأصول
التي انحدرت منها ملكة الشجر
القديمة سمعون.

وقد اختار بنو عليان بن مالك
القضاة سمعون لتكون ملكة
عليهم بعد وفاة أبيها، لصفات كانت
تتحلى بها، وهي: قوة الشخصية،
والذكاء المفرط، والشجاعة، وحسن
الرأي، والتدب، والعطف على
المواطنين، ومحبة المواطنين لها،
والإلمام التام بأحوال بلادها الداخلية
وعلاقاتها الخارجية قديماً وحديثاً.
وفي هذا مصداق لكلام الشاعر
الشجري المغفور له عوض سعيد
العماري المتوفى سنة ١٣٢٨ هـ، حيث
قال:

ذكرت الحكم ذي بئر ويقطع

قضاة ذي جعلت لكل لتلول

زمن على الحق خلوا الذيب يرتع

سوا والسارحة والسيف مسلول

زمن كل شيء ثبت ما شيء تضع

زمن سمعون في قاتل ومقتول

وعن طريق تلقي الخلف عن السلف،
كان أهل الشجر يعلمون عن تاريخ
الشجر الإخباري ما يجهله الكثيرون
الآن.

فقد كان النابغون منهم الذين عاشوا
إلى ما يقرب من أربعين عاماً مضت
يعلمون أخباراً عن أحوال الشجر
القديمة حتى ولو كانت أخباراً امتزجت
فيها الحقائق بالأساطير. وفي ليلة
زفاف سمعون إلى ابن عمها شرجبيل
بن طابخ أطلق أبوها اسمها على



الحموم - وثعين. كما جددوا بينهم وبين المعورب - أي قبائل حمير التي يجاورونها من الغرب وحدهم من وادي حـويرة إلى وادي ميفعة في أقصى الغرب.

وعقدت قضاة لواء الرئاسة للملكة سمعون عليهم؛ لأن بني عليان يمثلون الفرع القضاعي الأكبر ثروة وعتاد حرب. ولأهمية المنطقة التي يسكنونها من الناحية التجارية إذ إنها كانت مفتاح حضرموت الداخل. حصل الإيلاف بينهم، وكلمة الإيلاف تعني العهد المقدس الذي لا ينقصد إلا في حرم الصنم عوض تأكيداً لأهمية ما تعاهدوا. وقد حصل اجتماع في قصر المنيف - ومكانه كما قيل لي في المكان الذي يقع فيه حصن بن عياش اليوم - وهو الحصن الذي كانت تسكنه وتحكم منه الملكة سمعون.

وقد حضر الاجتماع الضم ضم الزويدي رئيس قبيلة المهرة، والأثيكل بن سنان رئيس قبيلة ثعين، والصبر بن طابخة رئيس قبيلة السباح، والفهد بن قطم رئيس بني عجيل، ومجدوع بن المهرمة رئيس قبيلة الحموم، وكان نجما الاجتماع الأثيكل الثعيني، وثوبان بن كلثوم رئيس كهنة قضاة آل عليان، وفي هذا الاجتماع استعرضوا كل المعلومات التي أرسلها إليهم عيونهم المنبثون في معسكرات كندة بالبحرين.

من أهم تلك المعلومات أن كندة في تحركها إلى حضرموت سوف تنقسم على قسمين: القسم الأكبر منهم وفيه الأطفال والشيوخ والنساء والمواشي سوف تمر إلى شمال جبال مهران منحدره إلى أسفل جبل حبيشة، ثم قائمة سناء ثم إلى شعب هود، ثم يخترق الوادي إلى المسحرة، ومنها إلى الكسر، ثم إلى منطقة الصيعر، ثم إلى شبوة. أما فرسان كندة وعددهم

الأصلية في داخل حضرموت. كانت منطقة الشحر منازل لقبيلة قضاة وأشهر فروعها المهرة، وجرم، وبني عليان، وبني المسن، وبني الحارث، وبني ضبض، وبني حلوان، وبني الخنت. أما في داخل حضرموت فكانت فروع قضاة بنو حرام وهم الآن آل كثير، وآل تميم، والمناهيل، والكرب، وآل حبروت، والعارف، ناهيك بفروع من قضاة واسعة متناثرة في جزيرة العرب، وفي نواحي الشام وبالأخص في هضبة الجولان، وفي الأردن. لقد ترامت أنباء اعتزام العودة إلى

الواقعة بوادي عدم وساه إلى الخون، والفرط، والمسحرة، وشبام، وكسر قشاقش.. وفي منطقة البحرين دخلت كندة في حروب مستمرة على مدى فترة من التاريخ مع قبائل عنزة، وتميم، والمناذرة، والغساسنة، وبني أسد، إلا أنها استطاعت رغم كل المعاناة التي صادفتها أن تثبت أقدامها في دومة الجندل، والمشجر، ودبي، ونجد اليمامة، ولما هاجرت قبيلة طي من اليمن ودرحت بني أسد من منطقتهم من نجد، وهي المنطقة المعروفة بجبال أجأ وسلمى، اضطرت كندة إلى

في يوم (الدوابر) دارت رحى الحرب بين تميم وكندة، وكان النصر فيها لتميم على كندة، التي كانت خسائرها عظيمة في الرجال والأموال، وعندها أشارت بعض القبائل اليمنية على كندة بالعودة إلى حضرموت.

حضرموت إلى قضاة، وكان ذلك في حياة الملك الهميسع ملك الشحر، فأرسلوا إلى البحرين جواسيسهم ليتسقطوا أخبار كندة وتحركاتهم وليرفدوا بها قبائلهم أول بأول، ولقد أقض مضاجع قضاة الشحر أن تعلم أن كندة يخططون للاستيلاء على منطقتهم وتشريدتهم منها بعد إبادة من يستطيعون إبادته منهم، فأقامت دعاة من قضاة ينادون بضم الصفوف وتناسي أحقاد الماضي ومآسيه، وكان أكبر داعية هو حليف قضاة الأثيكل بن سنان رئيس قبيلة ثعين، وكان من أشهر الخطباء، وكان من مساعي هذا الرجل الحكيم ضم قضاة صفوفها المهرة - والسباح وثعين وبني عليان. وأقامت صلحاً فيما بينها وهدمت وراقت الدماء والغزوات القديمة وجددوا أحلافهم مع بادية المشقاص وهم بنو عجيل، وبني عمرو

محاولة النزوح إلى بادية السماوة في حوض نهر الفرات بالعراق، ولكنها منعت من قبـل المناذرة والفرس فضاقت على كندة الأرض بما رحبت إلى أن كان ذلك اليوم المشهور من أيام العرب، وهو يوم (الدوابر)، الذي دارت فيه رحى الحرب بين تميم وكندة، وكان النصر فيها لتميم على كندة، وكانت خسائر كندة عظيمة في الرجال والأموال، عندها أشارت بعض القبائل اليمنية على كندة بالعودة إلى حضرموت، فقررت العودة، وكانت أعداد كندة الذين قرروا العودة في ذلك الحين ثلاثة وثلاثين ألفاً بما فيهم الأطفال والنساء والشيوخ، وكان فيهم سبعة آلاف من المقاتلين منهم ستمائة من الفرسان. وقبل أن تعود كندة إلى حضرموت قررت أن تنقسم على قسمين. قسم يحاول احتلال منطقة الشحر، وقسم يعود إلى منازل



كان غرض كندة تشتيت الحموم هو معرفتهم بما للحموم من صلات تجارية قوية بالشحر واحتكارهم لطرق القوافل المؤدية من الشحر إلى شبام.

كل ما قد بلغنا من عيوننا المنبثة في معسكرات كندة، وكما تعلمون أننا جميعاً ليست لدينا قوة من الفوارس، وفي حساب الحروب عند العرب أن ستمائة فارس تعادلها قوة من المشاة قوامها في الأقل ثلاثة آلاف مقاتل من الأبطال المغاوير، وقد سرّني جداً أن أسمع من الكاهن ثوبان أن بني عليان في استطاعتهم تجهيز جيش قوامه ألفا مقاتل.. أما القائد الزبرقان فأظن أن كل من في المنطقة قد علم عن بطولته وعن خطته القتالية الفاعلة. إن لدي اقتراحاً سأقدمه لكم للنظر فيه وهو أن علينا أن نرسل من أولادنا من نثق بهم ليقابلوا كندة على الطريق، وليعملوا معهم كمرشدين؛ لأنهم لا يعرفون مناطقنا، وعلى هؤلاء أن يخفوا هوياتهم، وأن يقدّموا كندة إلى كماننا في المنطقة الواقعة بين رؤوس وادي المسيلة وبرزوم. إن هذه المنطقة لا تصلح لحركة الفرسان نظراً لوعورة أراضيها، وهناك مدارح كثيرة بها لا بد أن نجعل كندة يسلكونها لكي نتمكن نحن برماحنا وسيوفنا وسهامنا المسمومة من الفتك بأكبر عدد من فرسانهم. إن هذه المنطقة هي أملنا الوحيد للتصدي فيها لفوارس كندة لأن حركة خيولهم ستكون بطيئة جداً، وبالحركة البطيئة لا يستطيع الفرسان اقتحام مواقعنا بالقوة التي يريدونها. إنهم فوارس أبطال لا شك في ذلك، ولكنهم فوارس صحراء ونحن رجال جبال، وأعرف منهم بمناطقنا، وكما يقال فإن الأرض تقاتل مع أهلها. وبما أنكم تجهلون بعض

الاستشاري للملكة، وأضاف قائلاً: إنني أؤكد كل ما ذكرته مليكتنا العظيمة، وأنبه الحاضرين إلى أن حركة كندة سوف تبدأ أول مطلع الدلو أي في أكتوبر، وهو مطلع الشتاء، ومحتمل أنهم سيصلون إلى رؤوس وادي المسيلة في نجم الهقعة، أي أواخر ديسمبر، أي بعد تسعين يوماً من بدء حركتهم من منطقة الخليج نحو حضرموت نحونا..

إننا اليوم في مطلع النعائم مطلع الخريف والبحر مغلق، ولكن العديد من رجالنا ورجالكم سوف يركبون البحر في سفننا الشراعية إلى الهند وإلى الخليج وإلى السواحل الأفريقية الشرقية في نجم سهيل، أي في الأسبوعين: الثاني والثالث من شهر أقيسط. لذلك فإنني أرى أن ألغي أسفارنا هذا العام لكي يتوفر لنا الرجال المقاتلون، نحن هنا نستطيع أن نزود جيشاً من حملة الرماح والسيوف والقسي والسهام المسمومة، قوامه ألفان من شبابنا المقاتلين؛ ذلك لأن معسكرنا في المعينة، وقوامه ألف وخمسمائة مقاتل سيظلون حيث هم حتى لا تفاجئنا حمير من المعورب من جهة الغرب. سيكون قائد جيشنا إذا وافقت الملكة سمعون الزبرقان ابن عادية، وهو شاب متمرس في الحروب، وسيساعده ثلاثون من خيرة قادتنا العسكريين. وبعد أن سكت رئيس الكهنة، طلبت الملكة سمعون من الحاضرين الحديث فأشاروا جميعاً إلى الأثيكل بن سنان رئيس ثعين فقال: إن كل ما ذكرته الملكة سمعون هو

ستمائة فارس فسوف يمرون شمال جبال مهران ثم ينحدرون في منطقة السماح أهالي وادي المسيلة فيعزلون ثعين، وينزلون بطن وادي المسيلة إلى مكان يقال له بزوم ليقترحموا حريق فيفصلون الجزء المهري ويشعلون حركة ثعين. ومن بعد حريق يمشون إلى مناطق ساحلية حضرية منبسطة وعامرة بالماء العذب والمنتجات الزراعية والسكنية وهذا ما يلائم حركة خيولهم وتوفير الماء العذب لها، والماء والطعام لهم. وسيكون الهدف الثاني لكندة منطقة معبر ممر قيادة الحموم مخلفين مناطق بني عجيل خلفهم، وكان غرضهم من تشتيت الحموم هو معرفتهم بما للحموم من صلات تجارية قوية بالشحر واحتكارهم لطرق القوافل المؤدية من الشحر إلى شبام، وهذا ما كانت كندة تؤمل في الاستيلاء عليه والدفع بالحموم إلى أعالي جبالهم وأوديتهم البعيدة وحصرهم فيها، ثم إنهم بالاستيلاء على معبر سوف يتحكمون في المناطق المحيطة التي تنبت اللبان أو في الأقل التسلط على أهم تجارة اللبان. فإذا حققوا ما خططوا له فإن كندة بعد ذلك سوف يسهل عليها الاستيلاء على الشحر والتحكم في مينائها العظيم وتجارها الواسعة، بعد أن يدحروا بني عليان إلى جهة الغرب. ومن خططهم كان تحطيم صنم قضاة عوض، والبعض ينطقونه عوض، ووضع صنم كندة والذبائح في مكانه في أعلى وادي العيص إلى الشمال من جبل ضبضب، وكانت الملكة سمعون هي التي تقرأ على الحاضرين المعلومات المفزعة، وكان الحضور يستمعون صامتين، وكان على رؤوسهم الطير، وبعد أن أنهت الملكة حديثها، تكلم الكاهن ثوبان بوصفه رئيس المجلس



كلمة (عجل بات) كلمة قديمة مثل (يا معوض)، وتعني عجل النذور والمنح، (وبات) معناها ساحة، أي (ساحة) أي تقديم النذور والمنح والتي نطقها الآن (عيبات).

الأخرى، أي تباريها على قوة الاحتمال، وطول الشعر، وصباحة الوجه، ورشاقة الحركات، ولم أكبر عدد من المعجبين الشباب.

والمرأة في كل العصور تجعل من نفسها مركز الجاذبية للرجل ومصدر بهجته وسروره مهما تعلمت وثقفت ولو كانت حتى رئيسة الدولة. والتعليم على أية حال لا يتعارض في كون المرأة فتنة خلقها الله بين الأنام.

وبعد أيام يعقد اجتماع شعبي في (عجل بات)؛ كلمة (عجل بات) كلمة يمنية قديمة مثل يا معوض، وتعني عجل النذور والمنح، وبسات معناها ساحة، أي ساحة تقديم النذور والمنح والتي نطقها الآن (عيبات).

يترأس سادات الصنم الكاهن المساعد الأكيل بن عوف، وعند وصول السادن إلى ساحة النذور وجد جموعاً من الرجال والنساء والأطفال في انتظار تقديم نذورهم. فدخل خيمته وافتتح أرضها وقد رفعت سقفها، ثم تناول سجلاته الجلدية وأقلامه ومحرته ونادى أن يتقدم الحاضرون فرداً فرداً، وكان أول متقدم غوث بن فلهوم القضاعي، وهو أحد رجال قصر الملكة سمعون. وقال غوث مخاطباً الكاهن الأكيل لقد بعثتني الملكة سمعون أن تسجلوا لها نذراً للصنم بالنصر لرجالنا المقاتلين ضد كندة المعتدين، وهو خمسون قعوداً وعشرون ثوراً طعاماً لقضاعة، وثلاثمائة منيحة من الغنم شرباً لهم.

مقر الصنم أو حرم الصنم، ويتم في حرم الصنم الإيلاف في التحالف والتعاقد وهدم وردم كل المآسي بين كل الأطراف المعنية وتمشي الأمور على ما يرام. ويتقدم مقاتلو قضاعة وأحلافهم إلى مناطق القتال ويقبعون في مناطق استراتيجية.

يوم النذور والمنح

وقبل أن نخوض في موضوع النذور والمنح ينبغي لنا أن نفهم بوضوح أن النذور هي الحيوانات التي يتقدم بها أصحابها نذراً لتذبح طعاماً للزائرين في مقر الصنم عوض، سواء كانت من الإبل أو البقر أو الغنم.

أما المنح منيحة فهي الحيوانات التي يمنحها أصحابها مؤقتاً للصنم ليشرب ألبانها الزائرون بمقر الصنم عوض. وبعد أيام الزيارة تعاد المنائح إلى أربابها. كذلك علينا أن نفهم الفرق بين كلمتي النعيش والتنويش.

فالنعيش هو أن ترفع المرأة الشابسة رأسها مائلة به قليلاً إلى الخلف، ثم تنشر شعر رأسها في اتجاهات مختلفة حسب حركات وإيقاعات معروفة، وهذا معناه صحة الجسم وقوة الأعصاب ووفرة الشباب. وفي العادة لا تتقدم للنعيش إلا البنات السليمات الأبدان والواثقات من ملاحاة وجوههن، وتناسق بقية أعضاء أجسامهن، وطول شعر رؤوسهن.

وأما كلمة التنويش فمعناها المناوشة، أي المباراة بين الفتيات الشابات فكل واحدة منهن تناوش

هذه المناطق فنحن سوف نتولى اختيار المرشدين من بين رجالنا؛ لأن المسيلة مشتركة بيننا وبين المهرة. إن لهجة المهرة سوف لن تخفى على رجال كندة، ولكن لهجتنا الحضرية سوف تخفى. وأيضاً فإن رجالنا سوف يخفون هويتهم عن كندة. لذلك فإن المرشدين سيكونون من رجال ثعين فقط. وإنني أحب أن أسمع الملكة سمعون وبقية الحاضرين في اقتراحي الذي قدمته. عندها أيدت الملكة والأثكل وطلبت التعليق عليه من قبل رؤساء المهرة وبنني عجيل والحموم والسماح. فتحدث رئيس قبيلة الحموم مجدوع بن الهرمة وأيد رأي الأثكل الثعيني، ووافق رؤساء المهرة والسماح وبنني عجيل. بعدها سألت الملكة سمعون ما إذا كان الحضور يوافقونها على رأي الكاهن ثوبان بإلغاء أسفار السفن هذا الموسم، فرد الحاضرون بالموافقة. عند ذلك اقترحت الملكة سمعون ترك العمل بيد القائد الزبرقان والقادة العسكريين من القبائل الخمس، ليرتبوا حشد العدد الكافي من الجند الذين سوف يتصدون لمجابهة كندة في وادي المسيلة، وليقرروا أعداد المقاتلين الذين سوف ينبثون في طول المنطقة وعرضها - هناك من يفلت من كندة من الكمائن في وادي المسيلة. واختتمت الاجتماع على أمل اللقاء في صباح الغد. وهنا تعلن الملكة سمعون أن المطايا جاهزة لنقل الرؤساء إلى حرم الصنم عوض لإبرام العهد المقدس والتصالح والتضامن بين الفرقاء الذين يخصهم الأمر. ويخرج الحاضرون من القاعة تتقدمهم الملكة سمعون، ويتوجهون إلى الصنم في منطقة هيام، والتي تنطق الآن (يمعوض)، ومعنى كلمة هيام؛ المقر، وعوض اسم الصنم أي



من الجدير بالذكر أن تسعة وعشرين ألفاً من قضاة كانوا هم الذين فتحوا مصر، كما أنهم انفردوا بفتح الإسكندرية بعد أن طردوا الرومان منها، فكان عمرو بن العاص يقول معجباً "يا لقضاة إنها تَقْتُل ولا تُقْتَل".

قد تقصت حالتك ووجدتك صادقاً فيما
قُلْتَهُ فأصبحتَ في حلٍّ من النذر
السابق. فصاح الشائب فرحاً.. يا ألهة
السماء أغمري بنعمتك مليكتنا
الصالحة سمعون، وذرفت عيناه
الدموع، فشرق بدمعه ولم يقو على
مواصلة الكلام ومسح الدموع
المتحدرة على خديه براحة كفه الأيمن
وانصرف يدق الأرض بعكازه حتى
توارى عن الأنظار وهو يقول سأحضر
نذري الجديد بكرة الغد بدون تأخير،
ليبارك الصنم عوض مليكتنا الرحيمة
سمعون. وتقدمت امرأة أخرى بناقتين
منيحتين للصنم إذا عاد زوجها سالماً
من المعركة، وهو أحد المقاتلين في
جيش سمعون.. وهكذا توالى مقدمو
النذور، وتقدمت امرأة عليها سيما
اليسار واسمها زهرة الربيع، وقالت
للسادن: إنها نذرت للصنم بعشر نياق
إذا انتصرت قضاة على الأعداء كندة،
ثم قالت نذرت للصنم بكسوة إذا عاد
أولادي الأربعة من المعركة سالمين،
وهم مقساتلون في جيش الملكة
سمعون، وتقدمت امرأة اسمها شمة
بنت رقمان الجرمية القضاية بناقتين
منيحتين للصنم إذا انتصرت قضاة
على الأعداء كندة. وهكذا توالى
مقدمو النذور لصنمهم عوض حتى
آخر النهار.

ومرت الأيام وكانت أنباء المعارك بين
قضاة وكندة تأتي إلى الشجر مشوهة

عال: نعم.. فقال السادن: إن عليك نذراً
سابقاً لم تف به للصنم وهو وعل وثور
أملأ في إصلاح زراعتك، وقد علمنا أن
الموسم لديك كان وافراً ولكنك لم
تؤد ما عليك. فأجاب النطح: حقاً ما
قلته أيها السادن، ولكني لم أستطع أن
أقنص الوعل ولذا لم أتقدم بنذر
ناقص، ثم قال وكما ذكرت يا أكيل
زراعتي تحسنت فرأيت أن أفلح أرضاً
جديدة، ووجدت أنني بحاجة إلى الثور
لأحرث الأرض الجديدة، فهل تظن أن
الصنم غاضب علي. فقال السادن: نعم
الصنم غاضب عليك؛ لأنك قصرت في
استضافة زائريه. فسأل الشائب والحل،
فأجاب السادن الحل هو الوفاء، وإلا
طبقنا عليك العقوبة بقانون النذور..
فتساءل الشائب متخوفاً عقوبة قانون
النذور؟ فقال السادن: أجل عقوبة
قانون النذور، وهي صارمة جداً.
فتساءل الشائب ماذا تعني بذلك؟
فأجاب السادن: استنزل عليك اللعنة
لتصاب بمكروه في حالك ومالك. فقال
الشائب آبيت اللعن أيها السادن لا قبلَ
لي بمثل هذه العقوبة، أعدك أنني
سأحضر الثور غداً وإلى جانبه ثور آخر
في محل الوعل. فضحك السادن وقال
لا حاجة بك أيها النطح أن تفعل ذلك
لأننا قد عرضنا قضيتك على الملكة
سمعون بوصفها الرئيسة الأعلى
لسدانة الصنم، فقامت هي بتقديم
الوعل والثور نيابة عنك؛ لأنها كانت

ثم طلب غوث بن فلهوم من الكاهن
أن يسجل نذراً من "ماء السماء" أم
الملكة سمعون قدره عشرة ثيران
وعشرون كيساً من البر وخمسون
جراباً من التمر الزائل للصنم بأن يعود
أبناؤها الغاشم ورواس من الحرب
سالمين، وأن يكتب لجيش قضاة
وحلفائها النصر على كندة المعتدين.
كما نذرت "ماء السماء" أن تخدم
ابنتها المخيلة والزينة زائري المعبد
طيلة أيام الزيارة.

كان غوث بن فلهوم يتحدث،
والسادن يُقيد كل ما يقوله ثم أردف
غوث قائلاً: إنني أرجو من السادن أكيل
بن عوف أن يسجل نذرين: أحدهما من
أخت الملكة المخيلة وعمرها (١٩ سنة)،
والثاني من أخت الملكة الزينة
وعمرها (١٨ سنة)، ونذرهما أنهما
سوف ترقصان رقصة التنويش في
ساحة النذور عند الصنم إذا تحقق
النصر لأبطال قضاة وحلفائها ضد
كندة المعتدين وعاد إخوانهما رواس
وغاشم سالمين من الحرب. وقد سجل
السادن هذين النذرين. ثم نادى
السادن في الجمع تاركاً المجال لمن
أراد الانتذار. فتقدمت امرأة وقالت
إنني الرعد بنت قحطان، وقد نذرت
للصنم عوض بثور طعاماً لضيوف
الصنم إذا تحقق النصر لرجالنا على
الملاعين كندة. ثم تقدمت فتاة شابة
أن اسمي مزنة بنت الصبح نذرت
للصنم أن أرقص عارية إلا ما يستر
العورة والثديين في ساحة النذور إذا
انتصرنا على أعدائنا كندة. ثم تقدم
رجل مسن يتوكأ على عكازه وهو
منحني الظهر ويقول اسمي النطح بن
هبورك، لقد انتذرت بأربع منايح غنم
لضيوف الصنم شراباً إذا انتصرنا على
الأعداء كندة.

فخاطبه السادن قائلاً: يا النطح،
فأجاب الشائب المنحني الظهر بصوت



رجال أشـاوس كانوا عماد جيوش الفتوح الإسلامية في شمال أفريقيا والأندلس.

وفي نظري أن أعظم شخصية قضائية في القرن الأول الإسلامي كان سليمان سعد الخشمي القضاعي، الذي عرّب دواوين الدولة الإسلامية، أي أنه هو الذي جعل اللغة العربية للغة الرسمية في الدواوين في العراق والشام ومصر، بعد أن كانت الفارسية لغة الدواوين الإسلامية في العراق. والسريانية لغة الدواوين الإسلامية في الشام. والقبطية لغة الدواوين الإسلامية في مصر.

إن هذه الخطوة الكبرى التي حققها سليمان سعد الخشمي القضاعي على عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان بجعل اللغة العربية لغة الدواوين في مؤسسات الدولة الإسلامية كلها في العراق والشام ومصر، هذه الخطوة العظيمة كانت العامل الثاني بعد القرآن الكريم في نشر اللغة العربية في ربوع العالم الإسلامي آنذاك. وقد كافأ الخليفة عبد الملك بن مروان سليمان بن سعد الخشمي القضاعي بأن أعطاه خراج فلسطين لمدة سنة جزاء إنجازته تعريب الدواوين الإسلامية في مدة لا تتجاوز ثلاث سنين.

ذلك جزء بسيط جداً من تاريخ الشجر القديم. إنها حقائق تاريخية ممزوجة بالأسطورة التي لا بد وأنها كانت حقيقة تاريخية في يوم من الأيام، ثم أصبحت مع تقادم الزمن وكأنها أحداث مفقولة ليس لها ما يسند لها من دليل إلا أن الابن ينقلها عن الأب، والأب ينقلها عن الجد إلى أن وصلت إلينا أخبارهم أو الصورة التي روينها لكم هنا...

* محاضرة للمكاتب عن ملكة الشجر القضائية (سمعون).

بعودة رجاله سالمين إليه، ومنهم من كانوا يرفعون أكفهم بالدعاء لآمال كانت تحاك في صدورهم ولم تحقق بعد، ومنهم وهم الأكثرية من الشباب كان قد استخففتهم فرحة النصر فكانوا سعداء بكل ما كان يدور حولهم من أنس وسرور. وفي عصر اليوم الخامس اجتمع الناس في ساحة قصر المنيف وتحدثت الملكة سمعون إلى الجماهير شارحة الحوادث التي مرت بالبلاد وكيف أن النصر كان حليفهم. وشكرت كل الحاضرين والغائبين وأشارت إلى التضامن القائم بين بني عليان وحلفائهم، وبما قدمه الشهداء من تضحيات في سبيل نصرة الوطن، وكذلك أخبرتهم باستشهاد أخويها الغاشم ورواس، ثم طلبت من الجميع أن ينصرفوا إلى أعمالهم العادية في اليوم التالي.

وظلت قضاة وظلت الشجر في يدي آل عليان لحماً ودماً إلى أن استولى عليها المهرة.

ذلك من أمر قضاة في الجاهلية.. ويحتم علينا الواجب التاريخي أن نذكر طرفاً مما كان لقضاة في صدر الإسلام.

قضاة في صدر الإسلام

لقد اعتنقت قضاة الإسلام في العام العاشر من الهجرة، فكانت سنداً كبيراً للإسلام، وكان منهم الصحابة والتابعون والقادة والمجاهدون في سبيل الله. ثم كانوا في طليعة الجيش الإسلامي الذي فتح مصر. ومن الجدير بالذكر أن تسعة وعشرين ألفاً من قضاة كانوا هم الذين فتحوا مصر إلى جانب إخوتهم اليمانيين الآخرين، كما أنهم انفردوا بفتح الإسكندرية بعد أن طردوا الرومان منها، فكان عمرو بن العاص يقول معجباً -وهو يشاهد شبان قضاة تفتحم سور الإسكندرية على الروم-: يا لقضاة إنها تَقْتُلُ ولا تُقْتَلُ.. ثم برز من قضاة

أحياناً ومبتورة أحياناً أخرى حتى كان أحد الأيام من نجم الذراع أي في المنتصف الثاني من شهر يناير حينما دق طبل الملكة سمعون بالشجر، فهرع الناس إليه وتجمعوا حوله، وكان لا يدق طبل الملكة إلا لنشر أخبار وطنية سارة. فأخبرهم الطبال أن أهالي المدينة مطلوبون بالحضور عصر اليوم إلى ساحة القصر. وفي عصر اليوم أعلنت الملكة سمعون على الحشد الكبير الذي تجمع حول قصرها المنيف نبأ النصر المؤزر الذي أحرزته قضاة وحلفاؤها ضد كندة بأقل الخسائر في صفوف قضاة وحلفائها، وبخسائر فادحة في جانب الأعداء كندة.. وفي صباح اليوم الثاني وهو ليلة طلوع البدر ليلة النصف من الشهر القمري، خرج معظم سكان مدينة الشجر إلى يمعوض تتقدمهم الملكة سمعون ورئيس وأعضاء مجلسها الاستشاري، فنحروا ذبائح النذور، فأكل الناس وشربوا هنيئاً مريئاً مستبشرين بالنصر، وفي العصر افتتحت الملكة سمعون مهرجان ألعاب الرقص الشعبي في عييات للرجال وهي الزوامل والشروحات وغيرها. وعند بزوغ القمر خرجت البنات الأ Bakar في صفوف على ساحة الرقص ورحن يرقصن رقصات وثنية على الهبيش بعضهم نصف عاريات، والبعض منهن كاسيات وكن ينعشن وينوشن والفرح والسرور قد عم الجميع.

واستمرت الأفراح ثلاثة أيام بلياليها.. وفي صباح اليوم الرابع ذهب عامة الناس في طواف حول حرم الصنم عوض، وكان من بينهم من يبكي رجاله الذين استشهدوا في المعركة، ومن بين الذين استشهدوا في المعركة الغاشم ورواس أخوا الملكة سمعون، وبينهم من كان مبتهجاً

الدور التنويري لـ (جمعية الأخوة والمعاونة)



تعد (جمعية الأخوة والمعاونة) من الجمعيات الإصلاحية في حضرموت بعامة وتريم بخاصة، وقد أنشئت نتيجة ذبول همم رجال (جمعية الحق) (١)، حيث أقدم لفيف من الشباب - وكان منهم طلاب جمعية الحق، ومن هؤلاء: عمر -محضار- بن علوي الكاف، ومحمد بن أحمد الشاطري، ومحمد بن سالم السري، وعلي بن شيخ بلقييه، ومحمد بن علي بلقييه، وعبدالله بن حسن الشاطري- على تأسيسها سنة ١٣٤٨ هـ. وظل عملها سرياً حتى سنة ١٣٥٠ هـ. عندما أعلنوا اسمها ونشروا دستورها ولوائحها الداخلية وفتح مركزها، وقد اعتمدت العمل الجماعي المنظم من الشباب المثقف بدلاً من الأعيان، وركزت في مرحلتها الأولى على النشاط التربوي والثقافي، ونشر الوعي في أوساط الشباب، ولم تقفز إلى العمل السياسي رغم أن التغير الشامل للأوضاع السائدة بحضرموت كان من أهدافها الأولى (٢).

عمر بن شيخ الكاف، علوي بن حسن العيدروس، سالم بن عبدالله العطاس، عبدالله بن حسين العطاس، موسى الكاظم بن يحيى عبدالرحمن بن طاهر، أحمد بن محمد بن شهاب، حسين بن أبي بكر بن يحيى، سالم البار الحبشي، برك بن عوض بلسعد، محمد بن هاشم بن طاهر، علي بن عقيل بن يحيى، حسين بن عبدالقادر بن يحيى، حسين بن عبدالقادر الكاف، صالح الكثيري (٣).

قامت الجمعية بالعديد من الإصلاحات في جميع جوانب الحياة بما فيها التعليمية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية، ومنها:

عبدالله بن سهل، شيخ بن عبدالرحمن الكاف، إبراهيم بن عمر بن يحيى، مشهور الجنيد، أحمد حامد بن يحيى، زين بن شيخ بلقييه، محمد بن سالم بن حفيظ، أحمد بن علي الكاف، أحمد بن عبدالله بلقييه، عبدالله بن محمد بن شهاب، هود بن أحمد بن سميط، محمد بن علي بن زين الهادي، أحمد بن عبدالقادر الجنيد، عيدروس بن أحمد فدعق، سالم بن علوي خرد، محمد بن أحمد بن يحيى، أحمد بن علي الجنيد، عبدالله بن علي الشيخ أبي بكر، محمد بن حسين الكاف، علي بن عبدالله بن سميط، أبو بكر بن حسين العطاس، أحمد بن زين بلقييه، عبدالقادر بن شيخ بن يحيى، علي بن



د. محمد يسلم عبدالنور*

لم يمض على تأسيس الجمعية بضعة أشهر حتى انخرط فيها عدد كبير من الشباب المثقف من البلاد أو خارجها، ومن أشهر هؤلاء:

علوي بن زين بلقييه، محمد بن عبدالقادر الحداد، إبراهيم بن عبدالقادر بلقييه، عمر بن سهل بن



سنة ١٣٥٢ هـ، لتعليم علوم القرآن، واللغة العربية، والتربية الإسلامية، والاجتماعيات، والحساب، أي إنها جمعت بين التعاليم الدينية وما تبعها من أخلاق وآداب وبــــين التعاليم العصرية من لغوية وغيرها، ليكفل الطالب أن يحصل على ما يفيد دينياً ودنياً، ويزينه في المجالس والمحافل (٧)، وكان التعليم فيها مجانياً، ومن متولي إدارتها علي بن شيخ بلفقيه الذي عاد من سنغافورة عام ١٩٤٠ م، وتولى إدارتها لمدة خمس سنوات (٨)، وقد تولى التدريس في تلك المدرسة مجموعة كبيرة من الأساتذة، نتحفا المصادر بذكر بعض منهم، ومنهم: محمد بن سالم بن حفيظ، سعيد بن سالمين الحبشي، توفيق بن فرج أمان (٩)، محمد بن عبدالله بن حسين العيدروس (١٠)، حامد بن محمد بن سالم السري (١١)، عبدالرحمن بن علي بلفقيه، سالم بن عبدالرحمن الدويلة بافضل، أحمد بن علي الكاف (ت ١٣٩٢ هـ)، إبراهيم بن عبدالقادر بلفقيه، أحمد بن علي الجنيدي، حبشي بن عبدالقادر الجنيدي، محمد بن علي بلفقيه، عبدالله بن علي بن الشيخ أبي بكر، علوي بن زين بلفقيه، مبارك بن عمير باحريش، محمد عديد بن سالم السري، محمد بن أحمد الشاطري، علي بن عبدالرحمن الخطيب (١٢)، حسن بن سقاف بن عبدالرحمن الكاف (ت ١٤٢٨ هـ).

ومن الجدير ذكره أنه في يوم الخميس -نهاية الأسبوع- تعقد جلسة أدبية في المدرسة، تجري فيها المسابقات التعليمية، وتتخللها التوجيهات والنصائح، وإلقاء الكلمات والخطب بصورة ارتجالية، وذلك لتدريب الطلاب على الخطابة (١٣)، ظلت المدرسة سائرة ومستمرة في تنفيذ دروسها حتى سنة ١٣٧٤ هـ،

الذي أبدى استعداده بتزويدهم بالمدرسين المصريين والكتب المدرسية، غير أن الحكومة البريطانية رفضت منحهم تأشيرة الدخول إلى الوطن، وقد قابل الوفد في العام نفسه الملك عبدالعزيز بن سعود (٥) وممثلين من الأغنياء الحضارم في السعودية، وحصلوا على تبرعات مالية صرفت في بناء المدرسة.



الأستاذ/ محمد بن أحمد الشاطري
رئيس جمعية الأخوة والمعاونة

٨- شاركت الجمعية في مؤتمر البدع سنة ١٩٦٧ م إبان الصراع بين الجبهة القومية وجبهة التحرير بمشاركة الهيئات والأندية المستقلة بوادي حضرموت، ودعوا إلى مصالحة وطنية، ثم تكوين حكومة وحدة وطنية، تضم كل الأطراف في الجنوب، تحت إشراف الأمم المتحدة والجامعة العربية لمدة ثلاث سنوات، وبعدها يتم انتخاب حكومة تجري استفتاءً شعبياً إما بالانضمام إلى الجمهورية العربية اليمنية، في تكوين يمن ديمقراطي موحد وإما ببقاء الجنوب دولة مستقلة (٦).

أما قمة نشاط هذه الجمعية فقد تمثل في الجانب التعليمي والعلمي، وتجلى ذلك في الآتي:

١- إنشاء (مدرسة الأخوة والمعاونة)

١- تأسيس مجلس للفتيا في ٢٥ شعبان ١٣٦١ هـ، هدفه إعداد رجال يقومون بالإفتاء وتولي القضاء الشرعي.

٢- أنشأت لجنة تعمير السدود، وأوكلت رئاستها إلى علي بن شيخ بلفقيه، تولت دعم المزارعين، وشجعت الصناعات الأهلية، وأسست مشروعاً زراعياً كبيراً برأس مال كبير.

٣- أقامت الاحتفالات في المناسبات، من مثل قدوم علم بارز إلى المدينة، أو وفد رسمي، من مثل قدوم بعثة الجامعة المصرية برئاسة الدكتور سليمان الحزين عام ١٣٥٥ هـ، وتأيين العلماء، من مثل أبي بكر بن أحمد الخطيب (ت ١٣٥٦ هـ)، أحمد بن عمر الشاطري (ت ١٣٦٠ هـ)، عبدالله بن عمر الشاطري (ت ١٣٦١ هـ).

٤- حرصت الجمعية أن تبعث مندوبين عنها لحضور المهرجانات والزيارات العامة في حضرموت، مثل زيارة المشهد وقيدون للالتقاء بزعماء القبائل وأعيان البلاد، وزيارة المدارس والأندية والجمعيات الثقافية في وادي حضرموت وساحله، فكان من المندوبين: محمد بن أحمد الشاطري، علي بن شيخ بلفقيه، إبراهيم بن عبدالقادر بلفقيه.

٥- إرسال وفد إلى سنغافورة وإندونيسيا وماليزيا سنة ١٣٥٦ هـ، من ضمنهم محمد بن أحمد الشاطري، وعلي بن شيخ بلفقيه للإصلاح بين الإرشاديين والعلويين ونبد الخلاف.

٦- إنشاء مكتب للرعاية، مهمته توثيق ذلك لانتشاره، وكان عدد موظفي هذا المكتب ثلاثة موظفين، يقومون بضبط جميع المرتبطين بــــذلك من الرضيع والمرضة وإحصائهم وتسجيلهم.

٧- إرسال وفد برئاسة محمد بن أحمد الشاطري إلى مصر سنة ١٩٥٣ م لمقابلة الرئيس جمال عبدالناصر (٤)،



ولم تنشأ المجاعة ولا ويلات الحرب العالمية الثانية (١٤)، غير أنها ضُمَّت إلى التعليم الحكومي سنة ١٩٦٤م، وتغير اسمها سنة ١٩٦٧م إلى مدرسة الأخوة الحكومية (١٥).

٢- تأسيس مدرسة البنات في رمضان سنة ١٣٥٦هـ/ نوفمبر ١٩٣٧م، بعد أن تكفل السيد الثري عمر -محضار- بن علوي الكاف بتمويلها، وانتدب لأستاذيتها إبراهيم بن عبد القادر بلفقيه (١٦)، وقد دفع مدير مدرسة الأخوة علي بن شيخ بلفقيه بنته وقرباته إلى المدرسة (١٧)، وكان اليوم الأول للدراسة هو يوم السبت ١٦ شوال سنة ١٣٥٦هـ/ ١٨ ديسمبر ١٩٣٧م بثمانية تلميذات (١٨)، ومضت سنة كاملة ولم يتجاوز عدد تلميذاتها أربع عشرة تلميذة، ولم يتجاوز عدد التلميذات المائة تلميذة إلا بعد اثني عشرة سنة من افتتاحها، وذلك سنة ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م، وحين تضاعف عدد التلميذات صارت المدرسة تعمل في فترتين: صباحية ومساوية، وأغلقت المدرسة سنة ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م لأسباب لعلها مالية (١٩)، وفي بداية السبعينيات أغلقت بأمر حكومي لكن ما لبثت أن فتحت بمسمى آخر هو المدرسة الابتدائية للبنات أو مدرسة البنات الخيرية يمولها السيد الثري أبوبكر بن حسين الكاف، وتدعمها معارف الدولة الكثيرة.

أما مبنى المدرسة الأول فهو مبنى صغير متواضع عبارة عن صف دراسي واحد في الجزء العلوي من بيت عمر -محضار- الكاف، ما تزال أطلاله قائمة، يقع في حوش الكاف وتحديداً في الجهة الغربية منه، ثم انتقلت إلى بيت علوي بن عمر الحداد المقابل له من الجهة الجنوبية، بعد ذلك انتقل موقع المدرسة إلى البيت المسمى (خميران) للسيد عبد الرحمن بن شيخ الكاف (ت)



الأستاذ/ علي بن شيخ بلفقيه
مدير مدرسة جمعية الأخوة والمعاونة للبنات

عبد الرحمن بن سالم بافضل، علي بن عبد الله بن زين بن سميط، محمد عديد بن سالم السري، محمد بن أحمد بلفقيه، أحمد بن علي بن عبد الرحمن الجنيد، أحمد بن عبد الله بن هارون، مبارك بن عمير باحريش، علي بن عبد الرحمن البكري الخطيب، سالم بن محمد بن عبد القادر باكثر، محمد بن عابدين بن جنيد الجنيد، حسن بن زين بلفقيه، حسين بن محمد رحيم بافضل، حسن بن أحمد العيدروس، حسين بن أحمد العيدروس الصليبية، وعامل الخدمات بها سالم محبوب الهندي (٢١).

وكان لخريجات هذه المدرسة دور في المجتمع الحضرمي وتبوأن مراكز تربوية وتعليمية (٢٢).

٣- تأسيس المدرسة الوسطى التي افتتحت سنة ١٣٨٥هـ/ ١٩٥٢م، وهي أول مدرسة وسطى في وادي حضرموت، وتتكون من أربعة صفوف، وكانت تابعة لمدرسة الأخوة والمعاونة، ثم فصلت عنها ليكون مقرها بيت عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه في حارة الخليف، ثم خصص لها مبنى خاص في منطقة الحاوي

١٣٦٧هـ)، وأخيراً استقرت في موقعها الشهير القائم إلى اليوم غرب مسجد باعلوي والمعروف بـ (دار مدرسة جمعية البنات) (٢٠).

تولى إدارة المدرسة: إبراهيم بن عبد القادر بلفقيه، وعلي بن عبد الله بن سميط (سكرتير الدولة الكثيرة)، وعبد الله بن علي بن سميط (إمام مسجد المحضار)، وآخرهم معلمي وشيخي عمر بن عبد الرحمن بن عبد الله بن شهاب، وممن درّس بها: إبراهيم بن عبد القادر بلفقيه، أحمد بن علي بن أحمد الكاف، عبد القوي بن



السيد الثري محضار بن علوي الكاف
ممول مدرسة جمعية الأخوة والمعاونة للبنات



الأستاذ/ عمر بن عبدالرحمن بن شهاب
آخر مدير للمدرسة

١- منحة دراسية من قبل حكومة العراق، فتم إرسال أربعة من الطلاب وابتعثهم سنة ١٩٣٧ م، وهم: موسى الكاظم بن يحيى، عبدالرحمن بن طاهر، حسن باجابر، ومصطفى الزاهر الذي تخصص في مجال الحقوق والقانون.
٢- منحة دراسية من قبل حكومة سوريا، فتم ابتعاث خمسة من الطلاب سنة ١٩٤٧ م وهم: علي بن عقيل بن يحيى، محمد بن عمر الكاف، عقيل بن محمد بن يحيى، عبدالرحمن بن حسين بن يحيى، كرامة بن مبارك بامؤمن.

وهي ما يسمى اليوم بـ (مدرسة ابن خلدون)، وقصد ترأس إدارة تلك المدرسة أحمد بن زين بلفقيه (ت ١٤١٤ هـ) ومن مدرسيها: يس السوداني، عبد الله بن عمر الكاف، حسين بن عيروس عديد وغيرهم (٢٣)، وقام بالتدريس فيها الوافدون من الجمعية للدراسة في العراق بعد تخرجهم من جامعة بغداد وعودتهم إلى تريم كعبدالرحمن بن طاهر، وموسى الكاظم بن يحيى، وأحمد بن زين بلفقيه، وتوفيق أمان، وأحمد بن هارون بن شهاب، بمنهج عراقي لتدريس العلوم الطبيعية والرياضيات والاجتماعيات واللغة العربية والإنجليزية والتربية الإسلامية، وقد تخرجت في هذه المدرسة دفعة يقيمة واحدة بالشهادة المتوسطة ثم توقفت لأسباب اقتصادية (٢٤).

٤- تأسيس معهد المعلمين في ٢٤ محرم ١٣٦٠ هـ هدفه تدريب المدرسين وتأهيلهم، وقد افتتح بعشرين طالباً، تولى تدريسهم ثلاثة من أساتذة الجمعية (٢٥).
٥- حصول الجمعية على منح دراسية من بعض الدول العربية كانت على النحو الآتي:



الموقع الأول لمدرسة جمعية الأخوة والمعاونة للبنات في مدينة تريم بجوار دار السيد محضار الكاف بالسحيل ويظهر موقع الصف الأول الذي افتتح بثان تلميذات.



٣- منحة دراسية من قبل حكومة الكويت، لم تفصح المصادر المتاحة عن معلومات عنها.

وقد كلفت هذه المنحة الدراسية والابتعاث الخارجي الجمعية المبالغ الضخمة (٢٦).

٦- قيام الجمعية بنشاط واسع ومكثف في مجال الدعوة إلى الله في المدينة وفي البوادي والضواحي والقرى المجاورة لها، وكانت لها خمسة من الدعاة حملوا على عاتقهم ذلك النشاط، الذي امتد ليشمل أبعد تلك البوادي والصحاري؛ بل وصلوا بنشاطهم إلى أعالي هضاب حضرموت، حيث كانت رحلاتهم تلك تستغرق الأيام والشهور، ولاقوا ما لاقوه في سبيل نجاح ذلك من بُعد ومشقة الطريق ووعورتها وقلة الزاد وتقلبات المناخ، ولم تكتف الجمعية بهذا النشاط فحسب بل تعدته إلى بناء مساجد في تلك البوادي (٢٧).

وأختم الحديث عن هذه الجمعية بإشادة عبدالرحمن بن عبيد الله السقااف لها بقوله: «إن لها جداً ونشاطاً، وحصل منها بنشر الدعوة في البوادي خير كثير، وقمة آثارها النادي العلمي بسيئون؛ فإنه أخذ من النشاط في الخير والتعليم بالنصيب الأوفى، قرن الله المساعي بالخير والتوفيق» (٢٨)، والحديث في هذا يطول...

* أستاذ التاريخ الاسلامي وحضارته المشارك - جامعة حضرموت.

الهوامش:

(١) جمعية الحق: من أشهر الجمعيات الحضرمية وأكبرها. وكان لها شأن كبير، وهي بمثابة حزب سياسي واجتماعي وعلمي له أثر على الحياة، ويعد حسن بن عبدالله بن عبدالرحمن الكاف (ت ١٣٤٦ هـ)، وعبدالرحمن بن شيخ بن عبدالرحمن الكاف (ت ١٣٦٧ هـ) مؤسسي

هذه الجمعية، وقد تأسست في ٢١ ذو القعدة الحرام سنة ١٣٣٣ هـ.

(٢) الدور الكافي، ص ١٨٧، تأبين الشاطري، ص ١٤، التعليم النظامي، ص ٢٢، تريم بين الماضي والحاضر، ص ٢٠٢.

(٣) تريم بين الماضي والحاضر، ص ٢٠٣-٢٠٥.

(٤) جمال عبدالناصر: الرئيس الثاني لجمهورية مصر العربية، قام بالانقلاب على الملكية في مصر بمشاركة تنظيم الضباط الأحرار وجماعة الإخوان المسلمين، فأنهى الملكية وأقام الجمهورية، واتفق مع الإنجليز على الجلاء من مصر، وانقلب على محمد نجيب أول رئيس للجمهورية بعد الاختلاف معه حول الديمقراطية وتطبيقها في مصر، وانقلب على جماعة الإخوان المسلمين بعد اتهامهم بمحاولة اغتياله، توفي سنة ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م.

(٥) عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود، ملك المملكة العربية السعودية الأول، ومنشئها، وأحدر جالات الدهر. كانت بينه وبين الملك حسين بن علي الهاشمي، وابنه علي بن الحسين، أحداث انتهت بالقضاء على دولة الهاشميين في الحجاز سنة ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٥ م، وأصبحت مكة عاصمة آل سعود. نودي به ملكاً على الحجاز ونجد، توفي بالطائف، ودفن في الرياض سنة ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٣ م، وخلفه ابنه الملك سعود الأول.

(٦) تأبين الشاطري، ص ١٥، ١٦، تريم بين الماضي والحاضر، ص ٢١٢-٢١٧.

(٧) الدور الكافي، ص ١٨٨.

(٨) التعليم النظامي، ص ٢٢.

(٩) العقود الجاهزة، ص ٥١، ٦٦، ٦٨.

(١٠) مجلة (الإخاء)، عدد (٨).

(١١) الطيب العنبري، ص ٦٨.

(١٢) التعليم في وادي حضرموت، ص ٢٢٨.

(١٣) التعليم في وادي حضرموت، ص ٢٢٧.

(١٤) الدور الكافي، ص ١٨٨.

(١٥) التعليم في وادي حضرموت، ص ٢٢٨، ٢٠٩.

(١٦) التقرير السنوي لجمعية الأخوة

والمعاونة ١٩٣٨ م.

(١٧) وفعل بلفقيه هذا يذكرنا بما عمله الشيخ عبدالله بن أحمد الناجي حين افتتح أول مدرسة للبنات في المكلا سنة ١٩٣٦ م، حيث بدأت المدرسة بأربع تلميذات كان من بينهن ابنته الكبرى فاطمة (عبودة)، وصفية اليماني.

(١٨) منهن: أمينة بنت كرامة حداد، زينب بنت علي بن شيخ بلفقيه، سالية بنت سالم عليوة، شيخة بنت عبدالله بن أبي بكر بلفقيه، علوية بنت عبدالرحمن بن محمد بن أبي بكر بلفقيه، فاطمة بنت عبدالقادر بن يحيى، نور بنت عيدروس بن أحمد فدعق (تعليم الفتاة في حضرموت، ص ٤٠).

(١٩) التربية والتعليم في الشطر الجنوبي، ص ١٣٣ / ١.

(٢٠) تعليم الفتاة في حضرموت، ص ٢٨.

(٢١) تعليم الفتاة، ص ٣٦، تريم بين الحاضر والماضي، ص ٢٠١، التعليم في وادي حضرموت، ص ٢٢٦.

(٢٢) ومن أشهرهن وأبرزهن: زينب بنت علي بن شيخ بلفقيه (مديرة لأول مدرسة ابتدائية حكومية للبنات في سيئون ١٩٥١ م)، نوران بنت علوي الكاف (مديرة لمدرسة البنات الحكومية في تريم ١٩٦٦ م)، فضلاً عن غيرهن من الملمات في المدارس الحكومية النظامية وفي الملمات والكتاتيب من أمثال: علوية بنت عبدالرحمن بن محمد بلفقيه، عاشوراء بنت محفوظ بن عوض باعوضان، فاطمة بنت علي بن شيخ بلفقيه، آسيا بنت حسن الكاف، أمينة بنت أحمد بن عبدالرحمن الخطيب، ورقية (عميرة) بنت عمر الهدار. ينظر: تعليم الفتاة، ص ٤٣.

(٢٣) تريم بين الحاضر والماضي، ص ٢٣٥، ٢٣٩.

(٢٤) الاتحاد، ص ١٣٥.

(٢٥) تريم بين الحاضر والماضي، ص ٢١١.

(٢٦) التعليم النظامي، ص ١١٥، بسقة الخريف، ص ٩٩.

(٢٧) تريم بين الحاضر والماضي، ص ٢١٣.

(٢٨) بضائع التابوت ٣ / ٣٢٤.



كنت هناك.. في مستوطنة ريبون وفي بعض المواقع الدوعنية العتيقة



على هامش الندوة العلمية لمركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر المعنونة بـ (المظاهر الحضارية العسكرية التقليدية في حضرموت)، المقامة في مدينة شبام التاريخية بتاريخ (٢٧-٢٨ أكتوبر ٢٠١٨م)، وفي أثناء وجودنا في وادي حضرموت وفي طريق عودتنا إلى المكلا قمنا بزيارة بعض المدن والأماكن والمواقع الأثرية والتاريخية، وأهمها واحة ريبون العتيقة وبقايا مستوطنتها الأثرية، وذلك في يوم الإثنين (٢٩ أكتوبر ٢٠١٨م)، ورافقنا في الزيارة بل كان مرشدنا فيها الأستاذ رياض أحمد باكرموم، وهو من أبناء دوعن والمدير العام للهيئة العامة للآثار والمتاحف والمخطوطات بحضرموت، وزرنا خلالها بعض المدن والقرى والمواقع الأثرية.

كذلك مررنا بالهجرين بوابة وادي دوعن، وهي من المدن التاريخية التي يعود تاريخها إلى ما قبل الإسلام، وبها العديد من الآثار التاريخية. ومنها إلى بلدة صيلع التاريخية، التي ربما يعود تاريخها إلى ما قبل الإسلام، وذكرت بعض الروايات التاريخية أن بلدة صيلع بناها بدر أبو طويرق الكثيري سنة ٩٤١هـ، وأسكن فيها آل محفوظ وآل باداس، وتقع صيلع على ارتفاع شامخ يصل إليها اليوم ساكنوها عبر عقبة، عمل على شقها وسفلتها أحد أبنائها

في رحاب بعض المواضع الدوعنية العتيقة:

في طريق عودتنا من شبام إلى المكلا عبر الدروب الدوعنية قمنا بزيارة بعض المواقع الأثرية والتاريخية، ومنها قرية المشهد للسيد علي بن حسن العطاس (ت ١١٦٠هـ / ١٧٤٧م) المتوفى فيها وبها مشهده الذي تقام له زيارة سنوية في شهر ربيع الأول من كل عام، ومن أبرز معالم المشهد قباب العطاس الثلاث وتابوته الخشبي المزخرف، وقد تعرضت هذه القباب في عام ٢٠١٥م لمحاولات الهدم والطمس.



أ.د. محمد بن هاوي باوزير*



الخيرين، ومن أعلى عقبة صيلع تشاهد العديد من مدن وادي دوعن وقراه... إنها صيلع إحدى مناطق الهجرين التاريخية بالوادي الجميل بالقرب من أطلال دمون، ومنها ورد الخبر على امرئ القيس بمقتل أبيه حجر الكندي فقال:

أتاني وأصحابي على راس صيلع

حدث أطار النوم عنى فأفعم

فقلت لنجلي بعدما قد أتى به

تبين وبين لي الحديث المجمعما

فقال أبيت اللعن عمرو وكاهل

أباحوا حمى حجر فأصبح مسلما
وعلى طول الطريق كنا نشاهد
بانوراما بديعة لمناظر أودية دوعن
وأشجار النخيل الكثيفة، وكذا المباني
الدوينة التقليدية، وفيها المصانع أو
القصور التقليدية البديعة كقصور آل
العمودي في قبيدون وصيف، وآل
بقشان الحالكة في خيلة، التي تربط
بين وادي دوعن ومدن ساحل
حضر موت، وصولاً إلى منتجع حيد
الجزيل المكوّن من ٢٤ شاليهاً، وبني
على الطراز المعماري التقليدي الحضرمي
(عمارة الطين)، وهي آخر محطة لنا
في وادي دوعن في طريقنا إلى
المكلا، ومن هناك كنا نشاهد المنظر
البانورامي البديع لبطن الوادي، الذي
توسطه قرية حيد الجزيل (وبحسب
الروايات أن عدد سكان القرية ١٧
نسمة تقريباً، وعدد الأسر ثلاث أسر،
ويقال إن عدد الإناث أكثر من الذكور
في القرية). وبعد استراحة الغداء في
منتجع حيد الجزيل واصلنا السير إلى
المكلا، وفي اليوم الثاني الثلاثاء ٣٠
أكتوبر غادرنا إلى عدن.

وبعد هذه الجولة الممتعة في رحاب
بعض المدن والقرى والمواقع الدوينة
التاريخية نعود إلى موضوعنا وهو:

واحة ريبون:

وهي من المواقع الأثرية التاريخية
المهمة في حضرموت، تقع أطلال
مدينة ريبون أسفل وادي دوعن،
وكانت ريبون في الماضي مركزاً
زراعياً واسعاً في الوادي ومزودة
بشبكة وتقنية ري معقدة.. وقد زارت
هذه المواضع عدد من بعثات التنقيب
الأثرية، ومنها البعثة الفرنسية، والبعثة
اليمنية - السوفيتية، وقد اكتشفوا
الكثير من المعالم واللقى الأثرية،
وعلى سبيل المثال: اكتشفوا عدداً
من المباني الدينية (المعابد)، والعثور
على الكثير من النقوش الوثائقية،
والقطع الفخارية، بل يعد هذا الموقع
هو الأكثر غنى بكمية الفخار المصقول
جيداً، ذات اللون البرتقالي الفاتح، غير
أن الأصبغة الحمراء هي الأكثر
انتشاراً، وقد شاهدنا كميات كبيرة
من كسرات الفخار متناثرة هنا وهناك،
وأخذنا عينات منها.

كما تبين من خلال المسوحات
والدراسات الأثرية أن واحة ريبون
تتضمن أربع مستوطنات ضخمة،
تحيط بها بقايا حقول قديمة، وشبكة
ري متطورة، ومدافن كبيرة قديمة،
 وعدة معابد تقع قرب المستوطنات
وعلى منحدرات الجبال، ويوجد في

المستوطنة الرئيسية (ريبون) أكثر من
ثلاثين مجموعة بناء سكنية ودينية
وعدة آبار. ولعل الحفريات التي قامت
بها البعثة اليمنية السوفيتية في هذه
المستوطنة خلال الأعوام (١٩٨٣ -
١٩٨٥م)، قد أعطت الكثير من المواد
التاريخية الحضارية، التي تتيح البدء
بالدراسة الشاملة لتاريخ مختلف
جوانب حياة هذه المدينة الكبيرة في
جنوب الجزيرة العربية خلال الألف
الأول قبل الميلاد والقرون الأولى
للميلاد. والتي كانت بمثابة مستوطنة
مركزية لمجموعة كبيرة من السكان
العاملين في المجال الزراعي وشبكة
ري متطورة، بل تم الكشف عن معبد
في الضاحية الشمالية مكرس لآلهة
الخصب عثتر (عثترم ذات حضران)،
ولعل هذا يؤكد أن المنطقة خصبة
زراعياً، وأن أغلب سكانها يشغلون
في الزراعة، وأنها تمثل منطقة زراعية
كثيفة السكان، وإلى اليوم تنتشر في
الواحة الأراضي الزراعية.

أما نقوش ريبون فنجدتها تذكر عدداً
كبيراً من أسماء سكان المستوطنة
القديمة، وهناك من النقوش التي
تتحدث عن الحياة الثقافية لهذه
المنطقة الكبيرة المزدهرة في
العصور القديمة.



بالإضافة إلى الحفريات في المدينة الكبيرة ريبون أجريت أعمال تنقيب في ضواحيها، وكانت من نتائج هذه الأعمال الكشف على عدة مجموعات أثرية كبيرة، بما في ذلك مدافن صخرية كبيرة، وأنقاض معابد آلهة حضرموت كإله القمر سين، وبقايا مستوطنات صغيرة، ومجموعة قبور أرضية.

وهكذا وبعد استنطاق مواد الحفريات الأثرية والنقوش وغيرها من المكتشفات في ريبون ودراستها فقد أتاحت رسم الملامح العامة لمظهر المدينة القديمة، وتاريخ تطورها، الذي عكس -على ما يبدو- مصير منطقة حضرموت كلها خلال الحقبة الواقعة بين القرن السابع قبل الميلاد والقرن الرابع الميلادي. وتبين أيضاً أن المدينة قد شهدت ثلاث مراحل ازدهار، تخللها فترات ركود وانحطاط، كانت تأتي عادة بعد حروب ضارية، وحرائق كبيرة تسببت في إبادتها.

أما ما يميز واحة ريبون فإن هذه الواحة القائمة على المجرى الأسفل لوادي دوعن ربما كانت أحد المراكز الأساسية للحياة الدينية داخل حضرموت، وذلك أن أحد الملامح المميزة لهذه الواحة القديمة هو كثرة المباني الدينية فيها (المعابد)، وتحتل هذه المعابد مكانة خاصة في الحياة الاجتماعية العامة والخاصة لسكان ريبون، ولذلك أعطت البعثة السوفيتية العلمية للآثار والدراسات التاريخية اهتماماً كبيراً للمعابد، وكشفت التنقيبات عن معبدتين للآلهة المحلية، بالإضافة إلى ذلك كشفت التنقيبات عن عدة حرم ومعابد مكرسة للإله سين متناثرة على الأراضي الزراعية والمقابر القديمة، فضلاً عن ذلك كان لكل مكان معمر في الواحة معبده

السلطات المحلية بحضرموت وتجاهلها، والأهالي وبخاصة أهل وادي دوعن.

وقد شاهدنا بأم أعيننا العديد من الآليات تنتهك حرمة الواحة، وتعمل فيها بهدف استصلاح الأراضي الزراعية، كذلك شاهدنا محاولات الحفر في بعض المواقع الأثرية بريبون ربما بهدف البحث عن الآثار.. لذلك نحن كأكاديميين ومثقفين نناشد الأهالي بوقف هذا العبث وحماية تراثهم الأثري والتاريخي والحفاظ عليه، إذا كان لا بد من الاستفادة من أراضي الواحة للزراعة فعلى الأهالي المستفيدين من أراضي الواحة أن يحافظوا على المواقع التي تحوي بقايا أثرية وإحاطتها بسيياج، كما نناشد السلطات المحلية بحضرموت للنظر في أهمية ذلك، والعمل على الحفاظ على ما تبقى من هذا الإرث التاريخي.

المكرس للإله سين إله حضرموت الأكبر. وقد تطورت هذه المعابد من مجرد مبان من الطوب إلى مبان ضخمة على سطوح حجرية، وإلى مجموعات واسعة للعبادة، مكونة من عدة مبان، ذات وظائف متنوعة.

واحة ريبون اليوم:

بعد الانتهاء من أعمال الندوة العلمية في شبام (٢٧ - ٢٨ أكتوبر)، ومغادرتنا شبام في طريقنا إلى المكلا، قمنا بزيارة واحة ريبون ويرافقنا الأستاذ رياض أحمد باكرموم مدير الهيئة العامة للآثار والمتاحف، وأطلعنا على بقايا الأطلال للعديد من المباني السكنية والدينية (المعابد)، ووجدنا أن الإرث الأثري التاريخي الحضرمي يستغيث وكأنه يناجينا ويستنجد بنا، يحدثنا على ما هو عليه من إهمال وتجاهل واعتداء وبسط بقصد أو بغير قصد في ظل عدم الاهتمام وخاصة تقاعس

هل كان الشيخ سعد بن علي مدحج شاعراً؟؟



تناول الكثير من المؤرخين المتأخرين إثبات أشعار حمينية للشيخ العالم الزاهد سعد بن علي مدحج المتوفى بمدينة تريم سنة ٨٥٧ هجرية. مع أن الكتب والمصادر التي عاصرت حياته لم تشر إلى شاعريته هذه أبداً!! مما رابني وحملني على كتابة هذا السطور.

عبيد الله في (الإدام) ذكر له نموذجاً واحداً... وعلوي بن طاهر الحداد في (الشامل)... وابن هاشم في (تاريخ الدولة الكثيرة)... وعبد القادر الصبان... وعدد من المتأخرين...

ومصدرهم السماع الشفهي وليس المصادر!!!

فهل يكفي السماع وحده في إثبات شاعريته؟

خامساً: مناقضة كثير مما نسب إليه من شعر... لمرحلته الزمنية التي عاش فيها... فتجده يضاف إليه شعر يصف دولة ما لم يدركها تماماً.. إما هي سابقة له.. أو جاءت بعد وفاته...!!

سادساً: نرى أن من تبني شاعريته يحصرها في أبيات سياسية... وأخرى زراعية... وهذا الأمر مشكل من جهتين. الأولى: أين شعره في الزهد والمديح النبوي والرياء والمحبة والشوق... وهذه الأغراض قريبة من تخصصه حيث ثبت في (البرقة) و(الدر المدهش) أنه مستغرق الوقت في العبادة والصوم والتفكير والخلة والتدريس... والقيام بحاجات الخلق... مع ديمومة الاعتكاف بمسجد سرجيس لكونه حصوراً لم يتزوج...

المباشر لشعره أبداً. ثانياً: (النور السافر) و(المشرع) وما قاربهما من تواريخ القرن العاشر والحادي عشر لم تتعرض لشاعرية الشيخ سعد... مع أن هذا الأمر مهم في شخصية المترجم له.

ثالثاً: لعل قائلًا يقول لعل من ترجموا له لا اهتمام لهم بالشعر ومن ثم أغفلوه وأغفلوا ذكره...!! لأنهم لا

يميلون إلى الشعر ولا يعدونه ركناً من أركان الشخصية المترجم لها...!! وهذا الكلام ليس بصحيح... إذ إن تلميذ الشيخ سعد وهو علي بن أبي بكر السكران كان شاعراً وفي (البرقة) و(الدر المدهش) و(المعارج) كثير من شعره... وكذلك صاحب (النور السافر) كان شاعراً... ونراهم يهتمون بذكر تفاصيل عن حياة الشيخ سعد من ذكر أهم كتب التفسير التي قرئت عليه... وأهم كتب العقيدة... والفقه والسلوك... فعدم ذكرهم لنماذج من شعره يؤكد أنه لم يكن شاعراً... لأنهم لم يذكروا حتى نموذجاً واحداً ولو ركيكاً أو حمينياً.. رابعاً: أكد شاعريته جماعة من المؤرخين المتأخرين فقط كابن



منير بن سالم بازهير

والذي يؤكد أن أشعار الشيخ سعد منتحلة أمور في غاية المنطقية سأذكرها مرتبة ملخصة مركزة على النحو الآتي:

أولاً: أن التراجم المتخصصة في حياة الشيخ سعد ثلاث، كتبت بقلم تلميذه المباشر علي بن أبي بكر السكران، وهي:

الأولى: تُعرف بـ(الدر المدهش البهي في ترجمة الشيخ سعد بن علي).

والثانية: (البرقة المشيقة)، وهي ثبت الشيخ علي بن أبي بكر السكران الذي ترجم فيه لشييوخه، ومنهم الشيخ سعد وأخوه عبد الله.

والثالثة: (معارج الهداية) وهو كتاب يناقش قضايا في السلوك، وذكر فيه الشيخ سعد... وذكر نموذجاً من كلامه.. ولم يتعرض هذا التلميذ



عدم ذكر تلاميذ الشيخ سعد بن علي مدحج لنماذج من شعره يؤكد أنه لم يكن شاعراً، لأنهم لم يذكروا ولو نموجاً واحداً كيلاً وحمينياً من شعره.

من خلال شعره؟؟
أم لإعطاء الأبيات هالة احترام وقبول
وتسليم بين العامة لكون الشخصية
محل احترام وتقدير في التاريخ...؟؟
أم لكونه شاعراً مغموراً لم يطلع
على شاعريته حتى خواص
تلاميذه... لأنه ربما كان يسرب
أشعاره بشكل خفي ابتعاداً عن حب
الشهرة والظهور؟؟ واتقاء
للاستهداف السياسي المباشر؟
ولكن حتى هذا الأخير لا نسلم به
لإشكاليات عدة وهي: كيف عرف أن
هذا الشاعر له مع تخفيه في
إخراجه!!!

وهل كان الشيخ سعد من العلماء
المصلحين الجبناء...!! ليخرج شعره
الناقد للأوضاع السياسية بتخف
مريب!! مع أن الثابت في (الدر
المدحش البهي) مصارحته
للسلاطين ولغيرهم بإنكار المنكر
المخالف لظاهر الشرع. انظر: (الدر
المدحش، ص ٢٨).

هذا ما استطعت جمعه وفقاً والمصادر
المتوافرة لدي... بعد مدة من
المطالعات المكثفة في أيامي
الخالية لعل أظفر بمن يقول
بشاعريته ممن عاصره... فلم أجد...
ولكن لعل الأيام تكشف أمراً لم
نتفطن له... أو لم نقف عليه... فإذا
ثبت هذا تراجعت عن كل ما قلته في
مقالي هذا... وبالله التوفيق...

الزهدى بالمقابل مع أنه من أعلام
العلماء الزهاد العباد في زمانه...؟؟
سابعاً... أنا كباحث لا أمانع أن يكون
الشيخ سعد شاعراً... ولكن كحقيقة
بحثية هذا الأمر مشكل تماماً...
وأحب أن يغربل ويحكم ما نسب إليه
من شعر وأقاصيص وفقاً ومرحلته
الزمنية من حيث التواريخ والدول أو
السلطنات التي عاصرها... ووفقاً وما
رقم عنه بأعلام معاصريه من
اتجاهات علمية وفكرية...

كيف تكون أشعار الشيخ سعد بن علي مدحج في الزراعة ومواسمها وأخبارها وتفصيلها الدقيقة وهو لا يميل إليها أصلاً؟!

فالتاريخ فن دقيق... بصحيحه توزن
وتمحص الحقائق المضطربة...
وتغربل إشكالات التاريخ وتقوم...
ومع كل ما قلته أتمنى أن تثبت
هذه المقاطع الشعرية الحمينية..
وأن تؤيد بما يؤكد صدورها من
الشيخ سعد... بميزان علمي
صحيح... وإلا ستبقى في حيز ما نسب
إليه من الشعر دون أن نجزم بذلك...
وأحب أن أختتم مقالي هذا بقولي:
لماذا نسبت أشعار إلى الشيخ سعد
بالذات؟؟ التحقيق موازانات سياسية

ومن لطيف ما ذكره عنه تلميذه
الشيخ علي بن أبي بكر السكران في
(الدر المدهش، ص ٨٧) أن الشيخ
سعد رحمه الله تعالى كان يحب أن
يتمثل بهذين البيتين وهما:

تذكر جميلي إذ خلقتك نطفة

ولا تنسى تصويري لخلقك في الحشا

وسلم لي التدبير واعلم بأنني

أصرف أحكامي وأفعل ما أشأ

والأبيات توضح نوع الشعر الذي
يستهوى الشيخ سعد رحمه الله
تعالى..

ثانياً: ثبت في أوائل صفحات (الدر
المدحش البهي، المخطوط، ص ٥)
بالتحديد، أنه كان لا يميل إلى
الزراعة أصلاً.. ولا إلى الحراثة
وأعمالها... ولا يرغب فيها البتة..
فدفعه أهله إلى الشيخ عبدالرحمن

السقاف فاهتم بتربيته وتعليمه حتى
صار من كبار مشايخ تريم الذين
يشار إليهم بالبنان...

فكيف تكون أشعاره في الزراعة
ومواسمها وأخبارها وتفصيلها
الدقيقة؟ وهو لا يميل إليها أصلاً...
وثبت أنه لا يميل إلا إلى العلوم
والمعارف والخلوة والمجاهدة؟؟
أبمجرد مجالسة والديه سرت له هذه
الخبرة؟؟ أم لمجالسته لأهل زمانه
سرت إليه هذه السرايات؟؟
ولكن لماذا لم ينقل عنه الشعر



الحضارم في مدينة عدن ودورهم الاقتصادي في العصر الإسلامي



كان للتواصل التجاري والعلمي بين حضر موت بمختلف مدنها وقرائها وأوديتها ومدينة عدن في العصر الإسلامي دور كبير في توافد العديد من أبناء حضر موت إلى هذه المدينة التاريخية القديمة، لغرض العمل في أسواقها التجارية العريقة، أو الالتحاق بإحدى مدارسها أو مساجدها العتيقة التي ذاع صيتها في ذلك الحين في اليمن وخارجها، ومما لا شك فيه أن حصول الحضارم على غايتهم في عدن دفع بعضهم إلى البقاء والاستقرار فيها، والعيش بين أهلها بعد اختلاطهم بهم عن طريق التزاوج والمصاهرة، أو الشراكة في المال والعمل والتعليم، وشكل من بقي في عدن عماد المجتمع العدني، وفئة أساسية فيه، إضافة إلى غيرهم ممن سكنها، لما ورد ذلك في بعض المصادر التاريخية التي عاصر مؤلفوها هؤلاء الحضارم، واختلطوا بهم في أثناء وجودهم فيها، ويعد المؤرخ الكبير ابن المجاور الدمشقي واحداً من بين أهم الكتاب الذين عاشوا في عدن مدة من الزمن ليست بالقصيرة، واختلط بأهلها بمختلف فئاتهم من علماء وتجار وعمال وموظفين وطلاب وغيرهم، فأخذ في وصف الحضارم من بين هؤلاء على أساس أنهم هم السكان الأصليون لعدن، إضافة إلى غيرهم من الأقوام والأجناس التي عاشت في عدن؛ حيث عد أن من ارتبط بعدن وعاش فيها وانتمى إليها بعمل أو دراسة أو رزق فهو من سكانها الأصليين، على الرغم من التنوع العرقي الذي كانت تعيشه هذه المدينة الضاربة جذورها في التاريخ.

الحصر:- الفقيه شمس الدين علي بن عمر بن عفيف الهجري الحضرمي العدني (ت ٨٣٠هـ / ١٤٢٦م)، والقاضي جمال الدين محمد بن مسعود باحميش الحضرمي الشافعي العدني (ت ٨٧١هـ / ١٤٦٦م)، والعلامة جمال الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن عبد الله بافضل الحضرمي التريمي العدني الشافعي (ت بعد: ٨٩٨هـ / ١٤٩٢م)، والفقيه الإمام الحبر الشيخ جمال الدين السعدي الحضرمي العدني (ت ٩٠٣هـ / ١٤٩٨م) وغيرهم الكثير.

وقد بلغ من قوة انتماء بعض أهل حضر موت وغيرهم ممن جاءوا إلى عدن واستقروا فيها أن يضيفوا اسم عدن إلى أسمائهم، لتصبح صفة يتميزون بها عن غيرهم؛ حيث يعدون عدن هي انتماءهم الثاني بالانتماء المناطقي، وفي دراستنا هذه تظهر لنا بعض الأسماء التي تلقب أصحابها باسم العدني لقوة ارتباطه وانتمائه لهذه المدينة العريقة، ولتمييزه عن غيره من سكانها، وممن ذكر بذلك من الحضارم العدنيين في المدة موضوع الدراسة -على سبيل المثال لا



أ. د. طه حسين هديل *



وقد شكلت التجارة، والبيع والشراء، واستثمار الأموال من بين أهم الأهداف التي دفعت الحضارم إلى التوافد إلى مدينة عدن للعمل فيها، ولما سمع عنها، ناقلين معهم العديد من المنتجات والسلع الحضرية لترويجها في أسواق عدن، فضلاً عن بعض عاداتهم في البيع والشراء، والموازين والمكاييل الحضرية المختلفة التي أصبحت من بين أهم المكاييل في الأسواق العدنية، وتعد مدة حكم الملك العزيز سيف الإسلام طغتكين بن أيوب (٥٧٩-٥٩٣ هـ/ ١١٨٣-١١٩٦ م) من أكثر الحقب التاريخية التي انتعشت فيها التجارة الحضرية في عدن، بعد وصول العديد من السفن التجارية من موانئ حضرموت المختلفة لا سيما ميناء الشحر إلى ميناء عدن، وقد خضعت تلك البضائع للإجراءات الجمركية المتعارف عليها في فرضة ميناء عدن، من رصد لتلك السلع في دفاتر مخصصة لمثل هذه الأمور، وأسماء مستورديها، لتحديد ما يفرض عليهم من عشور تجارية يحددها مشايخ جمرك عدن، وعلى الرغم من المعاملة التي كان يواجهها التجار الحضارم من قبل عمال ميناء عدن ومشايخ جمركه؛ فإن ذلك لم يمنعهم من الاستمرار في السفن إلى عدن عبر مينائها التجاري، مما دفع الأمر ببعضهم إلى الاستعانة بالملك العزيز طغتكين بن أيوب الذي كان كثيراً ما يطلب مشايخ

الفرضة للاستفسار عن سبب تأخير رصد بضائع التجار الحضارم وجمركتها، مطالباً إياهم بسرعة تخليصهم جمركياً وإخراجهم وبضائعهم من الفرضة إلى الأسواق العدنية.

وفي الوقت نفسه، كانت سفن بعض التجار الحضارم تنطلق من ميناء عدن إلى بعض مناطق الثقل التجاري في أفريقيا وغيرها، بعد أن شكلت عدن ومينائها مصدر ثروة لتجار حضرموت في ذلك الوقت، ومن أشهر هؤلاء التجار الذين ورد ذكرهم في المصادر التاريخية، محمد بن عبد الرحمن باحنان الذي عاش في عهد السلطان الناصر أحمد بن الأشرف إسماعيل الرسولي (٨٠٣-٨٢٧ هـ/ ١٤٠٠-١٤٢٣ م)، واشتهر بتجارته الواسعة في عدن وأملاكه التي بلغت أفريقيا، بعد أن وسع تجارته إليها بإرسال السفن التجارية المحملة بأنواع البضائع والسلع إلى موانئ الحبشة وغيرها.

وتورد لنا المصادر التاريخية أسماء العديد من التجار الحضارم الذين انتقلوا إلى عدن للعمل في التجارة، وأصبحوا من بين أهم أبنائها الذين عملوا على إنعاش اقتصادها تجارياً وصناعياً، وممن يذكر بذلك: التاجر عبدالله بن أحمد باراشد الحضرمي، الذي كان معاصراً للأمير عثمان الزنجيلي (ت ٥٨٣ هـ/ ١١٨٧ م)، حتى إنه يذكر له بعض الأعمال الخيرية في مكة، كترميم السبيل الذي أنشأه الزنجيلي للخارج من باب الشبكة في

صوب طريق التنعيم على يمين المار إلى العمرة، فذكر أن من عمر هذا السبيل بعد الزنجيلي تاجر حضرمي من أهل عدن يعرف بأبي راشد، ويعد هذا التاجر الحضرمي من أشهر تجار مدينة عدن في عصره، وبلغ من حبه لهذه المدينة إلى أن يرتبط بأهلها بعلاقات صاهرة وتزواج مع بعض أبنائها الذين تزوجوا من بناته، ويذكر بامخرمة أن والدته هي من سلالة هذا التاجر الذي يشير إلى أنه جده من أمه التي كانت تسمى فاطمة. ومن التجار الحضارم أيضاً الذين انتقلوا إلى عدن وجمعوا بين العلم والتجارة والزراعة العلامة محمد بن سعد بن محمد بن علي بن سالم المعروف بأبي شكيل الأنصاري الخزرجي (ت ٧٦٠ هـ/ ١٣٥٨ م)، الذي يبدو أنه كان له دور كبير في إنعاش الحياة الاقتصادية في عدن، والتاجر عبدالله بن محمد بن علي بن العفيف اليمني العدني، الذي عمل بالتجارة بعدن مدة من الزمن، كما عمل ابنه الفقيه أحمد (ت ٨١٧ هـ/ ١٤١٤ م) بالزراعة إضافة إلى العمل بالتجارة.

وعلى أية حال، فقد كانت التجارة من بين الأمور التي دفعت العديد من أبناء حضرموت للانتقال إلى عدن والإقامة فيها فترات متفاوتة بين طويلة وقصيرة أو إقامة دائمة، حتى أصبحت أسواق هذه المدينة موقعاً لبيع السلع التجارية الحضرية، التي كانت تستورد بين وقت وآخر من قبل



كانت سفن بعض التجار الحضارم تنطلق من ميناء عدن إلى بعض مناطق الثقل التجاري في أفريقيا وغيرها، وتورد لنا المصادر التاريخية أسماء العديد من التجار الحضارم.

بين البضائع الحضرية، ذات الصناعة الشجرية التي وجدت لها رواجاً في أسواق عدن، فكانت تباع (العشر بدينار وثلاثي وربع، وخمسة قراريط دلالة)، بينما يباع النوع الصغير منها بنصف دينار.

١١- **الجوازي والمجازم:** نوع من أنواع الأحزمة الحضرية التي كانت تصنع في مدن حضرموت المختلفة، وتستورد إلى عدن لتباع في أسواقها، الواحد بربع وثمان دينار.

١٢- **الشب الشجري:** من السلع التي استوردتها أسواق عدن من حضرموت، وهو نوع من أنواع الحجارة الطبيعية ذات الأهمية في حياة الناس، وقد بيع في أسواق عدن البهار بدينار وقيراط، وقيراطان دلالة، وكان شبيهاً للشب المصري، واستعمل في العديد من الأغراض والصناعات الطبية في ذلك الحين، وهو أنواع عديدة، مختلفة الجودة والسعر.

وكيفما كان الأمر، فلم تكن العلاقة التجارية بين حضرموت وعدن محصورة في إطار التبادل التجاري فقط، بل وصل الأمر إلى أن يتم التعامل في أسواق عدن بالمكاييل والموازين التي كانت معترفاً بها عند أهل حضرموت في المدة موضوع الدراسة، وترصد لنا بعض المصادر التاريخية أسماء لعدد هذه المكاييل التي عرفت في أسواق عدن، مثل:

١- **المكيال الشجري:** والمعروف اليوم باسم (القرص)، وعياره مد واحد.

٦- **الأقمشة الحضرية:** ويبدو أنها أقمشة خام غير مصنعة أو مفصلة، وقد انتعشت تجارتها في عهد الملك العزيز طفتكين بن أيوب، وكانت تستورد إلى ميناء عدن في مدة حكمه لليمن.

٧- **الملاحف الشجرية الكبار:** وهي من بين السلع التجارية الحضرية التي انتشرت في أسواق مدينة عدن، وكان يباع مثل هذا النوع من الملاحف الكبار العشرة بدينار وخمسة قراريط وفلس، وقيراطان دلالة.

٨- **ملاحف المقاربة:** وعرفت بهذا الاسم في أسواق عدن، ويذهب الأستاذ محمد عبد الرحيم جازم محقق كتاب (نور المعارف) إلى القول بأنها من صناعة الشجر، وكانت تباع العشر بدينار وثمان، وست فلوس دلالة.

٩- **الفوط الشجرية:** وكانت من السلع التجارية الرائجة في ذلك الوقت، وما زال رواجها حتى يومنا هذا، كأحد أنواع الملابس السفلية التي تستخدم من قبل الرجال في حضرموت أو عدن، وبيعت العشر الفوط منها بدينار وثمان، وقيراطان وفلسان دلالة، كما بيع في أسواق عدن نوع آخر من هذه الفوط الشجرية -ويبدو- أنها أقل جودة، العشر بثلاثي دينار، وستة فلوس دلالة.

١٠- **الجوازي الساذج الشجرية:** وهي نوع من الملابس أو الأقمشة الحريرية، تتساوى في الطول والعرض، فسميت بالساذج، وتعد من

التجار في عدن، ويعد القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي من أكثر القرون التي انتعشت فيها أسواق عدن بالبضائع الحضرية المختلفة، مثل:

١- **الصبر الحضرمي:** وكان يصل إلى عدن -على ما يبدو- بحرًا ليباع في أسواقها، البهار بدينارين وربع، إضافة إلى ما يتبع هذا المبلغ من قيمة الدلالة ثلث، والشواني (السفن) خمسة قراريط وفلسين.

٢- **الصبر السقطري:** ويباع في أسواق عدن بأسعار مرتفعة، البهار فيها بست وثلث وربع وثمان الدينار، مما يؤكد لنا مدى القيمة المرتفعة لمثل هذا النوع من السلع الحضرية، مقارنة بغيره من أنواع الصبر، لجودة شهرته التي بلغت الآفاق، إضافة إلى سلع أخرى.

٣- **الكمون:** وكان أشهره الكمون الشجري، والذي يباع البهار بدينار ونصف وربع وثمان وفلس، والدلالة ربع، وتظهر لنا هذه الأسعار أن هذا النوع من الكمون الشجري اختلفت جودته فاختلفت أسعاره، بحسب نوعيته وجودته.

٤- **التمور الحضرية:** وكانت تستوردها عدن بأنواع مختلفة، لتغطية حاجة السوق العدنية من مثل هذا النوع من السلع، وكان أشهرها التمور الشجرية، التي كانت تستورد من مدينة الشجر، لتباع البهار بدينار، وقيراطين وفلسين، إضافة إلى تكاليف الدلالة التي تقدر بقيراط، وقيراطين وثلاثة فلوس قيمة النقل بحرًا بالشواني.

٥- **الأسماك المالحة (الصيد المالح):** وكان -على ما يبدو- مصدرها حضرموت، لما وجدناه من إشارات مختلفة عن استيرادها من هناك، وكان يباع في أسواق عدن المائة حوت بثلاث وربع الدينار.



شكّلت عدن متنفساً للعديد من التجار الحضارم، الذين وجدوا فيها المكان المناسب لاستثمار أموالهم ومنتجاتهم المختلفة، مما ساعد على إنتعاش حركة السوق التجارية بين حضرموت وعدن.

أسواقها السلع الحضرية التي ذكرناها سلفاً، مما شجع على زيادة الهجرات الحضرية التي وصلت من مختلف الشرائح والفئات الحضرية، لا سيما من العلماء والفقهاء الحضارم، وطلاب العلم وغيرهم ممن كانوا سبباً في نهضة عدن العلمية والفكرية.

* أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية.

أهم المصادر:

- ١- جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد (ت ٦٩٠هـ / ١٢٩١م)، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر، اعتنى بتصحيحها: أوسكر لو فخرين، ط ٢، دار التنوير، بيروت، ١٤٠٧/٥١٩٨٦م.
- ٢- بامخرمة، أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، ج ٣، إصدار وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
- ٣- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج ٥، ط ١، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت).
- ٤- ابن الغزي، شمس الدين أبي المعالي محمد بن عبد الرحمن (ت ١١٦٧هـ)، ديوان الإسلام، ج ١، تحقيق: سيد كسروي حسن، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.
- ٥- الجندي، أبو عبد الله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م)، السلوك في طبقات العلماء والملوك، ج ٢، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، ط ٢، صنعاء، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
- ٦- نور المعارف في نظم وقوانين وأعراف اليمن في العهد المظفري الوارف، ج ١، تحقيق: محمد عبد الرحيم جازم، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، ٢٠٠٣م.

استثمار أموالهم في امتلاك العقارات المختلفة من: حوانيت أو دكاكين، وفنادق وغيرها، أو تجميعها وتشغيلها لتحريك الحياة العامة في عدن، بهدف توفير السكن لكل المقيمين فيها من تجار وعلماء وطلاب ووافدين ومسافرين وحجاج وعابري سبيل، وممن اشتهر بذلك التاجر محمد بن أحمد باحنان الحضرمي (ت ٨٥٦هـ / ١٤٥٢م)، الذي عُرِفَ بفنادقه التي كانت منتشرة في عدن لهذا الغرض، علماً بأن التاجر المذكور تميز بفطنته وحسه التجاري والاستثماري، الذي مكّنه من امتلاك العديد من الأملاك والعقارات والأراضي في عدن ولحج وغيرها، بعد أن استغل حالة الجور التي تعرض لها الرعية في عهد السلطان الناصر الرسولي، والذي دفعت بالعديد من أهالي عدن ولحج وتجارها إلى بيع أملاكهم وعقاراتهم بأبخس الأثمان، فانتهمز التاجر باحنان هذه الفرصة لشراء جملة من العقارات، من دور وفنادق ودكاكين بـتعزيز وعدن، وجملة من الأراضي المزروعة بوادي لحج، وقد تميز بالكرم الجم، فسخر معظم تلك العقارات والأموال للصرف على الفقراء والمساكين في تلك المناطق.

وخلاصة القول هنا، إن مدينة عدن شكّلت متنفساً للعديد من التجار الحضارم، الذين وجدوا فيها المكان المناسب لاستثمار أموالهم ومنتجاتهم المختلفة، مما ساعد على انتعاش حركة السوق التجارية بين حضرموت وعدن، التي انتشرت في

٢- مكيال القهاول: وكان يستعمل في حضرموت عامة، ووادي دوعن خاصة، وعياره بالعدي ثلاثة أزيد ونصف. وكيفما كان الأمر، فقد أدى رأس المال الحضرمي دوراً كبيراً في إنتعاش الاقتصاد العديني في ذلك الوقت، وبرزت العديد من الشخصيات الحضرية التي كان لها الأثر الكبير في ذلك، من أصحاب رؤوس الأموال، وترصد لنا المصادر التاريخية أسماء لبعض هؤلاء التجار والملوك الذين امتلكوا أموالاً وأملاكاً مختلفة في مدينة عدن، أمثال: التاجر والثري أبو الحسن علي بن محمد بن حُجْر بن أحمد بن علي بن حُجْر الأزدي الهجري الحضرمي (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م)، الذي يذكر أنه كان عالماً وتاجراً من أصحاب الثروات والأملاك والعقارات الواسعة في مدينة عدن، ومن الملاحظ أنه كان وكيلاً لبعض السلع التجارية التي كانت تباع في أسواق عدن، مثل: الأرز، والزعفران، والعطارة وغيرها، لهذا أصبح من كبار التجار الذين أنعشوا تجارة عدن - خلال المدة موضوع الدراسة -، وقد بلغ من سعة أملاكه إلى أن يمتلك حوانيت ومحلات عديدة في عدن، وبيوت سخر بعضها لاستقبال الضيوف والمنقطعين والوافدين إلى عدن، وأصبحت تجارته وما تجني منها الدولة من أموال زكوية مصدراً من مصادر دخلها السنوي، فضلاً عما تجنيه الدولة من أموال الضرائب التي كانت تقدر على السلع التجارية الواردة لتجارته، ولمحلاته التجارية التي انتشرت في أسواق مدينة عدن، مع حرصه على أن تكون تلك الأموال حلالاً في مصادرها.

وإضافة إلى ذلك، فلم تكن التجارة هي ما اشتهر به الحضارم المقيمون في عدن فقط، بل اتجه بعضهم إلى

لهجة حضرموت

(الحلقة السادسة)



كما يقلب بعض الحضارم حرف
الجيم ياء كقولهم:

- الديد له بشه، أي الجديد.
- اليواب نص الملاقاة، أي الجواب،
ويعنون به الرسالة الخطية بين
المهاجر وأهله في حضرموت.
- يارك القريب خير من خوك البعيد، أي
جارك.

أو كقولهم: يا يمال من ياوا وياب يمال
يم، وهذا القول هو لغز لفظي، وهو:
جاء جمال من جاوا وجاب جمال جم.
وينطق الحضارم كاف المخاطبة شيئاً،
كقولهم:

- لا كبرتي كبر بختش.
- انتي كما أختش وأختش كماش.
- معادش حق سمر يا عيشه.
أو كما قال الشاعر:

لا حنت المويه كُلي رباتش

ما با تنفعش أمش ولا خواتش
ويرد حرف (لا) في كثير من كلام
الحضارم وأقوالهم وأشعارهم بمعان
مختلفة، منها:

أ- بمعنى إذا كما في قولهم:

- لا شفت خوك يحلق نقع.
- لا كثر الطباخات فسد المرق.
- لا سلم العود كله يعود.
وفي قولهم:

والجزء الغربي من هضبة حضرموت
الجنوبية؛ حيث ما زال الناس يكررون
حرف (با) في أسمائهم، فهم ينطقون
الاسم (سالم عمر عوض بايسلم) مثلاً
على طريقته: سالم باعمر باعوض
بايسلم؛ حيث حلت الـ(با) محل لفظ
(ابن)، فسالم باعمر باعوض بايسلم
هو في الأصل: سالم بن عمر بن
عوض بن يسلم، وهناك من قرأ الـ(با)
في أسماء الحضارم بأنها في الأصل:
أبا «فحذفت الهمزة تخفيفاً فألت
اللفظة إلى الصورة التي استقرت
عليها في تسمية هذه العائلات» (١).

كما يرد حرف (با) في أقوال الحضارم
وأمثالهم وأشعارهم في محل (السين
وسوف) لا تتظار ما سوف أو سيحدث
كقولهم:

- هوذا المسجد اللي يا تصلي فيه.

- يا نشوف رأس البعير يؤخذ فيين.

وقول الشاعر هادي عسكول في
رائعته المشهورة:

يقول عسكول يا بيدع

في الوقت من لا سمع يسمع

وتسمعوا قوله المازون

وقولهم:

مشعالنا يا نفادي به يا نفادي به

يا من بغاه يخرج الرقة



محمد عوض محروس

المشترك والمختلف

في لهجة حضرموت (٢):

ورغم الاختلاف والتباين داخل لهجة
حضرموت الذي يتضح في لهجات
المناطق والمدن الحضرمية فإن هناك
كثيراً من المشترك في لهجة
حضرموت، مثل استخدامهم حرفي
الباء والألف (با) في أسمائهم وفي
أحاديثهم وأقوالهم وأشعارهم، ففي
أسمائهم تأتي الـ(با) في مقدمة أسماء
العائلات والقبائل، مثال: باسالم،
باعلي، بامحمد، بامعلم، بانجار،
باغزال، باشحري، باذيب، وهذه
العائلات والقبائل التي يتقدم الـ(با)
أسماءها هي عائلات وقبائل حضرمية
أصلية، وأصل الـ(با) يمكن أن نجده
بسهولة في الجزء الغربي من محافظة
حضرموت (وادي دوعن)، ووادي حجر،



37

العدد (12)
إبريل
يونيو
2019م

ويستعمل الحضارم الألفاظ (عاد)
(ولعاد) و(معاد) في أحاديثهم وأشعارهم
وأقوالهم بمعان مختلفة، وقد تحدث
الأستاذ عمر محفوظ، باني عن استعمال
الفعل المساعد (عاد): «قبل الفعل
الماضي والمضارع جامداً بصيغة
الماضي في شتى أساليب النفي
والإثبات والاستفهام.. ويلاحظ أنه
عندما تسبق ما النافية الفعل المساعد
(عاد) تُنطق الكلمتان كلمة واحدة
(معاد)» (١٤)، والشيء نفسه يحصل عندما
تسبق (لا النافية) الفعل المساعد (عاد)
تنطق الكلمتان كلمة واحدة (لعاد).
وتستخدم لفظة (عاد) للوعيد كقولهم:
- عاد عرفة تجي في قمر.
- عاد ما شاف من البعير إلا ذيله.
وقول الشاعر سعيد فرج باحريز (١٥):
وذاك الدلولي قلتوا سقط في البير با يطلع
وعادك با تشل وحدة ووحددة با تحليها
كما تستخدم لفظة (عاد) بمعنى (ما
زال)، كقولهم:
- عاد في الرأس دملة، يقوله كبير
السن الراغب في الزواج.
- عاد لي في جيبها يستر عيبها.
وقول الشاعر حسين أبو بكر
المحضر (١٦):
متى لقانا با يكون عاين محدث والحصون
والجحي ذاك الزين ناعادنا عيني بعين
كما تستخدم لفظة (عاد) للاستفهام
والتعجب، كقول الشاعر عوض عبدالله
سبيتي على دان جيبوتي (١٧):
يا دهر ما لك علي شي عاد با تعدل؟
الحمل فوقني ثقل
وانته مكانك تحمل
أو كما جاء في القول السائر (١٨):
عاد حد للخلق خالق! عاد حد للناس رب؟
عاد حد با ينقد الـ منقود يا ذولا العرب؟
كما ترد لفظة (عاد) بمعنى (لا توجد)،
كما في قول الشاعر عوض عبدالله
سبيتي (١٩):

بقصد معاكم خير مقصد
والعقيرة من قدانا بكر وقعود
وقول الشاعر ناصر بن ناصر (٢٠):
سألتك بالأمانة ترد الماء قدما شجرة ضمانة
نباها بالثمر تندر وهي قدما على المعداة
وقول الشاعر خميس كندي (٢١):
ولا رفع رأسه شويه كلهم شطوا قداه
ويستعملون كلمة (يوم) بمعنى (حين)
أو (عندما)، كقولهم:
- يوم غلق العرس جاء العور يرقص.
- يوم خطبت تمننت.
وكما جاء في الزامل المشهور:
يوم التقوا في المسحرة العقل الشيبان ضاع
وقد وردت لفظة (يوم) في قول للشاعر
عمر محمد با عباد بمعنى لأن (٢٢):
يا هل الدباسة عاد شي من لي تدبسونه
ذلا دواء نبغاه لابن آدم تداوونوه
يوم العسل فيه الشفاء من كافة الآلام
كما يستعملون لفظة (سنة) بالمعنى
نفسه (حين) أو (عندما)، كقولهم:
- سنة تعشت رز.
- سنة الحولة لقت برقع.
- سنة برعية ضرط.
وقد تحدث د. عبدالعزيز الصيغ عن
نطق أصحاب المناطق البدوية الضمير
مختوماً بهاء شبيهة بهاء السكت في
العربية، حيث يقولون: قلته، وكتبته،
وقرأته، كقول الشاعر حسين
المحضر (٢٣):
يا ريتنا سرته معه أو سرت قبله
وهي أيضاً لهجة مشتركة مع لهجة
الناس في مديريات وادي حضرموت،
كقول مغني الدان سعيد مرزوق (٢٤):
يا الدان شيبته يعين الله من بعد الصبا شائب
وقول حداد بن حسن الكاف (٢٥):
من يوم حيته زمان الأسس عندي عاد
وقول خميس كندي (٢٦):
قال الفتى المشتاق تشوقته إلى أرض الوطن
كلما ذكرت أهلي وخلائي خوت بالدمع لعيان

لا هلت العشر قل يا الله مع الواقفين
حجاج ومسافرين تحت الجبل واقفين
وفي لهجة أهل وادي حضرموت يرد
الحرف (لي) محل الحرف (لا) بمعنى إذا،
كقول الشاعر عبدالرحمن محمد بن
شهاب في مدونة النخيل (٢٧):
ولي رزمت المحصل وقدك منه تكلكل
رجعت تفضل تفضل تطلب تباصيم للدار
وقول الشاعر عبدالقادر عمر بن
شيبان التميمي (٢٨):
ما لجاهه طلب ذلا المكاتب يا أحمد
لي ضوى الليل أمسيته بليلك مقهد
وقول شاعر آخر يصف حسرة امرأة
غاب عنها زوجها في المهجر
الاندونيسي بقوله (٢٩):
ولي تمالت في مكانه عينها من كل شق دمعت
ودمعا خضر وقاها والمخدة والسليمود
كما ترد أداة الجر في العربية (إلى)
بمعنى (إذا)، كما جاء في قول الشاعر
عوض عبدالله سبيتي (٣٠):
عود الند ريخته زينته بنينه إلى درت با حصله
في البنوك الكبيرة له خزائن يخرجونه من
الورشات منقول
ب- ويرد الحرف (لا) بمعنى (إلى)، كما في
قولهم:
- محد يرد اللحم لا سيحوت.
- من عولق لا بو الحلو.
- من بو الحلو لا قباض الأرواح.
ج- ويرد الحرف (لا) للنفي، كما في قولهم:
- لا هو حلب ولا هو جلب.
- لا له ولا عليه.
- لا لون ولا عون.
د- كما يرد الحرف (لا) للنهي، كما في قولهم:
- لا تواعد محتاج ولا تنهزأ شجاع.
- لا تضحك في وجه مقبل أو دبر.
- لا تطرح ذريك في بطحاء.
ويستعمل الحضارم لفظة (قدا) للتعبير
عن الجهة أو الإشارة لشخص معين،
كقول الشاعر حسين المحضر (٣١):



لا عاد عيشة ولا أسباب لي تبذل

روحي وجسمي نحل

ضاعت علي وين قبل

أما في قول الشاعر سعيد باجعالة

على دان الحقة:

عادنا إلا طرحت الحلق

حين حطيت رأس المقد

ومساهن القافلة

والجمل عاد ما قيدته

وسمعت صوت العراية يحنين

فقد وردت في الأول (عادنا) إلا طرحت

الحلق) بمعنى (بمجرد ما)، أما في

الثانية (والجمل عاد ما قيدته) ففيها

تأكيد بأنه ما زال في حالة قدوم إلى

المكان الذي وصل إليه.

أما في قولهم: عاد ما شاف ولا

شتاف، فتأكيد بأنه ما زال عازباً،

وكذلك وردت في القول المشهور

لأعاني سباطة النورة (٢٠):

يا مروح ضواك الليل والشمس غابت

عاد نحن إلا طربنا والمسايط طابت

للتأكيد بأنهم ما زالوا في بداية العمل

في سباطة النورة رغم حلول الليل.

وترد لفظة (لعاد) في محل (لا الناهية)،

كما في قولهم:

- إذا وقعت يا فصيح لعاد تصيح.

- إذا ما با تركبونا لعاد تدحقونا.

كما ترد لفظة (لعاد) في محل (لا

النافية)، كقول الشاعر حسين أبوبكر

المحضر في قصيدة رمضان (٢١):

قالوا نسوك الصحب والخلان

ولعاد واحد منهم يسميك

وودك السابق عليهم هان

ولعادهم حسب العوائد فيك

كما ترد لفظة (لعاد) بمعنى (كي لا)،

كما في قولهم:

- صبر على قردك لعاد يجيك أقرد منه.

وترد لفظة (معاد) بمعانٍ مختلفة، فهي

في قولهم:

- غرقت مراكب معاد إلا صنايق اللحم.

جاءت بمعنى: كيف!

أما في قولهم:

- معاد حاجة لرفع الصوت والناير.

فقد وردت في محل (لا الناهية).

وترد في محل (لا النافية)، كما في قولهم:

- معاد يرجع على طية الصبان.

- معاد نحن من يوسف ولا من قميصه.

وكذلك وردت في القول المشهور

لطارق علي العطاس في محل (ما

النافية) (٢٢):

ودلوك لي سقط في البير معاد با يطلع.

فهو ينفي طلوع الدلو، أي: عودة حكم

السلطنة القيعيطية. وكذلك وردت في

قولهم:

- معاد نفع المرع الضر.

فقد وردت لفظة (معاد) في محل (ما

النافية).

وفي لهجة حضرموت هناك جملة من

أدوات الاستفهام، التي يقترن بعضها

بردة فعل مستنكرة لفعل ما، ومن تلك

الأدوات:

- (أيش) وهي في الأصل منحوتة من

(أي شيء)، وهي كما يقولها عامة

الناس للسؤال: أيش معك؟ أيش

عندك؟ أيش وراك؟ أيش انتة؟ بمعنى

كيف حالك. وهي ترد في أقوالهم

وأشعارهم، كقولهم:

- أيش علمك القسمة؟ قال عين الذيب.

- أيش يختفي يا رسول الله؟ قال لي

ما يكون.

وكقول الشاعر سعيد فرج باحريز (٢٣):

ومن حرق بنه بيده أيش عاد با يقول!

وكقول د. سعيد سالم الجريري (٢٤):

أيش من بلوى جرت يا خو عمر

والولد شرعي ترى وإلا حرام

- (أيش) وهي كما يبدو منحوتة من

(أي شيء)، كقول الشاعر البدوي

المشقاقي:

عاهد رونيبي سام ودي لحقك ذليق

ليشك عادك ما تلتام

وقول الشاعر حسين أبوبكر المحضر:

حببت أنا ما في المحبة شك

لكننا لا عند من بشكي

الله يعلم حالتي ليشه

ويرى محمد عبد القادر بامطرف أن

الشاعر حسين أبوبكر المحضر قد

استعملها في قوله السابق بمعنى

(لكن) (٢٥)، وهي قد وردت كذلك في

قول الشاعر البدوي المشقاقي، وهي

ترد أيضاً للاستفسار والتعجب، كما في

قولهم:

- ليش لك بالضيق لا ربي عطاك النفس!

وكما وردت في قول الشاعر عوض

عبد الله سيبي (٢٦):

ليش لك بالحضا والله لانتة البس!

- (ويش) وهي كما يبدو منحوتة من

(وأي شيء)، وهي كما وردت في قول

الشاعر سالم عبود بانجوع (٢٧):

ويش با يلف الطهف يا خوك لا قد تطير

كيف جرب طير به في الأرض طيار

وعادة ما يختصرها العامة إلى (وش)،

كقول الشاعر عوض عبد الله بن

عبدات (٢٨):

وش عاد لا جاضيف با يلحق العدة دزيله

- (إيه) وهي لفظة يستعملها الناس

في وادي حضرموت للسؤال عن الحال،

إيه إنت؟ بمعنى ما أنت، أي كيف حالك؟

إيه إنتم؟ بمعنى ما أنتم، أي كيف

حالكم؟ وقد وردت لفظة (إيه) في

بيتين من الشعر في قصيدتين

منفصلتين للشاعر حسين أبوبكر

المحضر، يقول المحضر في البيت

الأول في القصيدة الأولى (٢٩):

- أقول له أقول لو قال مالي نفس تهواك

مالي إذن تسمعك مالي عين تمنى تراك

وفي البيت الآخر في القصيدة الأخرى

يقول المحضر (٣٠):

أقول لك إيه تبغاني أقول لك إيه

تعلمت الدلع با صاحبي والتهيه



39

العدد (12)
إبريل
يونيو
2019م

- ١٢ - عبدالقادر محمد الصبان، الدان في حضرموت، ص ١٠١.
- ١٣ - جعفر عمر السقاف، لمحات عن الأغاني والرقصات الشعبية في محافظة حضرموت، ص ٦٣.
- ١٤ - الشعر الحميني في حضرموت، ص ٤٦.
- ١٥ - مجدي سالم باحمدان، بإحريز فارس المدارة، ص ٩٥.
- ١٦ - ديوان ابتسامات العشاق، ص ٦١.
- ١٧ - عبدالرحمن عبد الكريم الملاحي، دراسات شعر الملاحين والصيادين (مخطوط)، ص ١٠.
- ١٨ - محمد عبدالقادر بامطرف، الميزان، ص ٩٢.
- ١٩ - عبدالرحمن الملاحي، دراسات شعر الملاحين والصيادين (مخطوط)، ص ١١.
- ٢٠ - ورد هذا البيت عند جعفر محمد السقاف في كتابه (لمحات عن الأغاني الشعبية في محافظة حضرموت)، ص ١٣.
- يا مروح ضواك الليل والنشم غابت عاد نحن طربنا والمناشير طابت وهي كما يقول: ((أغنية واحدة مشتركة لهذين العاملين بلحن واحد، فيضع النجارون كلمة منشراً أداة عملهم، ويضع العمال كلمة مسباط، أداة عملهم)).
- ٢١ - ديوان ابتسامات العشاق، ص ٤٥.
- ٢٢ - مجدي سالم باحمدان، بإحريز فارس المدارة، ص ٩٥.
- ٢٣ - المصدر السابق، ص ٣٠.
- ٢٤ - بخيته ومبخت، (قصيدة ورطة)، ص ١٧.
- ٢٥ - محمد عبدالقادر بامطرف، الميزان، ص ١٣٤.
- ٢٦ - عبدالرحمن عبد الكريم الملاحي، مصدر سابق، ص ١١.
- ٢٧ - عمر محفوظ باني، مصدر سابق، ص ١٨٤.
- ٢٨ - عبدالقادر محمد الصبان، سعيد مبارك مرزوق مغني الدان، ص ٤٢.
- ٢٩ - ديوان ابتسامات العشاق، ص ٨٥.
- ٣٠ - المصدر السابق، ص ١٨٣.
- ٣١ - محمد عبدالقادر بامطرف، الميزان، ص ١٢٣.
- ٣٢ - عبدالرحمن عبد الكريم الملاحي، مصدر سابق، ص ١٨.
- ٣٣ - المصدر السابق، ص ١٣٦.
- ٣٤ - المصدر السابق، ص ١٣٧.

- ومن أمثال حضرموت: أيش الديك وأيش مرقه، الذي ينطقه البعض: واه الديك وواه مرقه.
- وفي وادي حضرموت ترد للاستفسار عن الحال، كقولهم: واه إنت؟ واه إنتم؟ أي كيف حالك، كيف حالكم.
- (وراك) يقول د. عبدالله صالح بابعير: «وراك؟ بمعنى (ما بك).. ويبدو أن الأصل (ما وراءك).. فصار اللفظ وراك» (٣٤)، وهي ترد بمعنى لماذا؟ كما في قول الشاعر حداد بن حسن الكاف: على باب محبوب وراه ما ركب قفلي وكذلك في قول الشاعر حسين أبوبكر المحضار: وراه لي محبوبني بالأمس عادوني
- وقول الشاعر جمعان أحمد بامطرف: وراه بقعة تعكت تعكت ما تبنت
- الهوامش:
- ١- د. عبدالله صالح بابعير: انحراف اللهجات العامية الحديثة عن العربية الفصحى مظاهر من لهجة مدينة المكلا، ص ٦١.
- ٢- روبرت سارجنت: نثر وشعر من حضرموت، الجزء الثاني، ص ١٢٧.
- ٣- المصدر السابق، ص ١٠٦.
- ٤ - جعفر محمد السقاف، لمحات عن الأغاني والرقصات لشعبية في محافظة حضرموت، ص ٥١.
- ٥ - د. عبدالباسط سعيد الغرابي، مجلة (المكلا) العدد (الثالث عشر) أبريل / يونيو ٢٠١٢م، ص ٣١.
- ٦ - حولة الدان الصادرة إدارة الثقافة والإعلام بوادي حضرموت، العدد (١) يونيو ١٩٨٩م، ص ٦٩.
- ٧ - المصدر السابق، ص ٦٠.
- ٨ - عبدالله حسين الهدار: محاولة للإجابة على السؤال الكبير هل للأدب اليمني خصوصية، مجلة (أفاق)، العدد (الحادي عشر) سبتمبر ١٩٨٧م، ص ٧٤.
- ٩ - حولة الدان، ص ٦٠.
- ١٠ - اللغة عند المحضار، المحضار بأقلام عشاقه، ص ٤٠.
- ١١ - عبدالقادر محمد الصبان، ملحن الدان سعيد مبارك مرزوق، ص ٩٦.

- وقد وردت في قصيدتي المحضار للسؤال والتعجب.
- وتدخل لفظة (كنه)، (كنك)، (كنكم)، (كنهم)، في الحديث أو في الشعر بمعنى (كان)، كما ترد للسؤال والتعجب أو الاستنكار كقول الشاعر سعيد قشمر (٣١):
- كنك على أهل المسيلة حامل الشده!
- ويقول الناس: كنه ما جاء معك؟ كنك شارد من الناس؟ كنكم ما سمعتوا الكلام؟ كنهم راحوا هناك؟ وهي هنا تعبر عن الاستفهام واللوم.
- ما لك؟ ما له؟ ما لكم؟ وهي لفظة تفيد السؤال، وترد للتوبيخ أو التحذير، فقد وردت للتوبيخ في قول الشاعر حسين المحضار:
- ما لك وما ل الناس يا عامر الكون مها تدعي معمور
- وجاءت للتحذير في قول الشاعر عبدالله سعيد باعمرو، في قوله على دان جيبوتي (٣٢):
- با حذرک من جبوتي عشقها يليلک
- با هديک نا با هديک تأخذ شبابک وترمیک
- بني الحجر المدي أما الخشب أما الخشب تمسک
- ما لك وما ل الفليک سائر زمانک بربیک
- وقد ترد للسؤال عن تصرف غير مقبول مقروناً بعدم الرضا أو الشتم في بعض الحالات، كقول أحدهم للآخر: ما لك؟! أو ما ل أهلك؟! أو ما ل أبوک؟!
- (وا) واحدة من أدوات الاستفهام في اللهجة الحضرمية، وهي بمعنى (ما) أو (ماذا) لغير العاقل كما يقول د. عبدالله صالح بابعير (٣٣)، وهي أيضاً بمعنى (أيش) المنحوتة من (أي شيء)، وقد تلحق بها هاء السكت فتصير (واه) كقولهم: واه بك؟ بك واه؟ أي ما بك، أيش بك، بك أيش، بغيتنا نقول لك واه؟ وهي هنا ترد للاستفسار والتعجب وربما بشيء من (الوحلة) أي الحيرة.

عبدالرحمن بن عقيل:

كانت حضرموت مغلقة قبل بامخرمة



د. سعيد الجريري

يكن فيها جميعاً سوى باحث يستنطق الفكرة والحادثة والظاهرة والموقف، وكأنه يتقرب لوحة نادرة في أحد المتاحف العالمية التي زارها، ليس بعين السائح وإنما بعقل المتسائل المتأمل المتفكر المتفاعل.

ذلك بعض مما كتبه عن عبدالرحمن على صفحتي بالفيس بوك، صدى لما في النفس منه، وما تردد فيها من عبارته الدالة «كانت حضرموت مغلقة قبل أن تقرأ قصائد بامخرمة»، التي كتبها في إهدائه إياي نسخة من كتابه (عمر بامخرمة السباني ٨٨٤ - ٩٥٢ هـ حياته وتصوفه وشعره)، الصادر عن دار الفكر بدمشق.

وعبدالرحمن عاشق للكاميرا، وللأسفار والبلدان، محب للمدن والقري، وله من الحكايات معها والذكريات فيها ما لعله يتحفنا بشيء منه في كتاب.

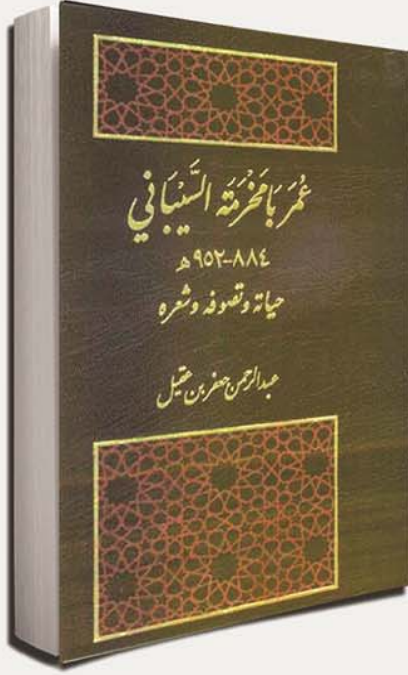
وعبدالرحمن إذ تترصده السنون، قائلة له: اشتعل الرأس شيباً، ما زال هو ذلك عبدالرحمن الجميل، طفلاً لم تزده السنون إلا نقاءً وحساً جميلاً بالعالم، وسخطاً على العابثين بمصائر الإنسان والأوطان.

كان كتابه عن بامخرمة رائداً في بابيه، وثنى عليه بالقينيص في حضرموت وكان مدهشاً، ثم ثلث بالإباضية في حضرموت وعمان، ولم

عبدالرحمن بن عقيل كائن مشغوف بالكتب والوثائق والرسوم، فهو يتعهدها بمحبة وسخاء، قاعداً لها كل مرصد. وهو ليس بمشغوف بها فحسب، بل مهتوف، فقد هتف عليه أحد أولياء الأثر الإنساني، ومنذئذ وعبدالرحمن نقابة -بتشديد القاف- عن كل طريف، رصادة -بتشديد- الصاد - لكل شاردة وواردة مما يملك عليه تفكيره، ولذلك فهو يفجأ القارئ والباحث بكتاب أو بحث، تكون بصمته واضحة جلية فيه من حيث طبيعة الموضوع، أو طريقة التناول، أو استيفاء المصادر والمراجع والوثائق.

وعصامي هذا عبدالرحمن في تكوينه وتعبيد المسالك إلى حيث يجد ذاته، وبغيته، وما تقر به روحه عيناً، وهو أحد (العقائلة) الأشقاء النجباء الذين نحبهم: عبدالعزيز بن عقيل وبدر بن عقيل.





عن حضرموت المغلقة والأخرى المفتوحة، سالت بيننا شعاب الكلام والأفكار في لقاءاتٍ، من بُعدٍ، ومكالمات مطولة، ومحادثات عبر وسائل التواصل الاجتماعي. فقد كان بعين القارئ العارف الواقف على تفاصيل وصفحات مطوية من تاريخ حضرموت، ووقائع منسية أو شواخص مهمة، يرى ما يكلم قلبه حيناً، وما يبهج روحه حيناً آخر، لكنه كان ذلك القارئ الناقد لكل حال مائل، ومن ذاك حالة الزهو الحضرمية المبالغ فيها، التي هي تمثيل نفسي يضخ سلبياته، في مجرى التغني بالماضي، وتشكيل صورة نمطية عن السوبرمان الحضرمي، في ما يشبه حالة غسيل الدماغ المفتعلة التي لها مفعول قسيصة عمرو بن كلثوم التي ألهمت بني تغلب عن كل مكرومة منذ أن قالها.

كان عبدالرحمن قارئاً الماضي، بعين مستقبلية، تعيش اللحظة الحاضرة، بكل تفاصيلها، مدركاً أن هناك حضارات إنسانية اشتركت في صنعها البشرية، وأن لكل أمة، وكل شعب، وكل جماعة تراثها وفنونها وتاريخها، لكن الاستغراق في تمجيد ما مضى - وكثير مما مضى ينبغي نقده وإعادة قراءته قراءة علمية موضوعية تسمح عنه ما أضيف إليه من خرافة ووهم - واحد من أخطر عوامل الاجترار التي تفصل حضرموت عن الدخول إلى لحظة الحداثة، فكراً وحياءً وتصوراً للعالم، فما زال المجتمع الحضرمي تقليدياً في بنيته العميقة، بينه وبين التجديد مسافة نفسية، هي من صنع من أوقفوا الزمن، بمخازير الخوف على الهوية، من مخاطر الانفتاح على طرائق جديدة في مقاربة الأشياء والأحياء.

«كانت حضرموت مغلقة قبل أن تقرأ قصائد بامخرمة» فهل انفتحت بعد

عن الآخرين، لكنهم يؤكدون بها إنسانيتهم وهي تتمثل المشرق في دواخل الروح، لا المظلم المعتم الذي يسد كل أفق، حتى كاد عبدالرحمن أن ينغى حضرمية من يتنطعون بها، محيلاً على ما في معنى الحضرمية العربية من لحن في القول، يضيف إليه عبدالرحمن لحنهم في الفعل والعمل، إن جاز التعبير الاستعاري.

في مكتبة عبدالرحمن الشخصية وثائق وصور ومخطوطات نادرة اعتنى باقتنائها باذلاً من ماله الشخصي ما يدل على عشقه العميق لكل أثر ذي قيمة، ولعل من موجبات الوفاء له أن تكون مكتبته محجة للباحثين، بكيفية ما، سواء هناك في الخبر بالسعودية حيث كان مستقره ومقامه، ككثيرين من الحضارمة الذين لم يتسع لهم الوطن، أو في حضرموت حيث عشقه حد الدنف، المهم أن يظل امتداد عبدالرحمن كالنهر الهادئ الذي كان عبدالرحمن صورة مثالية له، ثم رحل بهدوء تماماً كالنهر الذي لا نسمع صخبه، ونرى أثره.

قراءتها كما ينبغي؟ لعل محاولة الإجابة على تساؤل كهذا، مما تضع فكرة تبحث الموضوع في تجلياته المتعددة، ولا سيما الفكرية والدينية والأدبية، بمنهجية موضوعية، ضمن مشروع إعادة قراءة التاريخ والتراث نقدياً، بعيداً عن الاشتغال على إعادة تشكيل الصورة النمطية عن حضرموت، بقراءات متهافئة يقدمها باحثون يميلون مع رغائب ذوي المال حيث تميل، ممن إذا بحثوا عن كتاب في التاريخ كان سؤالهم عن عناوين محددة لعلمهم يجدون ضالهم فيها عن أمجاد قبائلهم أو سير وجهانها، وإذا شخصوا إلى رموز ثقافية لم يروا سوى أسماء بعينها، لأن في منتجها ما يكرس نمطية وعيهم وسكونيته المميته.

كان عبدالرحمن بن عقيل على النقيض من ذلك كله، لكنه كان يرى للحضارمة صورة مشرقة في وعيه، تغيم إزاءها صورتهم اليوم، وهم يلبسون أقنعة لرموز الحقيقية في التراث، ثم لا يتمثلون رؤاهم، وكيفيات جسارتهم في وضع بصماتهم الخاصة في مجالات عديدة، لا يمتازون فيها

نظرة قرائية في وجه (ناهية) ..

(التفتُ مباغتاً.. صعبتُ وأنا أرى هيفاء ملتفة بعباءة أنيقة يكاد جسدها المشقوق يتمرد عليها) تقف حيالي في زهو بالغ.. أنعمت النظر في (صفحة وجهها الصقيل) (بقسماته المتحفزة) اكتنفتني إحساس بنشوة عارمة وأنا أسمع (خطوات الهيفاء المتهايسة بجرأة متحدية) تقترب إليّ وكأنها أيقظت شعوراً كامناً في أعماقي السحيقة. أبحرت على استحياء في تفاصيل وجهها المفعم بالجمال، وتسمرت عند عينيها الواسعتين الزاخرتين بالحكايا والأسرار.. انقطع حبل الوصل بصوت محبب من الأديب المبدع مسعود الغتيني: -إنها (ناهية) مجموعة قصصية للقاص والروائي المتألق الأستاذ سالم العبد، هزرت رأسي موافقاً - نعم إنها (ناهية) بجها لها الفريد وجرأها المعهودة.

عليها نافذة السيدة ميرلي إلى التغيير الهائل الذي طرأ على المقبرة: إذ تدثرت بغطاء كثيف من الورود، مروراً بانتقال البناء من الطين إلى الحجر في ظل استغلال جشع من شيخ الحجار، وما تزال تقلبات الطبيعة البشرية تبرز من موقف إلى آخر لتبلغ ذروتها حين انخلست الفتاة (ليلى) عن اسمها لتأخذ اسم (صابرين) في طورها الآخر. وقد سجلت المرأة حضوراً مترقفاً في هذه المجموعة على اختلاف بيناتها الممتدة من بلاد (السما الداكنة والنبع البارد) إلى (مناطق الشمس الملتهبة). وتنساب اللغة جميلة رقاقة من قصة إلى أخرى منسجمة مع مكان القصة وشخصها، ناقلة لثقافة المكان لتصل إلينا نفثات من اللهجة المكلاوية الجميلة في قصة (ناهية) التي اتخذها كنطرة لبث رسائل معينة، وللكاتب قصة أخرى بعنوان (ناهية ٢)، نشرت خارج المجموعة، ويبدو أنها رمز للمكلا وما تتعرض له من ظلم وتهميش. والرمزية في المجموعة تبدو قريبة ولا تذهب نحو الغموض المجذب.

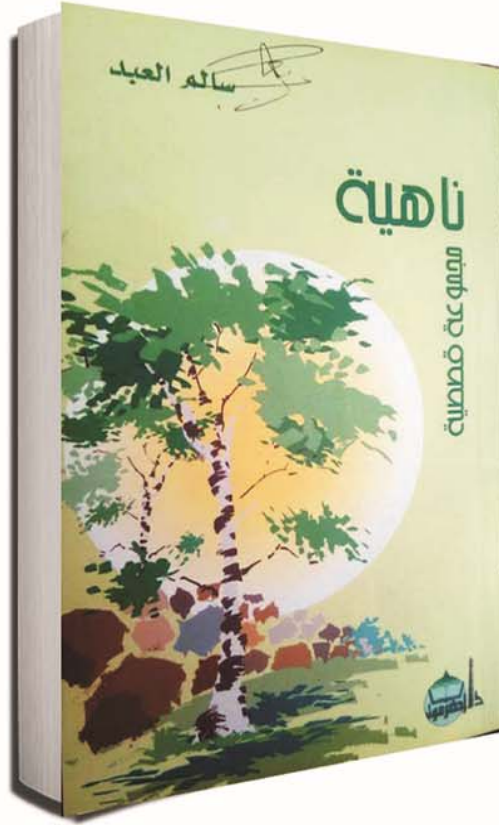
مجموعته القصصية (ناهية)، فهي تضم ثلاث عشرة قصة قصيرة، ترفل في حلل من اللغة المؤنقة والتصوير البديع الذي يجعلها تضج بالحياة والحركة، تمتد أحداثها من شوارع فرانكفورت ومقاهي برلين مروراً بمدن شامية لتستقر في شوارع المكلا عند (بساطة الخامر) و(القصر السلطاني) معرجة على (غيضة الرزفة) في المشقاص قبل أن تنتهي في حي باعبود في قصة (ناهية) التي ختم بها وبها سمي مجموعته. المجموعة بمجملها تعبر عن أنماط وصور للحالة الإنسانية، واختلاف طبيعتها وسلوكها باختلاف الشخص والأمكنة وتماھيها معها، وتطورها شعورياً وسلوكياً في كل طور، وتبدو تجلياتها في جوانب عدة ومظاهر متعددة تلمح خلالها مقاربات ومقاربات واقعية متقابلة... فمن التوجس من الفيتناميين الذين دخلوا كالقسطيع الهائج إلى الإغراق في الضحك معهم، ومن وحشته من مشهد المقبرة العتيقة التي تطل



هاني عبود الغتيني

لقد كنا في مجلس القاصي الأديب العامر بفنون المعرفة التي تنقياً ظلها إلى حين من شطحات الأزمة المتغولة في بلادنا... ناولني (ناهية)، وعند إجاله النظر في صفحاتها قلت له: إن الكاتب يعتمد في تركيب جملة السحرية على (الصفة أو النعت كما يسمى أحياناً) فاقترح كتابة هذا الملحظ، فأعارني (ناهية)، وربما شيئاً من همته العالية المتدفقة.

وها أنا أسجل انطباع قارئ اكتفى بالنظر في وجه (ناهية) دون الغوص في أغوارها فلذلك أهله. ولسنا بحاجة للتعريف بالكاتب فهو قامة أدبية سامقة معروفة في الساحة الأدبية. أما



يعتمد أستاذنا الكاتب البارع في صوغ قصته على اللغة المصورة ذات الإيحاءات والظلال، وله أدواته في ذلك، وأكثر ما لفتني منها تكرر الصفة أو النعت، فهو حينما يعطي اللفظ نغته والموصوف صفته لا يستخدم ما ألفته تلك الألفاظ من صفات إلا ما ندر وإنما يمنحها بعداً آخر ودلالات أخرى بصفات ونعوت يختارها بدقة فائقة لتلقي بظلالها على المشهد كله، وتبعث في النفس شعوراً بجو النص حتى يصنع من الصفة مع موصوفها صورة مستقلة، وتتكشف هذه الصور لتنسج مشهداً ناطقاً يساهم في صنع القصة، ويجعلك تعيش أحداثها وتتفاعل معها، وللتدليل على ما ذكر نقبس بعض الجمل من قصص المجموعة:

- (ثم وهو يفتح الباب ليندفع منه أكثر من عشرة فيتناميين داخل الغرفة كالقطيع الهائج)، فالقطيع الهائج صورة توحى بالفوضى والجلبة والذعر الذي أحدثه اندفاعهم القوي. وعندما أراد رئيس الفيتناميين أن يعتذر بدا (راسماً على وجهه الصافي ابتسامة صغيرة وديعة)، وعندما خدعهم طافت على وجهه (ابتسامة مخاتلة هازئة أو محتقرة) ليتركهم في (دهشة ساحقة) فكل هذه الصفات ساهمت في رسم القصة وبثت فيها حياة خاصة.

- (أكون هذا الشعور المقبض بسبب من قتامة الشقة المعتمدة؟ أم ترى من آثار الرحلة الطويلة عبر المطارات المستفزة).

في هذه العبارة أربع صفات تكرر الشعور المقبض وتشخص اللحظة، ووصف المطارات بـ (المستفزة) يختزل كل ما يلاقيه المسافر من عناء داخل المطارات. وترتبط هذه الإيحاءات لتتصل بحالة (الإعياء الفظيعة):



سالم العبد

يتكلفها لإخفاء حقيقة العرج المحبطة في جو بهيج. وتبرز في هذه الفقرة مقابلة طريفة بين نقصه (قامته المعصورة وعرجه الطري الذي لم يتكيف معه بعد)، و(فتنة الحوريات) ويفصلهما ويؤلف بينهما التضليل المموه (عكازه الرشيق والنقوش الزاهية). وأختم بهذه العبارات المختارة خشية الإطالة آملاً أن أكون قد وفقت في هذه القراءة المتواضعة:

- تداخل أريج العطر النسائي مكثفاً - الحضور الأنثوي البادخ.
- اخترقت عيناه المشتعلتان الأشباح الآدمية المهرولة.
- وفيما كنت مستغرقاً في حالة الفراغ الشاهق.
- وجهها المكتنز بالبراءة.
- قفزت لحظة ارتطام الغيمة المهتاجة بقمة جبل طبقات غارساً قلمي الطريتين في صخوره الحادة.

- (وارتميت على الأريكة الخشبية العتيقة في حالة إعياء فظيعة).

- (منتصباً بقامته المعصورة باذلاً جهداً استثنائياً مدارياً عرجه الطري بإمالة غير ملحوظة صاغتها مهارة فائقة تواري اعتماده الكامل على عكازه الرشيق بنقوشه الزاهية)، فهنا يكاد الكاتب أن يصف كل كلمة في هذه الفقرة، وكل صفة تنطوي على دلالات، وتشير إلى المشقة التي

أثر الإضافة والنعت في ضبط دلالة المصطلح اللغوي



د. محمد علوي بن يحيى*

العصور التالية، بسبب الحروب السياسية، التي استعرت فيما بين أبناء الأمة الواحدة، من جهة، وبسبب الحروب الصليبية، والمغولية، على العالم الإسلامي، من جهة أخرى، وتمخض عن ذلك انحدارات كبيرة، في مختلف المجالات: الدينية، واللغوية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والعلمية. وما كاد أن ينجلي القرن التاسع عشر، ويبرز فجر القرن العشرين الميلادي، حتى بزغت معه نهضة علمية أخرى، في العالم العربي، رفعت قواعدها بإخلاص أبنائها، وبغيرتهم على عدم اندثار تراثهم المجيد، وبغزمهم على إعلاء شأنه، كأبهى ما يكون، بين الأمم المتحضرة. «وستظل أسماء: أحمد فارس الشدياق، وخليل اليازجي، ونجيب الحداد، وشاكر شقير، وبشارة زلز، ويعقوب صروف، وسليمان البستاني، وأمين المعلوف، وإبراهيم اليازجي، وغيرهم، ممن خدم العربية - خالدة ما خلّنت الأمة، وعاش أبناؤها بينون. وستظل المجلات التي حملت عبء النهضة العلمية، كالمقنطف، والمشرق، والبيان، ثم الضياء، ومجالات المجامع اللغوية، والمؤسسات العلمية - مناراً يهدي الباحثين، ويدفع العمل، والبناء»^(١).

ثم نشأ الله (سبحانه وتعالى) أن تتحول تلك الآمال، والتطلعات، إلى واقع

الشرعية للقرآن الكريم^(٢)، وما يتعلّق به، من علوم اللغة، والمنطق، والحساب، والطب، والطبيعة، والفلك، وغيرها... كل ذلك ليكون قرينة لهم إلى الله سبحانه وتعالى، ووسيلة نافعة لخدمة الناس، في دينهم، ودنياهم. وبعدما اختلط الأعاجم بالعرب، ودانوا بدين الإسلام، شغفوا بالتعرّف على تعاليمه السمحة، ورأوا أن تعلّم لغة العرب هي وسيلتهم المثلى إلى تعلّم دين الإسلام، وأحكامه، ولن يتأتّى لهم ذلك إلّا بدراسة مصطلحاتهم: اللغوية، والشرعية، والعلمية. فاقتحموا هذا المضمار، ونافسوا أقرانهم، من العلماء العرب، وأسهموا معهم، في وضع مداميك التراث الإسلامي، والعربي، وإثرائه؛ عن طريق إدخال المصطلحات الأعجمية، الخاصة بألفاظ الحضارة، لديهم، إلى لغة العرب، وترجمتها بما يقابلها من الدلالات اللغوية. وترسموا في ذلك وسائل، في نقل هذه المصطلحات، ك: الاشتقاق، والمجاز، والتوليد، والتعريب، والنحت، والاقتراض، والارتجال^(٣).

فنتج عن ذلك نهضة علمية، بلغت شأواً في الرقي لا تضاهيها غيرها، من حضارات الأمم المتعدّنة، إبان العصر العباسي. ثم خفت جذوة تلك النهضة، في

تحتل المصطلحات في لغات الشعوب منزلة راقية؛ فهي تقيّد دلالات الكثير من الألفاظ التي يحتاج إليها الناس، في معاملاتهم اليومية، على اختلاف مستوياتهم الفكرية، والعلمية. وقد فطن اللغويون المختصون بدراسة هذه اللغات إلى أهمية هذه المصطلحات، فوضعوا لها حدوداً، تقيّد معانيها؛ فلا تلتبس بغيرها، من المصطلحات، أو تشاركها في دلالاتها. ولم يكن اللغويون العرب بمنأى عن هذا الاهتمام؛ فقد صاحب اهتمامهم بالدلالات الاصطلاحية نزول الوحي الإلهي، على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). ثم ازداد هذا الاهتمام بعد انقطاعه، بمواراة جسده الشريف الثرى، وصارت الحاجة ملحة لتصنيف علوم، تتخصص في دراسة المصطلحات



الجملة النواة، أي: الأساسية، و(Deep structure)، أي: البنية العميقة، و(Surface structure)، أي: البنية السطحية، وهي من (التراكيب النعتية). مما سبق نجد أن علاقة التلازم واضحة، بين تلك المصطلحات (المركبة)، ولا يمكن فصلها، بأي حال من الأحوال، إذ إن دلالة الأسماء الثواني هي من تمام دلالة الأسماء الأوائل^(٨).

وهذه المصطلحات بلغت من الكثرة التي جعلنا لا نغض الطرف عنها، ولا نماري في استعمالها على نطاق واسع، ولا سيما في هذه المرحلة، الضاربة في الحداثة. ولعل هذا هو ما حمل (د. أحمد مطلوب) إلى استحسانه استعمال المصطلحات المركبة، وهذا ما يبدو في قوله: «لا بأس إذا كانت الترجمة أكثر من كلمة؛ لأنه لا يشترط كل الاشتراط أن يكون المصطلح كلمة واحدة، ولعل ما في اللغات الأجنبية أوضح دليل على ذلك، ولا سيما المصطلحات المنحوتة من عدة كلمات، بموجب قواعد النحت، في اللغات الإلصاقية»^(٩).

* أستاذ الدراسات اللغوية واللسانية المشارك، بقسم اللغة العربية وآدابها، بكلية الآداب - جامعة عدن.

(١) ينظر: بحوث مصطلحية، د. أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي، بغداد، العراق، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م، ص ١٠ - ١١.

(٢) ينظر: السابق، ص ١٧.

(٣) دعوة إلى تعريب العلوم في الجامعات، د. أحمد مطلوب، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م، ص ٢٢ - ٢٣. وينظر: القرارات النحوية والصرفية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، د. خالد بن سعود العصيمي، دار التدمرية، الرياض، السعودية، ط ٢، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م، ص ١٩ - ٢٦.

(٤) ينظر: بحوث مصطلحية، ص ٣١ - ٣٧.

(٥) بحوث مصطلحية، ص ٩٩ - ١٠٠. وينظر: ٩٩ - ١٠٠.

(٦) ينظر: بحوث مصطلحية، ص ٢٧، ٢٦.

(٧) ينظر: السابق، ص ١١٥ - ١٨٧.

(٨) ينظر: شرح المفصل، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش (ت ٦٤٣هـ)، عالم الكتب، بيروت، لبنان، د. ت، ١٨/٢.

(٩) بحوث مصطلحية، ص ١٨٩.

المصطلحات (سيارة، وطائرة، وقطار)، ونحوها، على وسائل النقل الحديثة، و(خلطة، وغسالة، ومكواة)، ونحوها، على الأجهزة الكهربائية، المنزلية... بل إن المصطلح ذا اللفظة الواحدة، نجده، أيضاً، يستعمل في غير المخترعات الحديثة، كالمصطلحات المستعملة في ضبوط مفاهيم الكثير من العلوم القديمة، والمستحدثة.

بيد أنه من خلال إنعام النظر فيها نجد الكثير منها لا يفي بالغرض المقصود، إلّا إذا أسند إلى كلمة أخرى، تزيل معها اللبس، والغموض، في دلالتها، وتنفي بها الاشتراك، في الدلالة، مع غيرها من المصطلحات المشابهة.

فإذا وقف قارئ (مثلاً) على عدد من مصطلحات علم (النحو)، عند العرب، فإنه سيجد أن عدداً منها لا يفي بالغرض، إلّا إذا أضيف إليه اسم آخر، يتمّ معه معنى الاسم الأول، أو أتبع باسم آخر، يصفه (ينعته)، بصفة تجلي الغموض عن موصوفه.

فنجد في مصطلحاتهم: مصدر المرة، ومصدر الهيئة، ونائب الفاعل، وشبه الجملة، ونحوها، من المتضائفات، التي تفيد (التعريف)، فيما بينها. وكذا نجد في مصطلحاتهم: الجملة الاسمية، والجملة الفعلية، والمفعول المطلق، والإضافة المحضة، والإضافة غير المحضة، ونحوها، من النعوت التي تفيد معاني منعوتاتها. ولو استعملت لفظة واحدة، من غير تقييد، لاشتربت مع أشباهها من المصطلحات، في الدلالة، ولأدى هذا إلى تعقيد مصطلحات هذا العلم، فوق ما علق به من تعقيد، عند كثير من الدارسين! ونحو ما ذكر من المصطلحات العلمية، عند العرب، نجده، أيضاً، في المصطلحات العلمية عند الغرب، كالمصطلحات: (Nongrammatical sentence)، أي: الجملة غير النحوية، و(Nonkernel sentence)، أي: الجملة غير النواة، أي: الثانوية، وهي من (التراكيب الإضافية).

كما نجد لديهم مصطلحات، نحو: (Grammatical sentence)، أي: الجملة النحوية، و(Kernel sentence)، أي:

ملموس، تقرُّ به أعين كل مخلص للغة الضاد... فكانت المجامع اللغوية في (سوريا)، و(مصر)، و(العراق)، ثم (الأردن)، خير كيان، تحفظ مصطلحات هذه اللغة، وترتقي بها؛ عن طريق جعلها لغة أدب، وعلم، معاً، وتسعى، جاهدة، إلى ترجمة، وتعريب، مصطلحات الحضارة، والعلوم الحديثة، الواردة عليها، من الأمم الأعجمية؛ لتلحق بركبهم، في هذه النهضة المتسارعة^(٤).

وقد اتفق المعنيون بوضع المصطلحات على شروط، وضعوها لتكون لهم مرجعاً أساسياً، يستندون إليه، في وضع المصطلح العلمي... هذه الشروط هي^(٥):

- ١ - اتفاق العلماء عليه؛ للدلالة على معنى من المعاني العلمية.
- ٢ - اختلاف دلالاته الجديدة عن دلالاته اللغوية الأولى.
- ٣ - وجود مناسبة، أو مشاركة، أو مشابهة، بين مدلوله الجديد، ومدلوله اللغوي.
- ٤ - الاكتفاء بلفظة واحدة؛ للدلالة على معنى علمي واحد.

من خلال النظر في الشرط الأخير، يبدو لي أنه يحتاج إلى وقفة، وتأمل، وتحليل. إذ يرى المعنيون بوضع المصطلحات، أن المصطلح الموضوع يجب ألا يزيد عن لفظة واحدة، تفي بالمعنى المقصود، ونقل هذا الرأي (د. أحمد مطلوب)، عن (الأمير الشهابي)، وعن وزارة المعارف العراقية، التي وضعت هذه الأسس، هادفة إلى تأسيس المجمع العلمي العراقي، وعن الخطوط العامة التي وضعها كل من (طه الراوي)، و(معروف الرصافي)، والأب إنستانس الكرمل، عام ١٩٢٨م، وقد أيدها (ساطع الحصري)، وأصدرها في مجلة التربية والتعليم العراقية^(٦)، وكذا عن القواعد العامة التي وضعها المجمع العلمي العراقي، في وضع المصطلحات العلمية، عام ١٩٧٧م^(٧).

واستعمال اللفظ الواحد، مصطلحاً علمياً، لا خلاف في أنه سبيل محمود، لدى كل شرائح المجتمعات، أو جُلّها؛ لكونه أسهل تداولاً، وإدراكاً، كإطلاقهم

شعر الاجترار في حضرموت

ما أعجب الثقافة في حضرموت!

تملاً كتب التصوف والتاريخ والفقه جنباتها، ويضم فيها ما سوى تلك من صورها وكأن لا وجود لها فيها. وإن لما ذكرنا من صور الثقافة فيها أثراً سلبياً على مجالات إبداعية أخرى كثيرة فغدت أسيرتها، وتحكمت في هويتها حتى خبا وهجها وأوغلت في التقليد والاتباعية والاجترار، ولم تتناس مع جمر التجديد ومحركات الإبداع.

وخذ على ذلك مثلاً الشعر في حضرموت تجد أن كثيراً من المنشغلين بالفقه أو التصوف أو التاريخ أو ما إلى ذلك من صنوف المعرفة ذوو باع في نظم الشعر على النحو الذي يتصورون. فهل وضعت أشعارهم على المحك النقدي ليعرف شدة الأدب غنى من سمينها، وتجديدها من تقليدها؟ لم يحدث شيء من ذلك.

ومن عجب أن كلاً منهم معجب بصنيعه كما كل فتاة بأبيها معجبة. وثمة فرق كبير بين الإعجاب بالشيء وبين تقويمه وتقييمه نقدياً. وهو ما لم نعرفه في حركة الثقافة والأدب في حضرموت بعد.



هذا سؤال تطول إجابته وتتنوع على حسب موقف المجيب ورؤيته للموضوع، ومدى استعدادده للإحاطة بأبعاده بعيداً أو قريباً، من المنظور الموروث للإبداع الشعري. لكن لا ضير من تلمس بعض جوانب إجابته من خلال النظر في المنجز الشعري لأعلام من الشعراء في حضرموت وهم الذين عرفوا بالاتباعيين أو وسّموا بهذه الصفة.

هذا اقتراح قد يحبّذه بعضهم، لكن من المختار هنا للبدء به للنظر في شعره؛ لتكن البداية بالأستاذ الكبير السيد محمد بن أحمد الشاطري، فقد كان فقيهاً ومؤرخاً وأصدر ديوانين، فهل يمكن أن يعدّ شاعراً في الشعراء؟ كلا. ليس الشاطري بشاعر، وعلاقته بالشعر كعلاقة جنّي بالإبداع الإلكتروني. أليس هذا حكماً جائراً؟ نعم ليس جائراً؛ لأن صلة الرجل بالشعر بعيدة، وإن أحكم نظم العروض وصاغه في جمل ووصله بأغراض هي في الأصل مقولات كبرى ابتدعها المتأخرون ولم يأبه لها عابرة الشعراء.

فعالم النبات لكي يدرس الشجرة لا يجلبها كلها إلى معمله وإنما يستأنس ببعض أغصانها وأوراقها لمعرفة أسرارها كلها من بعد. ومن رام إدراك الهوية الثقافية لمجتمع ما لا يمكنه فعل ذلك إلا من خلال تتبع جزئيات مكونات بنيته الثقافية حتى يستطيع تشكيل البنية الكلية لتلك الثقافة المهيمنة على ذلك المجتمع.

وناقداً الأدب لا يصل إلى حكم جامع غير مانع في أدب أديب ما إلا بعد أن يقتل مفردات أدبه بحثاً وفهماً فيصل إلى هذا التكوين الكلي لرؤيته النقدية لأدب فلان أو فلان من شعراء هذا الأدب أو ناثريه.

في حضرموت شعر كثير، ومنه الفصيح وهو الذي يهمننا في هذا المقام، ومنه العامي وهو لا يشغلنا هنا ولعله يكون موضوع حديث آخر.

لكن ما مدى الإبداع في المنجز الشعري في حضرموت منذ ابن شهاب حتى أقرب الشعراء عهداً بالممارسة الشعرية؟



أ.د. عبدالله حسين البار

هذه قضية تستوجب درساً، ولذلك سنسعى إلى معالجتها من خلال النظر في صنيع بعض أعلام الشعراء في حضرموت لننظر في جدلية التقليد والتجديد في أشعارهم.

سيقول قائل:

ولماذا النظر إلى هذه المسألة من خلال الأعلام؟

لِمَ لا ننفذ إليها في عمومها وكتلتها؟ وهذا صنيعٌ درجت عليه دراسات نقدية كثيرة.

وأقول: إن المنهج العلمي يقتضي ذلك. وهذا من باب معرفة الكل من خلال الجزء.



الأمر ضعفًا على إباله، ولكنني أدع
أمر الموازنة للأدكياء من الأدباء
متكئًا على ذوقهم وسعة بصيرتهم
في تدبر الحال وتفنيد القضية.

لقائل آخر أن يقول: ألا ترى أن
شاهدًا واحدًا لا يكفي دليلًا على
براءة ديوان الشاطري من الشعر؟
لعل تلك الأبيات كبوة جواد، وأبادر
بالرد: أي جواد؟ وأي فارس؟ لقد نظر
الأستاذ ابن هاشم نظراتٍ في شعر
الشاطري وطاقف ببعض معانيه
فأثنى في المظان التي ينعدم في
مثلها الثناء، وسأتيك ببعض شيءٍ من
ذلك. خذ مثلًا حديثه عن الحكمة في
شعر الشاطري، واسمعه يقول: «ولم
يكن ديوان الشاطري بالذي يغفل
نصيبه من الحكمة فقد يمر هاجسه
عند تطوافه من أونة إلى أخرى
بحظيرة الحكمة فيعلق به منها ما
يعلق صفوًا عفواً». وضرب على ذلك
مثلًا هو قول الشاطري:

فدو العلم إن لم يستفد من علومه

فلا فرق بين العارفين ومن عمو

وذو المال إن لم يعطه مستحقه

فلا تمتروا في أنه سوف يندم

ولا خير في مال وإن كان واسعاً

إذا لم يكن يجدي العباد ويخدم

وكل امرئ ما منه خير فإنه

كما قال بعض الناس ثور معمم

الحكمة في الشعر فكر يترقرق على

سطح القصيدة. والأصل أن الشاعر

ينشغل بما يرتعش في الوجدان من

رقيق المشاعر والأحاسيس عن

الحكمة وأشباهها، لكن شعراء كامري

القيس وعمر بن أبي ربيعة وأبي نواس

وغير هؤلاء من الشعراء أرسلوا الحكم

في أشعارهم فترقرقت ليثة، وانسابت

هينة فجاءت صورة من صور البلاغة

في الشعر. يقول امرؤ القيس من

السيد محمد بن أحمد الشاطري



إن ابن شهاب (أبو بكر بن
عبدالرحمن) لأشعر من الشاطري
بمعيار عصره، وبشرط الإبداع لديه.
فلكم تفنن في صناعة القصيدة، وجاء
بمطرب وعجيب، والشواهد شواهد،
وقف معي على واحد منها دل عليه
العجل ولم يستنبطه الريث والمهل.
قال:

أتذكر إذ هصرت بفود سلمى

وكانت من عقاب الجو أصعب

فالت مثل بدر في ظلام

على غصن على رمل مكثب

ورمت عناقها فبكت دلالاً

وكنكف دمعها الكف المخضب

ولم تلبث بأن أدنت جناها

وأولت الموزر والمنقب

هنا ينبثق النص من ثنايا نصوص،

بعضها معلوم بالفعل، وبعضها معلوم

بالقوة. لكنك لن تخطئ قدرة بنيته

اللغوية على خلق تخييل ملامس

لشرط الإبداع في عصره، ومن هنا

تميزه من شعر الشاطري على تقادم

ابن شهاب في الزمان.

وإن يكن ذاك حال الشاطري مع ابن

شهاب وهو سابق عليه فكيف به إذا

وازنا بين شعره وبين شعر الحامد

مثلاً؟ وإنما الشاعر الحامد. ولن أقيم

لك مثل هذه الموازنة هنا حتى لا أزيد

سيقول قائل: ألم يكن له إنجاز في
الشعر؟ ألم يخرج للناس كتاباً منه
تحلى بمقدمة دبحها شيخ النادرين
في عصره الأستاذ محمد بن هاشم؟
ألم يقع الديوان موقع القبول عند
بعض الدارسين؟

أقول عن ذلك كله: بلى. ولكننا
ندرك أن ثمة بوناً شاسعاً بين (كلام
موزون ومقفى)، وبين (كلام فيه
تخييل ويفوح منه عبير الشعرية).

إن ما اشتمل عليه كتاب الشاطري
الموسوم بـ (ديوان الشاطري)،
وديوانه الثاني الموسوم بـ (القطوف
الجنية) من قصائد تتضمن كلاماً
موزوناً مقفياً لكنه مغسول من
التخييل، وبريء من الشعرية. أفلا يعد
مثل ذلك الكلام نظماً؟ ولأزيد الأمر
بياناً أضرب لك مثلًا شاهدًا، لعل قلقًا
في نفسك يهدأ أواره ويروى عطشه.
اسمع إذاً، قال:

جئنا إليك وأنت أكرم نادي

لتقيم فيك مواسم الأعياد

جئنا إليك لكي يحمي بعضنا

بعضاً تحية ألفة ووداد

ولكي نصوغ من التهاني كل ما

جلب السرور وبل قلب الصادي

وندير كآسات السرور فتعش

الأرواح حين تدب في الأجساد

جئنا إليك لأنك القصر الذي

أسمى وأصبح مركزاً للضاد

ألا ترى أن الكلام هنا واقف عند حد

الصفير لا يكاد ينبعث عنه أصبعاً؟ أفترى

في كلام تلك صفته شعرية؟ وما

الشعرية؟ أليست خرقاً للمألوف،

وخروجاً من المواضعة إلى الاتساع؟

وآين هذا الكلام -وأمثاله في ديوانه لا

يكاد يحيط به حصر- من الانزياح

ومنظوره الأسلوبية عند علماء الشعر

في الأولين والآخرين؟



قصيدة:

أرانا موضعين لأمر غيب

ونسحر بالطعام وبالشراب

عصافير وذبان ودود

وأجراً من مجلحة الذئاب

وما أكثر من مضوا وحالتهم كحالة

امرئ القيس حين قال:

وقد طوّفتُ في الآفاق حتّى

رضيتُ من الغنيمة بالإياب

وأبو نواس هو القائل:

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشفت

له عن عدوٍّ في ثياب صديق

وقل مثل ذلك في كثير من أبيات

هذين الشعاعين وغيرهما تناثرت

الحكم في مجمل أشعارهم فتلاّلت

كالنجوم لتباعدها واحداً عن الآخر، في

حين خبا وهج كثير من أمثال شعراء

وصفوا بالحكمة لتراكمها في

القصيدة الواحدة كما في شعر صالح

بن عبد القدوس في العصر العباسي.

ومن هنا كان اهتمام النقاد والبلاغيين

بما أرسله أولئك الشعراء من طبقة

امرئ القيس من حكم وأمثال، وعدوها

صورة من صور التّفنن وتحسين

الكلام.

تجري الحكمة في أبيات امرئ القيس

هنا على النسق الاستعاري من حيث

خلق التماثل شعريّة لافتة.

وهي تجري في بيت أبي نواس على

النسق الدلالي الذي يلد المعنى من

ثنايا التضاد.

أما في أبيات الشاطري فتجري في

إطار الوعظ، ولا غير.

ومن هنا تضمّنت أبيات امرئ القيس

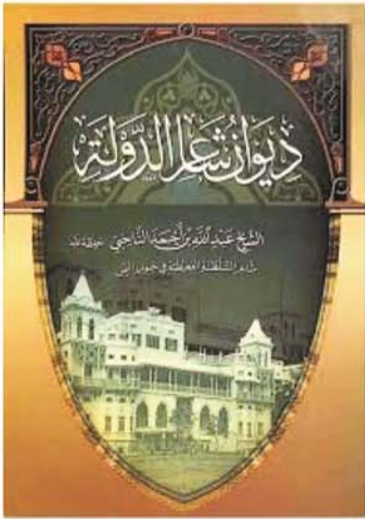
وأبي نواس بأريج الشعريّة في حين

تعطلت الطاقة الإبداعية في أبيات

الشاطري فانحصرت في دائرة القصد

الدلالي ولم ترق إلى مستوى الإيحاء.

ومع ذلك دع الأستاذ ابن هاشم فقد



الشيخ عبدالله بن أحمد النّخعي

هو طرائق استخدام اللغة وأساليب
تشكيلها في النصّ، فيها وحدها يكون
الشاعر مجدداً لا بالموضوع.

وهذا قريب من نفي التجديد من
خلال استخدام الألفاظ العصرية في
الشعر والابتعاد عن الغريب الحوشي
الذي أنس به الأوائل فساغ في
أشعارهم. فلقد يقول بعضهم في
وصف شعر الشاطري إنّه لجأ إلى
المانوس من مفردات العصر فشاعت
فيه، وليس هذا بشيء أيضاً. لأن
العبرة هنا بالسياق الذي وضعت فيه
المفردة فإن كان مباشراً أنتج دلالة
قصيدة هي إلى النثر العادي أقرب. وإن
كان السياق محوّل أنتج دلالة إيحائية
وهي أدنى صلة بالشعر. وما قرأت في
شعر الشاطري ما يحشره في زمرة
المجددين لا من جهة الموضوع ولا
من جهة المفردات. وحسبه ما صنع،
فذلك أقصى ما تستطيع الوصول إليه
قدرته في الكتابة الفنية، وأنّى له
بسواها؟

هذا واحد من شعراء الاتباع في
حضر موت وتلك صورة شعره. أما
الثاني فهو الشيخ عبدالله بن أحمد
النّخعي وله ديوان موسوم بـ(ديوان
شاعر الدولة). وسأنظر في الديوان من
حيث هو كتاب. وليعجب من أراد
العجب. إذ كيف يكون النظر في

كتب مقدّمة وضعها صاحب الديوان
في أوله لتكون معبراً إليه، (ولكن
حديثاً ما حديث الرواحل)، وأعني
الأكاديمي الذي عد الشاطري آخر
الإحيائيين المجددين الكبار، وضع ما
شئت من خطوط تحت الصفتين
الأخيرتين فهما تشقان عن الموقف
الفكري - حتّى لا أقول الإيديولوجي -
للناقد، وهو موقف يكثر الجدل فيه
لتقاصر النصّ عن بلوغ هذا المستوى
أعني التجديد. ومن عجب أنّك تقرّ
قوله اللاحق في ثنايا السطور فإذا هو
يقرب (أنّ الشاعر ذو رؤية تقليدية
غالبية)، فمن أين جاءه التجديد إذا؟
سيقول - وقد قال - من جهة
الموضوع. وتلك حجة يرددها عدد من
الباحثين حين يعرضون لمسألة
التجديد في الشعر الحديث. ولست أعد
الموضوع في الشعر تجلياً تجديداً
قط، وسأضرب لك مثلاً، هذا الطلل،
موضوع قديم مذكور في قصائد
الجاهليين، وغدا صورة مكرورة في
أشعار من تلوهم في أدوار التاريخ حتّى
وصف من استخدموه في أشعارهم
بالتقليديين، لكننا حين نقف على
صورة الطلل عند شاعر مثل إبراهيم
ناجي أو شاعر مثل أحمد عبد المعطي
حجازي تجد أنّ الموضوع التقليدي غدا
صورة للتجديد ظاهرة. والعلة في هذا



ألا يدل هذا على ذوبان ذات المبدع وتعالى ذات (الدولة والسلطنة) بكل ما تمنحه هذه المفردة من دلالات سياسية واجتماعية وفكرية؟
فهل في هذا ما يؤذن للشاعر بأن يتغنى بعواطفه ومشاعره ورؤاه الذاتية؟

هل فيه ما يهينه للتغنى بالوطن وهو أكبر من الدولة، والسلطنة حال متحولة فيه؟

هل سيجوز له الخروج على الأعراف والتقاليد الاجتماعية والثقافية وحتى اللغوية ما دام شاعر الدولة وشاعر السلطنة؟

وأنى له الإبحار في عوالم التخيل ما دامت القيود تحيط به من كل الجهات؟

ألا ينبك هذا -أو بعضه- عن الهوية الإبداعية التي ستواجهها في الديوان؟
على أننا قبل ذلك سنقف عند صفة (الشيخ) التي تسبق اسم المؤلف. وفي العرف اللغوي تستخدم تلك الصفة لوصف الرجل عند بلوغه من الكبر عتياً لأنها مرحلة في العمر، أو يوصف بها عند اتساع علمه لأنها درجة في العلم، أو بوصفه مفزع القوم عند تحمله أعباء قبيلته لأنها منصب في الهرم الاجتماعي للتكوين القبلي. وإن الصفتين الأوليين لصيقتان به، وأما الثالثة فلا. وفي كلتا الصفتين الأولى والثانية ما يتماهى مع الهوية الإبداعية للديوان.

فمن جهة العمر فإن الله سبحانه قد مد في عمر الشيخ وبارك أيامه حتى تخطى مرحلة الشيخوخة بكثير. ونشر الديوان وهو في هذه المرحلة من العمر -طبع الديوان طبعته الأولى عام ٢٠٠١م- وإن لها سمتها الاجتماعي الذي يتناقض مع سمت الشبيبة، فإذا كان من خصائص الشبيبة الاندفاع والتحرر من القيود والانقلاب على

بعض، وإن رأيت كثيرين يتناولون واحداً من تلك المتعاليات فينشغلون به دون سواه مع أن صاحب (النظرية) قد بناها جزءاً جزءاً حتى اكتمل بين يديه بناؤها. وإذا كان قد أخذ في تفصيل عنصر دون عنصر فلا يعني هذا أن نضع صنيعه وقد اكتملت أجزاء الصورة أمامنا. فمن الأجدى أن نتفاعل معها من حيث هي بنية كلية وليست عناصر مفردة أشتاتاً. لكنّها تتطلب وقتاً طويلاً حتى يحيط من عمل في ضوئها على نص ما بجميع جوانبها وأبعادها. ثم من أين لنا النص الذي يستوعب كل تلك الأبعاد في هذه (النظرية)؟ وهذا حق.

على أن السؤال الذي يشغلني الآن هو: ما الذي يمكن أن يقال عن ديوان الناخبي من حيث هو (كتاب)؟ وهنا



ابن شهاب

سنحاول أن نربط بين مكونات النص الموازي فيه وهويته الإبداعية.
أول ما يلفت المتلقي هو صورة فوتوغرافية للقصر السلطاني ذي الصلة الوثقى بالمعمار الهندي، وقد تم التركيز في تصويره على الجزء الشرقي منه الذي كان يمثل سدة العرش. ألا يتماهى هذا مع الوصف الذي حرص الشاعر على إثباته لنفسه على الرغم من تقادم العهد به وهو (شاعر الدولة)، (شاعر السلطنة القعيطية في جنوب اليمن)؟

الديوان من حيث هو كتاب؛ لكن الوقوف على مقولات الحداثيين الذين يفتقون الأسئلة فيصنعون منها نظريات ومقولات نقدية يدلنا على أنهم سعوا إلى الاستفهام عما يجعل من النص -وهو ملفوظ، شفاهي أو كتابي سيان- كتاباً. فتحدثت (جنيت) عن المتعاليات النصية، وجعلها خمساً، وكان ثانياها أو ثالثها ما أسماه "النص الموازي"، وضمه جملة من العناصر المكونة لبنيتها، منها الغلاف الأمامي وما احتوى عليه من عنوان للكتاب وموضع اسم المؤلف والصورة المختارة للغلاف، والغلاف الخلفي وما احتواه من أشباه ذلك، ثم انتقل إلى الصفحات التالية للغلاف فتحدثت عن الإهداء ومقدمات الكتاب إن كانت من صنع المؤلف نفسه أو من تأليف آخر، ووصف ما اشتملت عليه من رؤى نقدية تصلح أن تكون مداخل لقراءة النص المشتمل عليه الكتاب، ثم أوجب الوقوف على عناوانات الفصول إن كان الكتاب نثراً، أو عناوانات القصائد إن كان الكتاب شعراً... إلى آخر ما أشبه هذا ودنا منه، وقلب هيئة الكتاب وشكله على كل الاحتمالات والصور الممكن تجليها فيه حتى يصل من ذلك كله إلى الحديث عن هوية النص المتضمنة في الكتاب. وهو في كل ذلك لم يعزل هذا (النص الموازي) عن بقية عناصر متعالياته النصية وإنما عدّه بعضاً، وإن خصّه بكتاب كامل أسماه -كما في ترجمته- "عتبات"، مثلما خص من قبل "جامع النص" بكتاب.

لعل سائلاً يسأل: وهل في هذا الدرس وأشباهه جدوى؟ وأجيب: لا شك في جدواه إن أحكم المتعرض لها طرائقها، ووعى الغايات منها، فالأشد أهمية أن يدرك العامل بهذه الطرائق المنهجية صلة عناصرها ببعضها



50

العدد (12)
أبريل
يونيو
2019م



الشاعر / صالح بن علي الحامد

كما يدرك العارفون.

وفي شعر شوقي ررفة في عوالم
التخييل تنبئ عنها لغة توغل في
الإيحائية وفق شرط الإبداع في عصره،
قال:

مضني وليس به حراك لكن يخف إذا رآك
ويميل من طرب إذا ما ملت يا غصن الأراك
إن الجبال كساك من حلل المحاسن ما كساك
ونبت بين جوانحي والقلب من دمه سقاك
هنا يندغم المجاز الاستعاري، وهو
أدخل في المرثي، بمكونات بدعية
ذات بُعد إيقاعي مسموع يتمثل في
التصدير وفي الإعنات وما أشبه هذا
ودنا منه. وإن في البيت الأخير نظراً
عميقاً إلى قول الشريف الرضي:

يا ظبية البان ترعى في خمائله

ليهنك اليوم أن القلب مرعاك
ومهما اتصل الحديث عن الشعر
والشعراء في حضرموت بهذا الشاعر أو
ذاك فإن مما لا مراء فيه أن الحامد هو
الشاعر بلا شبیه أو مضارع.

على ضوء ما سلف يأتي سؤال هو: ما
الذي نجده في نصوص الديوان حين
نشرع في قراءتها؟ دعنا إذاً نقرأ نصاً
نقيس به، وهو شاهد، ما غاب من
نصوصه الأخرى، ودال عليها، قال في
مدحة نبوية:

الأعراف الموروثة في معركة تغلب
الوجود على الماهية فإن من
خصائص الشيوخوخة الالتزام
بالأعراف واحترام القيود والسدود
والحدود حتى ليبلغ بها الحال إلى أن
تخترع لها قيوداً وسدوداً وحدوداً إن
لم تجدها أمامها كابحة أهواءها،
وملجمة شهواتها، ونزق رغباتها.
ولهذا أثره في توجيه قصائد الديوان
نحو هوية إبداعية بعينها. وحسبك
هذه الإشارة، فالليبي يفهم بها.

أما من جهة العلم فعلم الشيخ علم
ديني يغلب الفقه وعلومه على كل
شيء سواه. فهو أدخل في باب الفقهاء
الذين نظموا قصيداً موزوناً ومقفى.
وحديث النقد القديم عن هؤلاء
وسمات ما نظموا ليس بخاف على
قارئ. ولهذه الصفة أثرها في تعيين
الهوية الإبداعية للديوان كأثر الصفة
الأولى تماماً بتمام.

لقد تقاصر الناخبي وأمثاله من شعراء
الاجترار - بلغة مارون عبود - عن احتذاء
صنيع كبيرهم الذي سبقهم على درب
الإبداع الشعري فجلى من حيث قصروا
ولم يبلغوا حد التصلية. وما كبيرهم
هنا إلا ابن شهاب، ودع عنك (شوقي)
فقد كان فارس المضمار الذي لا
يضاهي في إبداعه، وفق شرط
مدرسته، ومعيار زمانه، ومكونات لغته،
فلم يرق مرثاه واحد من هؤلاء. أقول
هذا على الرغم من محاولة الشيخ
احتذاء صنيعه وهيئات. لقد انتصر
شوقي للشعر وإن ظل وفيّاً للقصر
ومكارمه عليه:

أأخون إسماعيل في أبنائه

ولقد ولدت بباب إسماعيل

وبقي معتزاً بعلاقته بالقصر، فقال:

شاعر العزيز وما بالليل ذا اللقب
هذا ما افتتح به مسرحيته (مجنون
ليلي) وفيها خروج على أعراف مدرسته

مالي أرى الشرقي منهوك القوى
مستسلماً في منتهى الإيلام
جهل العواقب تائهاً في جهله
لم يدر معنى النقض والإبرام
طوت الليالي عزّه وجلاله
حتى انزوى في ذلة وسقام
وأرى رجال الشرق في خلف وفي
لهو وفي ذل وفي إحجام
والنصر ليس لحامل متردد
في عزمه متلون متعامي
هذي حقيقة أمرنا ويشيرها

ميلاد خير مهذب مقدم.
تثير لغة النص المقتبس مسألتين،
إحداهما تدلّ عليها حكاية وردت في
بعض مصادر الأدب العربي القديم
منسوبة للبحرّي وبعض شعراء
عصره. قال البحرّي: «دعاني علي بن
الجهم فمضيت إليه، فأفضنا في أشعار
المحدثين إلى أن ذكرنا أشجع السلمي
فقال لي: إنه يخلي، وأعادها مرّات ولم
أفهمها، وأنفت أن أسأله عن معناها،
فلما انصرفت فكرت في الكلمة
ونظرت في شعر أشجع السلمي فإذا
هو ربّما مرّت له الأبيات مغسولة ليس
فيها بيت رائع، فإذا هو يريد هذا
بعينه. إنه يعمل الأبيات فلا يصيب
فيها بيت نادر كما أن الرامي إذا رمى
برشقه فلم يصب فيه بشيء قيل:
أخلى». والإخلا سمة في أشعار الشيخ
ما ذكر منها شاهداً وما استتر غائباً
وثبت وجوده في الديوان.

تلك واحدة، والثانية تتصل بلغة
النص، والكلام فيها هنا يعمّ سواها
مما لم نذكر. وإن من المعلوم عند
علماء الدلالة أن للسياق صوراً منها ما
هو مباشر، ومنها ما هو غير مباشر،
ومنها ما هو محوّل. وإن السياق
المباشر يستخدم المفردة كما عرفتها
المعاجم، وجرى عليها الاستخدام



خلال صلتها بالمهجور من الدوال والمتداول منها. ومن خلال بيئة بعينها، أو الاتصال بسواها... إلى آخر ما هنالك من ذلك، وبمثل هذا التناول يتم تحديد الهوية الإبداعية لدوال الشعر عند فلان وفلان من الشعراء لا بمثل هذه الأحكام العامة.

ثم خذ قوله: (والبلاغة)، وقل لي: أوجد شعر يخلو منها، كأننا ما كان معناها معجماً أو اصطلاحياً؟ وأما (الطلاوة) فليست بشيء في الحديث عن الشعر وإن جرت اللفظة في مقام وصف القرآن الكريم، وليس بين القسولين تماثل، وأنى يكون؟ وإن استخدام لفظة (الفن) في كلامه دليل على انعدام الضبط المنهجي، والاكتفاء بالقاء الكلام على عواهنه كما يقولون.

إلى ماذا يرد هذا التخليط في القول؟

أولاً: إلى عدم الاختصاص في العلم. فليس كل ذي قدرة على القول بقادر على الحكم النقدي. حقاً هو سيقراً من هنا شيئاً وشيئاً من هناك، وسيضم الشبيه إلى نظيره، لكن الوعي بأبعاده وخصائصه سينأى عنه. ومن هنا نكثر من الحديث عن الضبط المنهجي؛ لأنه لا يتأتى إلا لذوي الشأن والاختصاص.

ثانياً: انعدام التقويم والتقييم النقديين، وهما أسـمى دلالات التكريم. فلقد خلا عصر ابن شهاب من حركة نقدية تواكب، مثلما كان حسين المرصفي الناقد يواكب محمود سامي البارودي الشاعر، ومثلما كان العقاد وطه حسين ونعيمة يواكبون إبداع شعراء المهجر أو المشرق في مصر وبلاد الشام، وكان لهم تأثير من بعد على الحركة الشعرية في بلاد عربية أخرى ولكن بطريق غير مباشر، وقل مثل هذا في سواها.

إن النقد المواكب للحركة الإبداعية يمثل من جهة تفاعل المعاصرين مع النص المبدع، ويسهم من جهة أخرى

في شعر الرجل، ومال إليها غير ذوي الاختصاص في الشعر وعلومه خلقاً ونقداً.

وخذ على نظائرها قول القائل: «وفي شعر ابن شهاب [...] عدة ظواهر منها: الرقة، والبلاغة، والطلاوة، والفن». كلام عام أنأى ما يكون عن الضبط المنهجي الذي يقيد المطلق من

اللغوي عند العرب. أما السياق المحول فيستخدم المفردة منزاحة عن المواضعة، ويلعب المجاز دوراً في ذلك التحويل. يترتب على ذلك أن المفردة في إطار السياق المباشر تنتج دلالة قصدية، وتعطي بوجودها في الكلام معنى حقيقياً مثلما نصف الثوب ذا اللون الأزرق بأنه أزرق، ونصف المكان

ليس الشاطري بشاعر، فصلة الرجل بالشعر بعيدة، وما الذي يمكن أن يقال عن ديوان الناخبي من حيث هو (كتاب)؟

القول، ويحدد المبهم منه، ويحول دون استحالة الحكم النقدي إلى ألفاظ لا تبين عن قصد. ومع ذلك هلم إلى الوقوف على هذه الدوال الأربع لتأملها، وخذ أولها (الرقة)، ما المقصود بها هنا؟ وأين تكون؟ أفي اللفظ؟ أم في التركيب؟ ومتى يكون اللفظ رقيقاً؟ ومتى لا يكون؟ وكيف ندرك الرقة في الشعر؟ أمن خلال وعينا بالمعنى؟ أم بشيء في المكونات الصوتية للفظ؟ إن ما نحسبه جافياً حوشياً قد يكون مانوساً في موضعه من الكلام ما دام متسقاً مع ما انتلف به من دوال. ثم أين الدليل على مظهر الرقة في شعر ابن شهاب؟ هلا جاء بمثل شروء عن ذلك.

إن التعامل الحق مع الدوال في أي نص شعري لا يكون بنعتها بمثل تلك الصفة وما أشبهها، ولكن بالنظر فيها من خلال (المعجم)، والمقصود به هنا تكرار لفظة بعينها في نصوص شعر الشاعر تكراراً ملحوظاً يحصره العد. ومن خلال (الحقول الدلالية)، والمقصود بها هنا أن مفردة تجمعت في ثناياها جملة من المفردات المشتركة في المعنى. ومن خلال دنو اللغة من العامية أو نأياها عنها. ومن

المتسع بأنه متسع... إلى آخر ذلك. أما المفردة في إطار السياق المحول فتنتج دلالة إيحائية، فتتجاوز المألوف إلى نقيضه، وهنا تتداخل الألوان مع غير موصوفاتها لتوحي بالمعنى المنشود. فهل في أبيات الشيخ يرحمه الله مفردة وضعت في سياق محول لتنتج دلالة إيحائية؟ أو ما في أبيات الشيخ من مفردات إنما وضعت في سياقها المباشر لتنتج دلالات مقصودة دل على معانيها المعجم، وأكدها الاستخدام العرفي للمفردات؟ وإنه لشيء من هذه الفكرة الأخيرة وصفنا أشعار الشيخ الناخبي وأضرابه من شعراء الاجترار في حضرموت بأنهم أقرب إلى النظم، وأما الشعر فإنه منهم بعيد.

ثالث الثلاثة وبه أختتم الحديث هو "قريع البلغاء.. ومتنبئ عصره". وأعني بذلك أبو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب. ووصفه بهذا الوصف إنشاء لغوي لا صلة له بالضبط المنهجي الذي ينبغي أن يتسم به كل قول نقدي وإلا فقد عمقه، وبأخت فعاليتته. وإن من أمثال هذه الأوصاف التي ينعته بها ابن شهاب وشعره كثيراً خطه أصحابه في صفحات كتبهم التي غدت مراجع



يتميز ابن شهاب بأنه سعى إلى تحرير الشعر من التجارب الساكنة فربطه بحركة الحياة من حوله متفاعلاً معها ومنفعلاً بها

قريبٌ من هذا ما تجده في ديوانه من شعر الحنين إلى (حيّ الأحبّة والسفح)، والشوق إلى (وادي البشامات والطلح). فقد خبّر لذع جمره، ووعى لواعج الأشواق في صدره حين طال به الطواف في بلاد أدناها في اليمن وأقصاها في تركيا شمالاً وفي الهند شرقاً.

سيقول قائل: إن مثل هذه التجارب أو الإطارات النفسية هي مما عرفه الشعر العربي وليس فيها جديد. وهذا حقٌّ، ولكنّ قياسه بما عُرف من تجارب ساكنة محدودة في شعر شعراء عصره يدلّك على الانحراف أو قلّ العدول الذي أحدثه ابن شهاب في طبيعة التجربة التي جاءت متصلة بحياته، وذات أثر في نفسه.

لقد أخرج ابن شهاب الشعر من الزوايا التي تلهل نسيجه في عتمتها الداكنة وجوّها الرطب إلى فضاء الحياة المتجدّد هواؤه وأضواؤه فالتحم بها في حدود ما عرف وخبر من تجارب.

يا أيها الراكب الغادي إلى بلد
جرعاؤه خصبه المرعى وأبرقه
ناشدتُك الله والودّ القديم إذا
ما بانَ من بانٍ ذاك السفح مرقه
وشاهدتُ عينك الغناء غادرها
مخضلةً بالحيا الوسمي مغدقه
أن تستهلّ صريحاً بالتحية عن
باك من البعد كاد الدمع يغرقه
يثير أشجانه فوج الصبا سحراً
وساجع الورق بالذكرى يؤرقه
له فؤاد نزوع لا يفارقه
حر الغرام وجفن ليس يطبقه

بها العد. وانظر في الجزء الرابع من كتاب (تاريخ الشعراء الحضرميين) للسقاف، تلقّ فيه ما يزيد على البغية، وينيف على المطلوب.

وهنا يظهر لك تميّز ابن شهاب منهم وإن ضمّه بهم عصر واحد، فهو من شعراء القرن نفسه لكنّه سعى إلى تحرير الشعر من تلك التجارب الساكنة فربطه بحركة الحياة من حوله متفاعلاً معها ومنفعلاً بها، فجاءت أشعاره في الأغلب الأعمّ نتاج هذا الصراع الذي كابده حالاً ومرتحلاً، بين أهله وذويه أو في بلاد غربة وهجرة. قال:

هل في القضية أن أقيم ببلدة
يخشى الكرامُ بها أذى أو غادها
في الأرض متّسعٌ حرّ نفسه
عصاءُ يأمن مستحيل كسادها
فلتنكّل الغنا حلولي دورها
وعليّ فلتلبس ثياب حدادها
فسنامُ أيّ الأرض أذهب منزلي

ولي الندامي الغرُّ من أمجادها
رفض للموجود ما دام قد مسّ من
كرامته شيئاً، وإبّاء يتمرّد على المهانة
والذلّ في سبكِ متماسكٍ لا خلخلة في
نظمه، ولا اضطراب في تركيبه. وكأنّه
(الشنفرى) يتحدّى بني أمّه فيخاطبهم
بأن يقيموا صدور مطيهم ما دام إلى
قوم سواهم مانلاً:

فقد رُمّت الحاجات والليل مُقمرٌ
وشدّت لطيات مطايا وأرحلُ
وفيها:

وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى
وفيها لمن خاف القلى متعرّلاً

في خلق وعي به سالباً كان أم موجباً. أما إذا عزّ هذا النقد المواكب فإنّ المجال ينفسح أمام كلّ من اقتدر على القول ليقول ما يشاء كيف يشاء.

ثالثاً: عدم القدرة على تجاوز الموروث من صور النقد العربي القديم، وقد غلبت عليه تلك الطريقة في التقويم والتقييم، وإن تكن به إشراقات فإنها بعيدة عن أذهان الاتباعيين الذين أولعوا باجترار مثل تلك الأحكام. وهناك أسباب أخرى أدعها لذهنكم الصافي، ووعيكم العميق لتتبيّنوها.

فلنمض عن هذا لنبحث عن بديل لهذه الأحكام في شعر ابن شهاب. ولكي ندرك الأثر الذي أحدثه ابن شهاب في تاريخ الشعر العربي في حضرموت علينا أن ننظر في أشعار من ذكروا في تاريخ هذا الشعر في هذا البلد في القرن التاسع عشر الميلادي.

إنّ ما لا خلاف عليه أن كثيراً من شعراء تلك الحقبة من التاريخ قد ارتبط بالقرآن الكريم والحديث النبوي وما اتصل بهما من كتب الفقه والتصوّف، ولهذه جميعاً سمّتها اللغوي السامي، ومع ذلك فقد تقاصرت لغة أشعارهم عن مبارحة حدّ الصفر في الكلام على مستويات، منها ما يجيء من جهة نظم القصيدة وصياغتها وجودة سبك أبياتها، فما أكثر ما يتخلّل سبك البيت فلا يستقيم وزناً، ويبهت معناه. ومنها ما يجيء من جهة التجربة الشعرية، أو قلّ الإطار النفسي والفكري الذي ينتظم القصيدة، ويشكّل هواجسها الشعرية. فقد غلب عليهم الوعظ، ومدح شيوخهم في الطريقة، ومدح العلم من حيث هو، والحث على مكارم الأخلاق والتمسك بها. وداروا في هذا الإطار ولم يبرحوه حتّى طمست التجارب، وجاء القول مغسولاً من طريف يدهش، أو بديع يطرب، والشواهد أكثر من أن تحصى أو يحيط



تجري بأمر الله والريح التي

سرّ الإله بناره فيها سري

تهوي هوي الأجل المنقض لا

ترعى الجنوب ولا الدبور الأزورا

حتى أت حرم الأمان فكل من

حملت أهل ملياً ومكبراً

ونزلت سوح من النزول بسوحي

في ذمة من جوده لن تخفرا

ثم يشرع في مدحه كما جرى العرف

الشعري عند أمثاله من الشعراء من

الأولين والآخرين.

هنا تتماثل (السفينة) ب(الناقة)،

ويجري الشاعر على مركوبه، وهي

السفينة، ما أجراه الشاعر القديم على

الناقة، وهي مركوبه، لولا أنه تخرج عن

ذبحها مثلما كان يصنع الشعراء في

قديم الزمان إذا وصلوا إلى ممدوحهم،

أما هو فادخرها لحاجة في نفسه، لكم

أن تقولوا في ابن شهاب هنا ما يمكن

قوله في الإحيائيين من نظرائه من أن

للمقروء من أشعار الشعراء العرب الأول

هيمنة على أشعارهم هيمنة عظمت

قدراتهم على خلق عوالم من التخيل

مبتكرة، فإن ذلك لكم، أترونه لهذا

غدت الطائفة عند الجواهري (مهراً بلا

رسن) حين قال:

من موطن الثلج زحاًفاً إلى عدن

خبت بي الريح في مهر بلا رسن

وقد كانت عند شوقي من قبل كائناً

(نصفه طير ونصف بشر) حين قال:

مركب لو سلف الدهر به

كان إحدى معجزات القدماء

نصفه طير ونصف بشر

يا لها إحدى أعاجيب القضاء!

هذا أمر يجوز.

لكن هذا الحديث الطويل منحصر في

الملحظ الأول فما الثاني؟ الثاني هو أن

في شعر ابن شهاب تعالقاً مع شعر ابن

أبي ربيعة يدلّك عليه هذا الغمز

والثم ثرى تلك الخدور... فأنت في

حي تحية غيده لثم الثرى

فلك الهنا ما عشت إن شاهدت من

سلمى محياها البديع المسفرا

خود محجة كريمة منبت

لم تدع كسرى جدّها أو قيصرا

مهما تحيلها الفؤاد تسلياً

شبّ الخيال به الجوى فتسعرا

لم أنس إذ يمتّتها ومصاحبي

فرسي لأظفر... أو أموت فأعذرا

وقصدت منزلها وما غرضي سوى

في أن أبادها الحديث وأنظرا

فتنكرت ويجوز في شرع الهوى

صوناً لذي التعريف أن يتنكرأ

واستفهمت مع علمها بحقيقتي

أتراها من ذا بساحتنا عرا

فأجبن لكن بعد غمز حواجب

ضيف ألم بدارنا يرجو القرا

فسمرت أطيّب ليلة وألذّها

وعفاف نفسي غير منفصم العرا

وظفقت أسمع مزهراً... وأرى هلالاً نيراً..

وأشم مسكاً أدفرا

وهنا ملحظان.

أولهما: يتعلّق بالفارق بين وقوف

ابن شهاب على الربوع وبين وقوف

من سبقوه من الشعراء، فقد وقف

على ربوع عامرة، ووقفوا على أطلال

داثرة، مما ينبئ أنه اهتم (بالتكنيك)

وطرائق الأداء ولم يهتم بمحتواها.

وفي مثل هذا الصنيع يجينك الشاعر

بما يعيد إلى ذاكرتك صوراً عرفتھا

القصيدة العربية ولكن فيها انزياحاً

عنها، ففي قوله من القصيدة عينها

يصف رحلته إلى ديار ممدوحه:

وركبت سابحة كأن دخانها

سحب ولمع شرارها برق سري

تفري أديم البحر ساخرة به

وتدوس هامته إذا ما زجرا

بالهند ناء أخى وجد يحن إلى

أوطانه وسهام البين ترشقه...

فيمثل هذا التفاعل يحيا الشعر

وتشعر الحياة.

وهنا نقع على سؤال ما الذي أحدثه

ابن شهاب في بناء القصيدة ولغتها،

وتميّز به من سواه ما دامت تجاربه

النفسية والفكرية قد خالفت ما عرفوا

من تجارب؟

وإنها لجملة. لنقف هنا على بعض

منها، وخذوا على ذلك مثلاً ما عرف في

البلاغة العربية ببراعة الاستهلال، وهم

يقصدون به مفتتح القصيدة وأول ما

يطالعنا منها. ولشعراء العربية الأول

فيها بدائع، ولتقادهم عنها حديث

طويل ينظر في مظانّه، فليس ذاك ما

يشغلنا، وإنما همنا النظر في صنيع ابن

شهاب في هذا المقام. والحق أنه لم

يقصر عن شعراء العربية الأوائل فقارب

من دنا شعره من نفسه، وحاول أن

يصوغ الأبيات متحرراً من منوال غيره،

وإن زكا من شعره في أنوف القارئ

شميم من عرار أولئك الشعراء، ففي

مفتتح قصائده تتشكّل الطبيعة على غير

ما ألف من ————، فغاب المرجع

واستقامت الشعرية، بما أومات اللغة

وأشارت الدوال، كما في قوله:

ضحكت أزاهير الحدائق والربا

وسرت بريّها النعامي والصبا

والطير في عذابها تهدي إلى

أسماعنا السجع الرخيم المطربا

ودنت أوابد كل واد... فالحما

والعصم ترتع في المحاجر والطبا

والخور ترقص في الخدور مسرة

حتى حسبتا كل خدر ملعبا

وفي مفتتح قصائده أخرى يقف ابن

شهاب على الربوع كما وقف قبله

شعراء العربية في الأولين، فقال:

حي الربوع وقف بها مستخبرا

وزر التي فتن محاسنها الورى



بالحواجب وما أشبهه، ناهيك بكثرة الأوانس في شعره، وتعدد صورهن وما يدور بينهم من حوار وحديث. فإذا قال: فلا ترهبني إن يفصل الدهر بيننا

فمهما تدانينا استحال تنائينا
أنبأنا بقولها:

فقلت: نعم شخصان والروح واحدٌ

وزوجان في الآفاق طارت معالينا

فإن جمالي ليس في الكون مثله

فتفتش جنان الخلد أو حورها العينا

وأنت قريع العلم والأدب الذي

به تسحر الألباب حسناً وتبيننا

كلانا فريد سيد في مقامه...

براعة الاستهلال إذا خصيصة في

قصيدة ابن شهاب لا تجدها في

قصائد من سبقوه من شعراء عصره

في حضرموت، ولن أحدثك عن (حسن

التخلص) وهو ممتدح عند النقاد

الذين أخذوا بالبلاغة العربية القديمة،

وله حضوره في شعر ابن شهاب، ولكن

سأحدثك عما قال به النقاد المحدثون،

وتجلى في شعره، كحديثهم عن

الوحدة العضوية في القصيدة. فلقد

أنكر كثير من النقاد -وما يزال فيهم

من ينكر- وجودها في أشعار الأقدمين

ومن نظم على منوالهم من أهل

العصور المتأخرة، وما حديث العقاد

عن شعر شوقي وما مسّ بناءه من

خللة واضطراب بمنسي.

فماذا نجد في شعر ابن شهاب؟

دعونا ننظر في قصيدتين من

قصائده التي أسماها بـ(الارتقيات) -

وليست كذلك، وإن الأولى أن نسميها

بـ(المحبوبات)، لعلّ يأتينا نبيها

لاحقاً - إحداهما "ثانية" وثانيتها

"رائية". أما في الثانية فقد تماسكت

الأبيات، وتسلسلت في القصيدة، كل بيت يقبض عنق ما تلاه غير منفصل

عنه، فعزّ تقديم أو تأخير فيها:

تعللنا بذكرهم الحداة

وتهدينا النساء أين باتوا؟

تؤم بنا الركائب حيّ عرب

لهم في كل نائبة ثبات

تجارتهم به سلب الأعادي

وبالألباب تتجر البنات

تهباً للسلام على المغاني

فقد بدت العلام والسمات

تحية حيهم تقبيل ترب

به الغيد الخراع راتعات

تراب ربوعه كالمسك نفحاً

تعرّطه الذبول الساحبات

تجد في ذلك الوادي وجوهاً

تخرّ لها البدور المشرقات...

أما في الرائية فقد اضطرب نظمها،

فاستقل كل بيت على أنه وحدة

منفردة، فسهل تقديم وتأخير فيها.

١- روق الخمرة صرفاً وأدر

واسقنيها في الظلام المعتكر

٢- روق الأرواح بالراح فما

ذاق طيب العيش إلا من سكر

٣- رقية الحزن يرى شاربها

نفسه مثل مليك مقتدر

٤- روق مرآها ومرأى جامها

فهي والجام ضمير مستتر

٥- رائد الأعين عن إدراكها

قاصر لولا اللهب المستعر

٦- رققت في جبهة الكأس الذي

صبها حور الحباب المعتور

٧- راح أنس إن بدت في مجلس

يعبق النادي بريأها العطر

فلقد يمكن أن تقرّ على هذا النحو:

١) روق الخمرة صرفاً وأدر

واسقنيها في الظلام المعتكر

٣) رقية الحزن يرى شاربها

نفسه مثل مليك مقتدر

٦) رققت في جبهة الكأس الذي

صبها حور الحباب المعتور

٤) روق مرآها ومرأى جامها

فهي والجام ضمير مستتر

٧) راح أنس إن بدت في مجلس

يعبق النادي بريأها العطر

أو على هذا النحو:

١) روق الخمرة صرفاً وأدر

واسقنيها في الظلام المعتكر

٢) روق الأرواح بالراح فما

ذاق طيب العيش إلا من سكر

٧) راح أنس إن بدت في مجلس

يعبق النادي بريأها العطر

٦) رققت في جبهة الكأس الذي

صبها حور الحباب المعتور

٣) رقية الحزن يرى شاربها

نفسه مثل مليك مقتدر

فعلى أي نحو قرأت الأبيات لن تضطرب

دلالة أو يهتز معنى. والعلّة في هذا ذات

صلة بتمثّل الشاعر للتجربة. ففي الثانية

امتلاً حسّه بها، وانفعل وجدانه فانثقت

لغة الشعر من ثناياها. وفي الرائية غلب

المقروء على المحسوس الملموس من

التجربة فترصد المعاني لينظمها أبياتاً

في سلك قصيدة.

وإن اللافت أسلوبياً في لغة ابن

شهاب نزوعها نحو التشكيل

الاستعاري، وكأن المفردات خيوط

ملونة يشكّل منها النساج ما يشاء من

أقمشة، فيضمّ واحداً إلى آخر في تنوع

لونيّ ظاهر انسجامه. وكذلك تتقارب

الدوال في هذا التشكيل اللغويّ فينسج

منها الشاعر على تباعد في حقولها

الدلالية وحدة دلالية ظاهرة:

عندليبُ الحبورِ بالبشرِ نممُ

وهزارُ السرورِ بالسرّ ترجمُ

وجرى سجعُ النسيمِ عليلاً

شافياً للفؤاد من زعرعِ الهمُ



وفي شعر ابن شهاب ما يمكن تسميته بالتناسل الإيقاعي -بلغة الدكتور علوي الهاشمي- تمثله قصائده التي وصفها بـ(الأرتقييات)، وهي معارضات لقصائد (درر النحور في مدح الملك المنصور) لصفي الدين الحلي. ووصفها بـ(الأرتقييات) في ديوان ابن شهاب خطأ من جامع الديوان؛ لأنها (المحبوكات)، وإنما سميت بذلك لأن البيت في كل قصيدة منها حبك بين صوتين متماثلين، وذلك حين ينسخ حرف الروي فيبتدئ به البيت، وكأن آخره تكرار لأوله من جهة الصوت.

ولقد اخترع هذا النمط من الصياغة صفي الدين الحلي وتابعه فيها ابن شهاب، لكنه لم يعارضه في أوزانه، وإنما اقتنص منه تكنيك الصنعة، ثم انزاح عنه ليصوغ قصيدته على النحو الذي يراه.

والمحبوكات منظومة في ديوان صفي الدين الحلي على عدد حروف الهجاء العربية، تبدأ بالهمزة وتنتهي بالياء. أما في ديوان ابن شهاب فعددتها ست عشرة قصيدة، تبدأ بحرف الهمزة وتنتهي بحرف الطاء. ولا يعلم أحد إن كانت ثمة أخريات بعد ما تبقى من حروف الهجاء، أو أنه اكتفى بما صنع. وهل سبب توقفه عن النظم على منوالها يأسه من الوصول إلى عتبات الخديوي توفيق الذي خصه بتلك القصائد المحبوكات؟ أو أن مغادرته مصر إلى غير رجعة كانت هي السبب؟ ولماذا وقد مدح غير الخديوي توفيق لم يعمد إلى النظم على منوالها في مدحه أولئك الملوك والسلاطين مستخدماً ما تبقى من حروف الهجاء؟ لكن الثابت أن ابن شهاب حاول ترسم خطى صفي الدين في نظم هذه القصائد فالتزم -مثله تماماً- بعدد أبيات القصيدة، وهو عندهما معاً تسعة وعشرون بيتاً لكل قصيدة، وافتتاحها بمقدمة غزلية أو خمرية.

عدداً، وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق. قال في صيغة الخبر:
بهند كدت عشقاً أن تذوبا
أحسب كل كاسية عروبا
ومثله:

ذهبت من الغريب بكل مذهب
وملت عن النسيب وكان أنسب
ركبت من الحماسة كل صعب
ولم تجنح إلى كنس وربرب
ومن واديهما قوله في صيغة الإنشاء:
ودع سعاد وألتي حبل وودادها
واصدر على ظمأ لدى ميرادها
واربأ بنفسك أن تغازلها وإن
منحتك حباً من صميم فؤادها
ومثله:

هو الحي إن بلغته فاقصد الحانا
وحي الألى تلقاهم فيه سكانا
ومرغ خدود الذل في مسك تربه
وحصبائه وانثر على الدرمرجانا
وهنا تغيب الذات المتكلمة في النص

وصف قصائد ابن شهاب المعارضة لقصائد (درر النحور في مدح الملك المنصور) لصفي الدين الحلي بـ(الأرتقييات خطأ من جامع الديوان؛ لأنها (المحبوكات)، وإنما سميت بذلك لأن البيت في كل قصيدة منها حبك بين صوتين متماثلين.

وتحضر في أن. تغيب على مستوى الملفوظ، وتحضر على مستوى الدلالة من حيث إن المخاطب -متحدثاً عنه أو مأموراً بأداء فعل- إنما هو الذات المتكلمة أصلاً، وإنما غيبتها الإبداع ليزيد من شوق المتلقي إلى معرفة هوية المخاطب، وتكون المفاجأة حين يتكشف له عن صورة المتكلم في هيئة المخاطب مما يحدث في الوجدان هزة مبعثها الإحساس بخيبة التوقع، وانكشاف أفق الانتظار عن غير المتوقع.

والأغاني على بساط التهاني
والثاني رخيماً يترنم
وعلى ذكر من نحب شربنا

ما برح الأفراح يا صاح ماثم...
هنا تتداخل الحقول الدلالية التي انبثقت منها الدوال، فمن طبيعة حية (عندليب/ هزار)، وجامدة (سجسج النسيم/ ززع)، ومن حالات نفسية معنوية (الجبور/ السرور/ الهم/ الذكر/ الأفراح...) إلى دوال من عالم الأصوات والغناء (الأغاني/ المثنائي/ الرخيم/ يترنم...).

وهو يشكّل من ذلك كله عوالم لا جلاء لها بهيئتها تلك إلا في القصيدة، ومن هنا جاء الحديث عن الشعرية، لا من جهة غياب المرجع فقط، ولكن من جهة الصهر الاستعاري الذي تشكلت منه التراكيب كذلك.

خصيصة أخرى تكثر في شعره، وتتنوع طرائق استخدامه إيّاه، وهي (بنية التجريد) خبراً وإنشاءً في مطالع قصائده. والتجريد -كما لعلمكم تعلمون- إخلاص الخطاب للآخر

والمقصود به المتكلم. وهو من مكونات (اللسان) التي انتظمت في (الكلام) فزيت ديباجته، ورققت حواشيه. ولشعراء العربية طرائقهم في استخدامهم إيّاه تدل على حساسية مرهفة بالمعطيات الأسلوبية وسننها اللغوية. وبشيء من المرور العابر على قصائد الديوان يتضح إقبال الشاعر على هذا المكون الأسلوبية في كثير من قصائده، وهالك أمثلة تدل على المظهر ولا تحيط به



ولقد يعجب المرء من ابن شهاب (الضرمي) أن يرد دالّ الخمرة في شعره كثيراً. ولكنّ النظر في محبوبات صفي الدين وما تفرّق من أبواب ديوانه يفضي إلى إدراك العلة، ويدرك الناظر أن شأنه فيها لا يزيد على حدّ ترسم خطى سلفه. وكأنّه إذ أكمل نظمها، واستوى لديه كيانه، هزّ عطفه، وتمثّل الأمثال.

على أن ابن شهاب وإن اجتزّ صنع صفي الدين في هذه القصائد فقد اجتهد في إحكام صنعتها الشعرية، ولم يخلها من نفحات الإبداع ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. هذا وديوانه لم يخل من قصائد شائع فيها شعراء العصور الوسطى في تاريخ الشعرية العربية، وهي ما عرفت بعصور الانحدار، أو قل عصور الدول والإمارات، وفيها أكثر الشعراء من العبث بالشعر فاستخدموه للأغاز، أو شكّلوا منه دوائر ومربعات ومثلثات ورسوماً شتى، فمزجوا بين الكلمة وخطوط الرسم، ومنهم من عمد إلى (التشريع) (والتشعيب) فكتبوا قصيدة يستخرج منها عدد من القصائد مكتملة الوزن والقافية ومستقيمة المعنى، وصنعوا من الشعر تاريخاً للوقائع فدوّنوا به أعوام حدوثها في ما عرّف بحساب الجمل. وفي شعره نصوص من ذلك، ولعلّه كان يلجأ إليها تفكّها ولكنّ جامع الديوان لم يفرّق بين صالح شعره وفاسده، فقشّه كلّ كما وصل إليه ولم يتحرّ أن يغربله وينخله فيبقى منه ما ينفع الشعر والشاعر، وأما الزبد منه فيلقي به إلى حيث ينبغي لمثله أن يلقي.

والحق أن ديوانه لم يلق عناية عند طبعه للمرة الأولى، ولم يحظ بها عند طبعه طبعة ثانية. ولكنّ الأمل معقود في أن تعاد طباعته ثالثة طبعة محققة منقّحة يشرف على إنجازها ثلّة من ذوي الاختصاص في الشعر واللغة،

فيضبطون نصّه، ويشرحون ما أشكل على القارئ من مفرداته، وما استغلق من معانيه، ويسدّدون قراءته ليستقيم المعنى، فما أكثر ما يخطئ قارئوه في قراءة بعض أبيات شعره، ومن ذلك مثلاً قوله:

واقرّع على البُخت باب الحان عن أدب

لعلّ يفتح عند القرع مغلقه

فهم يقرؤون (البُخت) بفتح الباء، وهو بمعنى الحظ، وجمعه (بخوت)، وليس هذا ما قصد إليه ابن شهاب، ولا يستقيم معنى البيت على هذا النحو من قراءة المفردة وتفسير معناها. ولعلّ صوابها (البُخت) بضمّ الباء، وهي الإبل الخراسانية، وهي معربة، ومفردتها (بُختي)، و(البُخات) مقتني تلك الإبل والمتجر فيها والعامل عليها.

ولا بدّ عند إعادة طباعة الديوان طبعة ثالثة منقّحة من تنقيته من القصائد ذات النكهة المذهبية؛ لأنّها لا تضيف إلى روعة شعر ابن شهاب شيئاً، بل لعلّها تكسف من بهاء شمس، وتخسف من ألق بدره. ناهيك بمقطّعات لا تمثّل بعداً فكرياً ولا تبرز صورة شعرية سوى أنّها نوع من التمرين اللغوي الذي شغف به شعراء العصور الوسطى من تاريخ الشعر العربي.

أما تبويب الديوان على حسب حروف المعجم فصنيع لم يعد لائقاً. وخير منه وضع القصائد على حسب تاريخ كتابتها، وقد دونها في أعلى بعض قصائده. ولا ضير من وضع عنوان لكل قصيدة، فصناعة الديوان وتشكيله كتاباً تقتضي شيئاً من ذلك. أمّا قصائده (المحبوبات) فحبذا لو أفردت باباً مستقلاً، فتجمع معاً في محلّ واحد ليظهر أثرها، وتكون موضوعاً لدرس مخصوص.

أخلص من هذا إلى خاتمة في ابن شهاب وشعره. ومجمل القول فيه إنّ للرجل موهبة عظيمة وطلاقة شعرية لا

تضاهي لكّنه لم يجد الإطار النفسي والفكري الذي يشغل ما مار في وجدانه من تيقظ شعريّ فشغله بسفساف من التجارب لم يخلق لها ولم تلق بموهبته الشعرية، ولذلك تذهل حين تراه يصعد بك إلى ذرى عالية في عوالم التخيل حين تقرّ له قصائد من أمثال (حيّ الربوع / هو الحيّ / بهزّك غصن القدّ / بشارك هذا منار الحيّ / تعللنا بذكرهم الحداة...)، ثمّ يفجؤك حين ينحدر إلى نظم أبيات جميع حروفها مهملاً، أو جميع حروف أشطارها الأولى مهملاً، وجميع حروف أشطارها الثانية منقوطاً، وما أشبه هذا ودنا منه من أبيات الأغاز والتاريخ الشعري وما إلى ذلك.

سيقول قائل: ولكنّ الشاعر هو الذي كتب ذلك، فلمّ نبعده وقد ذاع عنه ذلك النظم؟

وأقول: وإن فعل الشاعر ذلك فلنعدّه ألهيّة تلهّى بها ثمّ انقضى وقتها ولا يليق به إلا نقيضها، أمّا تلك وأمثالها فلا ضير على الشعر والشاعر إن حذفت من الديوان. وإنّ من المؤكّد أن وجود مثل ذلك في ديوان شاعر مبدع كابن شهاب يثلم جمال الصورة التي أظهرها للناس إبداعه الشعري وفق شرط العصر ومقتضيات الإبداع فيه. فلماذا إذاً نبقى عليه وهو قبّح محض؟ ولماذا لا نخليه منه وشعره الحقّ جمالاً خالصاً؟

من هذا يتّضح لنا أن ابن شهاب بلغ بشعر الاجترار أقصى مداه فلم يستطع كلّ الشعراء الذين ساروا على دربه مجاراته، والنظم على منواله، فكبّا منهم من كبّا، وتراجع منهم من تراجع، وتوجّب الحال حينئذٍ البحث عن طرائق أداء غير التي عرفها هؤلاء من الشعراء، وهو ما تجلّى ظاهراً من بعد في شعر الحامد وأضرابه من الشعراء، ولهؤلاء ولشعرهم حديث آخر في مقام غير هذا المقام.



ملاحم فن السيرة الذاتية في كتاب:

(سفينة البضائع وضميمة الضوائع)

٢ - ٢

للحبيب علي بن حسن العطاس



أ.د. مسعود سعيد أمشوش

ثانياً: خطية السرد في سيرة الحبيب
علي بن حسن العطاس الذاتية:

أ - سرد الولادة وعلامات النبوغ المبكر:

تُعد (سفينة البضائع وضميمة الضوائع) آخر الكتب التي ألفها الحبيب علي بن حسن العطاس، وبما أنه سبق له أن مارس السرد بشكل واسع في كتبه السابقة لا سيما في (القرطاس في مناقب الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس) و(المقصد إلى شواهد المشهد). فطريقة السرد التي وظفها في كتابة سيرته الذاتية تفصح عن قدرته الفائقة في استخدام مختلف تقنيات السرد التي نجدها في السير الذاتية الحديثة، بما فيها تلك التي تهدف إلى إثارة فضول القارئ. وبشكل عام نلاحظ أن مؤلف (سفينة البضائع وضميمة الضوائع) يخضع السرد في نصه لمنطق التسلسل الزمني، بدءاً من يوم الولادة، في سنة ١٢١ هـ، ثم مرحلتين الطفولة والصبا، ثم الرشد حتى المدة التي سبقت وفاته عام ١٧٢ هـ. لكنه في كل مرحلة لا يسرد كل الأحداث التي عاشها، بل يختار تلك الأحداث التي يرى أنها تشكل المحطات الرئيسية في

النسب التي تصله بالرسول صلى الله عليه وسلم، كما أنه لا يتوسع كثيراً في نص سيرته في الحديث عن مناقب أبيه وأقاربه، ربما لأنه قد كرس كتاباً سابقاً لذلك الغرض، ويحيلنا مرات عدة إليه؛ فهو يكتب في ص ٤٠: «وقد حررت ذلك كله في صدر كتابي المسمى (القرطاس في مناقب العطاس) فليراجعها من أراد الوقوف عليها، ولا سيما في السلسلة في مناقب العطاس المنظومة المصونة، والخزانة المختومة المخزونة، التي أودعتها آخر فصل في لباس الخرقه، وهو منقولة من الديوان المسمى (قلاند الحسان في فرائد اللسان)». أما والدته فقد كرس لسرد علاقته بها صفحات طويلة من نص سيرته الذاتية.

إضافة إلى ذلك لا يخفي الحبيب علي بن حسن العطاس تحفظه على المبالغة في الحديث عن الأنساب، إذ يكتب: «يُذم ذكر الأنساب المتفاخر بها إلا لمعرفة ما توجه إليها من الحديث «تعلموا من أنسابكم ما تصلوا به أرحامكم»، وأما من قصد بذلك امتثال قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ فلا أرى بذلك من بأس بل له فيه ممن سبقه الأساس»، ص ٣.

وبعد الإشارة الموجزة إلى نسبه يسرد المؤلف بالتفصيل اللحظات الأولى من حياته، ولا يكتفي بذكر يوم ولادته، ليلة الجمعة في شهر ربيع الآخر عام ١٢١ هـ، بمدينة حريضة، بل يضيف: «وقالت لي الوالدة رحمها الله: إنك وجدت وقت أذان العشاء، فكان سقوط رأسك مع أول التكبير من الأذان»، ص ٩،

حياته، والتي يحاول من خلالها أن يفسر نجاحه، وما سبب له هذا النجاح من جذب للحساد والخصوم، وهجرات متواصلة. وفي الجزء الأخير من النص قام المؤلف بتكريس فصل لسرد عددٍ من الأحداث التي تبرز الأذى الذي تعرض له من خصومه وحساده وأضداده، وذلك ليدافع عن نفسه من التهم التي وجهوها له. وخصص فصلاً آخر للحديث عن حكايته المثيرة مع الكتب. واختتم كتابه بسرد بعض الأحداث التي تتجلى فيها علاقته المتميزة بكل من والدته، والحبيب أحمد بن زين الحبيشي.

من المعلوم أن معظم نصوص السيرة الذاتية العربية القديمة تعطي اهتماماً كبيراً بالنسب، وعادة يستطرد مؤلفوها في الحديث عن أنسابهم، ويضمنون نصوصهم تراجم طويلة لأبائهم وأجدادهم وشيوخهم، وأصبح هذا التقليد متبعاً في معظم السير الذاتية للمتصوفين. لكن بالنسبة للحبيب علي العطاس فهو يكتفي، في (سفينة البضائع وضميمة الضوائع) بإيراد شجرة

سفينة البضائع وضميمة الضوائع

تأليف

الحبيب علي بن حسن العطاس

نفعنا الله به وعلومه

في الدارين

أمين

الجزء الأول

وتحمل الجوهر لكل طابع
تحتفظ لأهل الفضل كل طابعهذه سفينة تجلب البضائع
فيا علم الله من صنائعإعني به حفيده
أحمد بن عمر بن طالب العطاس



ونلاحظ أنه عندما يواصل الحديث عن الأيام الأولى من ولادته يربطها بعدد من العلامات المبكرة لنبوغه، وأولها عدم قبوله الرضاعة خلال السبعة الأيام الأولى من ولادته، فيقول: «فأخبر بذلك جدي الوالد الحسين بن عمر، فقال: إن لهذا لشأن، وإن هذا الولد إما أن يموت صغيراً عاجلاً، وإما أن يسلم ويكون من الأولياء». وقالت له والدته رحمها الله: «ولما أردنا أن نحلق رأسك أول مرة كان ذلك يوم غير يوم الربـوع من أيام الأسبوع، فقال جدك عبد الله بن حسين: خلوا حلاقته اليوم، واحلقوا له بالربوع، لعل الله أن يجعله من العلماء، قالت ففعلنا ذلك ولازمنا الحلاقة لرأسك بالربوع». وقالت له الوالدة أيضاً: «ووقعت المراجعة بيتنا وبين جدك عبد الله المذكور حين أرادنا تسميتك، فقال: نسميه علياً، فقلت بل نسميه فلاناً، وذكرت اسماً آخر، وربما ذكرت له شيئاً من كلام النساء، كقولهن: (سمي علي واصبري)، فقال: علي ويحمل صميلين، فاتفق بعون الله حصول الصميلين المذكورين وهما: رعيان والمصهر». والصميل هو العصا التي يحملها الرجل لتدل على الوقار والعلم. وسنأتي على بعض الكرامات التي حصلت للمؤلف بفضل (رعيان) عند حديثنا عن الأحلام والكرامات في (سفينة البضائع وضمينة الضوائع).

ونلاحظ أن الحبيب علي بن حسن يركز على علامات النبوغ المبكر كذلك عند سرده لأحداث مرحلة الطفولة: مثلاً، يحكي لنا أنه عندما كان في نحو السادسة من عمره حضر حفل المولد في هينن، ويكتب: «فجلسنا في طرف المجلس عند الأولاد الصغار، وكان حضر ذلك المولد رجل معروف بالولاية، ظاهر النسك والعبادة، يقال له عوض بن عبد الله حيسي، من آل زبيد أهل هينن الذين يقال لهم آل علي بن سالم، فلما قاموا في المقام الذي يقومونه في أثناء المولد، جعل الرجل يتواجد ويدور في الحلقة، ثم خرج من بين الحاضرين

وأقبل علي من بين هؤلاء الصغار الحاضرين واحتلني على عاتقه ودخل بي وسط الحلقة، وجعل يدور بي على رأسه والطيب يفوح منه، وقد سقطت خودتي، ثم إنه سقط فتلقاني بعض الناس. وكان قبل ذلك لا يعرفني لصغر السن، فلما كان من الغد سأله بعض المحبين للسادة أهل البيت؛ وقال له: أتعرف من ذلك الولد الصغير الذي حملته ودرت به في المقام؟ فقال: لا أعرفه إلا أنني رأيته قطعة نور تتلألأ في ظلمة الليل من بين أولئك الصغار. فقال له السائل: ذاك علي بن حسن بن عبد الله بن حسين بن عمر العطاس. فقال: إن طال بك العمر فستري له شأنًا عظيمًا ومقامًا فخيمًا، وسيلبغ مقام جده عمر بن عبد الرحمن العطاس. فله الحمد والنعمة، ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾، ﴿ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ﴾، ص ١٣.

ومن علامة النبوغ المبكر التي يذكرها المؤلف (حمرة عينه) التي لاحظها جدته وهو في الثالثة من العمر وربطتها ب وفاة أبيه، ويروي ذلك نقلاً عن أمه، قائلاً: «وأخبرتني الوالدة فاطمة بنت أبي بكر... فلما رأته جدتك عائشة ما فيك من حمرة العين، الدالة على الفحولة عند كل ذي قلب وعين، مدّت يدها إليك كالباكية على ابنها والدك الحسن، بأنها كوشفت بأنه سوف يمرض ويموت وتعيش أنت يتيمًا، وهي تقول عين اليتيم حمراء»، ويضيف المؤلف «فائدة: الحمرة في العينين من علامات النجاسة في الرجل، على قدر ما أقيم فيه من العمل الصالح، وهي أشهر علامات نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم»، ص ١٤-١٥.

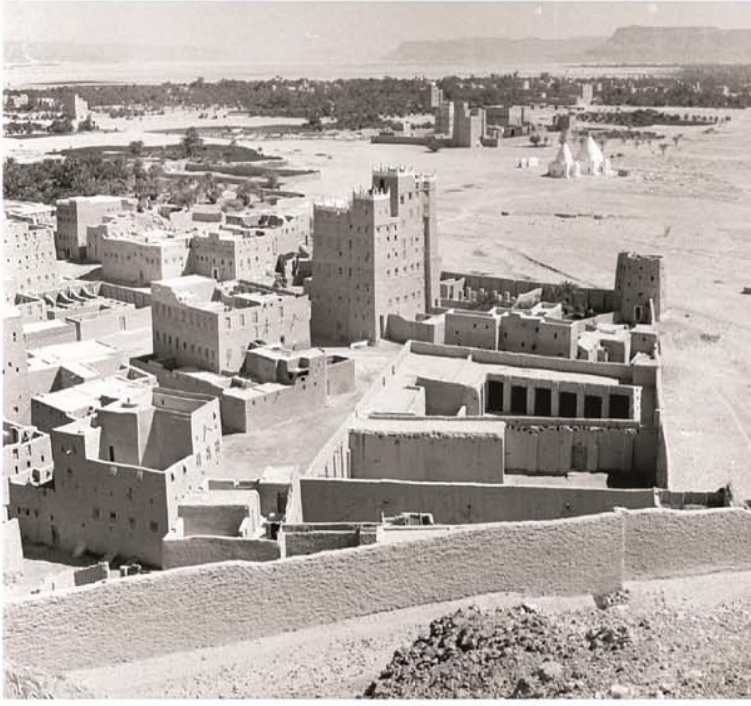
وتوفي والده فعلاً سنة ١٢٤ هـ، وهو لم يتجاوز الثالثة من العمر، وقد سرده لحظة احتضاره بألم وإيجاز على النحو الآتي: «ثم إن الوالد الحسن بن عبد الله بن حسين توفي وأنا صغير جداً، قبل سن التمييز والتدبير، بحيث إنني ما عرفته المعرفة الحقيقية، ولا أتقن من حياته إلا يوم وفاته، فإنه لما حصلت عليه تعب الموت [الاحتضار] كرهت ذلك

وحزنت عليه جداً، بحيث إنني أجد ألم ذلك إلى الآن. وكنت مشفقاً من ذلك غاية الإشفاق حتى توفي رحمه الله، فلما توفي حـصل اللطف من ذي اللطف الخفي، وزال ذلك الشاغل وكفي، وذلك في شهر رمضان المعظم وأظنه سنة ١٢٤ هـ، ص ١٠-١١.

ومن علامة النبوغ المبكر التي أولاهها الحبيب علي بن حسن اهتماماً خاصاً في (سفينة البضائع وضمينة الضوائع) الذاكرة القوية، أي القدرة الفائقة على الحفظ التي تميز بها منذ الصغر، والتي يسميها هو: ملكة الحفظ. وتذكرنا تقنية ترأسل الحواس التي تعمل بها ذاكرته، تلك الطريقة التي تحدث عنها الروائي الفرنسي مارسيل بروس، في روايته (البحث عن الزمن المفقود)، التي ألفها في مطلع القرن العشرين.

فمثل مارسيل بروس الذي يربط استعادته لذكرات الطفولة بطعم الكعكة المبللة في الشاي، التي كانت تقدمها له جدته عندما كان صغيراً، يؤكد الحبيب علي بن حسن أنه، هو أيضاً، كان يربط بين ذكرياته والطعم والصوت الرائحة، إذ يقول: «وكلما سمعت قصيدة حفظتها، أو صوتاً كذلك أو مأخذاً أو سماعاً أو مولداً أو أي صوت كان. وكنت أحفظ والحمد لله بالصوت وبالريح [الرائحة] وبالطعم، مثال ذلك إذا جرت قصة أو قرئ كتاب أو غير ذلك مع صوت أو رائحة معروفة أو طعم، ثم أعيد ذلك الصوت أو تلك الرائحة أو ذلك الطعم مثلاً بعد عشر سنين، أتذكر ما قيل فيه وما قرئ معه»، ص ٢٣.

ولا شك في أن تلك الذاكرة الخارقة قد ساعدته على تضمين نص سيرته الذاتية كثيراً من ذكريات الطفولة بأدق تفاصيلها، ولن نبالغ إن نحن قلنا إن ملكة الحفظ تلك كانت حقاً: (ضمينة الضوائع)، وحامداً لله على تلك النعمة كتب المؤلف: «من نعم الله علي أن أتاني ملكة الحفظ من فيض فضل المفضل المفيض، فكنت أحفظ بحمد الله ما لا أقدر على وصفه ولا وصف



فلما حفظت القرآن أتاني وعد شيخي بالشعر، فكان نظمه عندي أهون من شرب الماء البارد في الهجور»، ص ٣٢. وعلى الرغم من امتلاكه لتلك الذاكرة القوية، فإننا نلاحظ من خلال قراءتنا لسيرة الحبيب علي بن حسن، أنه حينما بات يمتلك مشروعاً واضحاً في التأليف شعراً ونثراً، حرص على أن يكون معه في مقامه وترحاله شخص يقوم بتدوين ما يمليه عليه وكمية من الورق. نتبين ذلك خلال زيارته، سنة ١١٥٠ هـ، للشيخ عيروس بن سالم بن عمر الحامد في عينات، الذي قام ليجلب ورقاً وناسخاً لتدوين إحدى قصائد الحبيب علي بن حسن، الذي قال له: «الناسخ معنا وهو كاتبنا الولد أحمد بن سعيد بادكوك، والبياض معنا»، ص ٣٣.

ب- سرد التكوين العلمي:

وبعد عرض علامات النبوغ، يشرع الحبيب علي بن حسن العطاس في سرد بعض الأحداث المهمة التي وقعت له عندما انتقل إلى بيت جده عبد الله هو وأمه وإخوانه وأخواته بعد وفاة أبيه. وقد استطرده بشكل خاص في الحديث عن ارتياده بعض الكتاتيب (العُلم) في حريضة عند الشيخ سالم بن علي باعتر، وفي هينن عند الشيخ عمر باحوّاقه. وعلى الرغم من الذاكرة القوية التي

علوي الحداد، لما قرئ عنده كتاب (الزواج عن اقتراف الكبائر)، وسمعه ينقل مثل هذا بغير عزو لأهله قال: «شف شف شف»، بنهر وإنكار لقلة العزو، وكنت إذا سمعت بذكر الحفاظ من السلف، وعلمت ما من الله به عليهم، أقول الحمد لله الذي قال: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾، ص ١٥٧.

كما يتحدث الحبيب علي بن حسن العطاس عن قدرته الفائقة على حفظ الشعر وهو ما يزال صبيّاً، وحتى قبل أن يكمل حفظ القرآن، ويروي أن جده حينما اكتشف ذلك قال له: «احفظ القرآن والعلم واترك الشعر في هذا الوقت، وعائدته لك (أي بإمكانك العودة للشعر)»، ص ٣٠، ويضيف: «وقبل ذلك، كنت إذا سمعت القصيدة مرة أو مرتين حفظتها في الغالب، فحفظت من ذلك جملة لأبن علي المذكور وغيره مما كنت أسمعه عنده من المسمعين والحدادة والناشدين، رجالاً ونساءً. وكان بأي آلة كان، ومن أي من يحضر عنده، أكان من الرجال أو من النساء أو الولدان»، ص ٣٠.

ويعكف الحبيب علي بن حسن على حفظ القرآن ويكمله بسرعة، يكتب: «ويسر الله الكريم لي حفظ القرآن العظيم مع تفاسيره الحديث والقديم.

نصفه ولا نصف النصف، وأذكر كل ما حفظته وزمن الحفظ، ذكراً واضحاً لا شك فيه، وكلما نظرتة عقليته وعلمته ثم حفظته وإلى الآن، فسبحان خالق الإلهام والحوافظ والأذهان. وحين دخلت العلمة [الكتاب] وأخذت في قراءة القرآن العظيم، فكل من رأيت عليه أثر النجابة في القراءة تمنيت بلوغ مرتبته، وقلت متى أكون مثل هذا».

وقد وظّف الحبيب علي بن حسن، الذي كان كثير القراءة وواسع الاطلاع، ملكة الحفظ تلك في اكتشاف بعض السرقات في المصنفات الأدبية أو الفقهية التي كان يقرأها، فهو مثلاً يكتب: «ومنها أني كنت بحمد الله إذا قرأت الكتاب يبقى ما فيه في بالي ولو بعد مدة، نثراً كان أو نظماً، وإذا قرأ القاري عليّ مثلاً في كتاب، وفصل القراءة مدة عشر سنين ثم جاء يقرأ ثانياً، قلت له وقفت في الفصل الفلاني والسطر الفلاني، وآخر قراءة لك في منزل كذا وبحضور فلان وفي ساعة كذا، وكنت إذا طبقت الكتاب وأردت نكشه [تصفحه] ثانياً أقول للذي يفتح الكتاب، إن الكلام المطلوب في صفحة نمور الفلاني. وكنت إذا قرأت في الكتاب الرفيع [دقيق الخط] تتكون في نظري حروف كتابته كأنها العيدان الجليّة، بحيث إنني أراها من بعد، وكنت إذا قرأت مثلاً كتاباً ثم قرأت كتاباً آخر قد نقل صاحبه، أعلم من أين نقل وأدري بما عزاه، وما لم يعز ما نقله منه إلى مصنفه، وأرى بعضهم والعياذ بالله قد ينقل باباً أو فصلاً أو مسألة مثلاً بجوابها من بعض المصنفات ولا يعزوها إلى مصنفها، وهذه هي السرقة، ورأيت الكثير من ذلك في مصنفات الشيخ دعسين الأموي لا سيما شرح الملحّة له، وشرح القصيدة التي للبوصيري التي يقول في أولها: إلى متى أنت بالذات مشغول وأنت عن علي كل ما قدمت مسؤل. فإنه نقل في الكتابين من (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب)، للشيخ الحبر الإمام عبد الله بن يوسف بن عبد الله الأنصاري، بغير عزو [فصولاً كاملة] شرحها يطول، حتى سمعت أن مولانا الحبيب عبد الله بن



يمتلكها فقد تحدث عن المصاعب التي واجهته حينما أراد حفظ القرآن في تلك الكتابات، وأكد أنه لم يتمكن من القراءة بيسر في المصحف الشريف إلا في بيت جده عبد الله بن حسين. وتذكرنا الطريقة التي يصف بها صعوبة حفظه للقرآن في (العلم) الطريقة التي استخدمها طه حسين، في كتابه (الأيام) حينما وصف ما لقيه من صعاب مشابهة عندما كان أبوه يرسله لحفظ القرآن في الكتابات.

وقد تحدث الحبيب علي بن حسن عن تجربته الأولى مع المعلمين قائلاً: «كنا نجد الأمر منهم لنا غاية الإشغالات، ونفرح بغياب المعلم وعدم وجوده وغفلة الأهل، وربما تعمدنا التخلف واستسهلنا أمر الضرب لخفتن وثقل المجيء والمراح من علّمة إلى علّمة، وذلك من غير أن نحصل شيئاً مدة، ثم جاء الفتح في ذلك؛ فبينما أنا جالس في دار سيدي الوالد عبد الله رحمه الله أنظر في مصحف من غير معرفة للاستخراج للكتاب [قراءة الكتاب] فإذا أنا أعرف وأقرأ الكتاب، فقرأت فيه تلك السورة وهي ﴿بسم الله الرحمن الرحيم. وَيَلْ لِّلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾»، ص ١٢.

ويذكر الحبيب علي بن حسن أنه خلال مدة إقامته في بيت جده عبد الله كان عليه أن يبدأ يومه بممارسة بعض الأعمال العضلية في المراعي والحقول، ويؤكد أن أعمال الزراعة والرعي مرنته على الرياضة والعزيمة والصبر على شظف العيش، والقدرة على تحمل متاعب الأسفار والتنقل في طرق جبلية وعرة، وفي ظل ظروف معيشية صعبة، ووسائل مواصلات بدائية، وقد سرد ذلك قائلاً: «وحين قدرت على الخدمة عند الوالد عبد الله بن حسين بن عمر، استخدمني في الخلا [الحقول] والرعي أول النهار، وإذا طلعت البلد خرجت مع الأخدام إلى البئر ننزح الماء للببيت وللمواشي، وهي بئر شطون [عميقة] تقارب الخمس والخمسين أو الستين قامة، وكل واحد من أهل البلد معه زانة

[حبال رفع المياه من البئر] وذلك لأنه لا يمكن تحسيب الآبار، وهذا من شدة الوقت وطول السنين والقحط الشديد. فكنت أكابد هذه الرياضة طول النهار مع العري الذي لا يكاد يحصل لي معه إلا الثوب الواحد الذي هو الإزار، وإذا أردت حضور الدرس بعد صلاة العصر عند الوالد حسين استعرت مسدرة [قميص] من بعض الصغار حتى أخرج. ثم بعد المدرس نخرج إلى الخلا بـالغنم وللخطة [تلقيح النخل] وللحطب».

ثم يعود الحبيب علي بن حسن العطاس إلى استكمال سرد تكوينه العلمي، وتحديد الجانبيين الفقهي والصوفي، وذلك برعاية جده وشيخه [جد أبيه] حسين بن عمر العطاس، الذي شجعه على قراءة أمهات كتب الفقه والتصوف المتداولة في تلك الفترة، على الرغم من أنه لم يبلغ حينها الرابعة عشرة من العمر. ويؤكد الحبيب علي أن ذلك قد سبب بروز عددٍ من الحُساد الذين حاولوا ثني جده عن الاستمرار في تدريسه مبادئ التصوف، وقد شرح ذلك قائلاً: «وقد كنت لما ختمت القرآن العظيم على المعالمة المذكورين رحمهم الله تعالى، كما تقدم قريباً، أمرني الوالد حسين بالقراءة في العلم الشريف، والحمد لله الحمد لله الحمد لله، قرأت عليه (بداية الهداية)، للإمام حجة الإسلام الغزالي، و(الأذكار) للشيخ محيي الدين النووي، وكتاب (الفصول المهمة)، لابن الصباغ المالكي، وحصلت لنا بحمد الله بشارات جميلة، وإشارات جلية، ونفحات جلية، من سيدنا وشيخنا الوالد الحسين المذكور، نفع الله به، وذلك أنه لما أمرني بالقراءة في شيء من الكتب المذكورة، حصل من بعض الدرسات الملازمين إنكار في ذلك، وقالوا إن علياً صبي صغير، ولا قد حله [حينما يأتي الأوان] يقرأ في الكتاب المذكور، وقالوا من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ظانين أن من قرأ في كتاب من كتب الصوفية فقد صار من جملة الصوفية، أو من قرأ في كتاب من كتب الفقه فقد صار

من الفقهاء، وهيئات، إنما الصوفي من صفا باطنه من الغش والحدق والحسد وسيئ القول والعمل والنية والمعتقد، وإنما الفقيه العالم بأحكام الشرع، هو الذي يخشى الله ويتقيه، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾، ﴿وَمَنْ يَطْعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُخَشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾. واستمر منهم الإنكار ثلاثة أيام، وخشيت أنا أن يصدقهم شيخنا، فلما كان اليوم الرابع غضب عليهم غضباً شديداً، وقال لهم: هه هه هه، بماذا عرفتم أن علياً ما هو حله يقرأ في تلك الكتب، وتكلم بكلام فيه من الثناء على المملوك ما لا يمكن ذكره، فله الحمد والثناء، وقد كرهت كلام أولئك المنكرين أولاً لما ابتدأوا يتكلمون، ولكن لما حصل بسببه ما حصل من الثناء من شيخنا، حمدتهم، فجزاهم الله خيراً من حساد، لقد كانوا سبياً في حصول هذا الخير الجسيم، من هذا الإمام العظيم، وقد قال الله تعالى: ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾»، ص ٢٧.

ويروي المؤلف أن الصبي علي بن حسن لم يكتف بدراسة كتب الفقه والتصوف عند جده وشيخه حسين، الذي ربطته به علاقة روحية مميزة، بل إنه لم يتردد في أن يطلب منه تليسه (الخرقة الصوفية) وهو في نحو الثالثة عشرة من العمر. وقد ضمن مؤلف (سفينة البضائع وضمينة الضوائع) وصفاً حياً لطقوس تلييس الخرقة الصوفية في تلك الحقبة في حضرموت، وقد سردها على النحو الآتي: «ثم بحمد الله حصلت الإشارة من شيخنا الحسين المذكور على لسان بعض المحبين له ولنا، المنسويين إليه، إن طلبت تلقين التوحيد وتمكين عصبه الحبل المتين السديد الشديد، فقال لي ذلك الإنسان جزاه الله خير الجزاء من الإحسان: اطلب من حبيبك حسين تلقين الذكر ولباس الخرقة الصوفية، ففرحت بكلام ذلك الإنسان توفيقاً ولطفاً من قديم الإحسان وعظيم الامتنان، وقلت لشيخنا: أريد منك تلقين



الذكر ولباس الخرقة أو كما قلت، فقال أتقدر أن تصوم ثلاثة أيام؟ فقلت: نعم. فأمرني بصيام ثلاثة أيام فصمتها وذلك في أيام الصبا وسني ثلاث عشرة سنة أو أربع عشرة سنة، وهي أيام زمان عنيد وقحط شديد في بلد حريضة خاصة، وكان فطوري من عنده تمرًا من تمر (حجر)، لأن التمر لا يوجد في تلك السنة المجدبة، فكنت إذا كان آخر العشية آتي إلى عنده فأجده قد خبأ لي الفطور تحت مصلاه [...] فلما عبرت تلك

الثلاثة الأيام وجئت إليه بأمره في اليوم الرابع وقت صلاة الضحى قبل أن يصليها، أمرني أن اغتسل وأنوي به غسل التوبة، وقال صل بعده ركعتين وانوها ركعتي التوبة، ففعلت ما أمر به في مصلى البيت الشرقي من بيوت داره بحريضة، ثم جنته وهو في بيته النجدي، فوجدته حين فرغ من صلاة الضحى، وجلس متربعا ووجهه إلي وأنا مستقبل القبلة، وتحته الجودري [الفراش] المذكور أولا، فوضع يده على رأسي ولقنني كلمة الإخلاص: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وعلمني النفي والإثبات، وقال لي قلبك ها هنا في شقك الأيسر فإذا نفيت بلا إله فالتفت إلى شقك الأيمن وإذا أثبت بالله فالتفت إلى شقك الأيسر الذي فيه قلبك، ووضع إصبعه الشاهدة على قلبي، فالحمد لله والشكر لربي وأبي، ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَكَوَالِدَيْكَ﴾، ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾. وألبسني طاقيته ثم أخذ مني الطاقية التي على رأسي فوضعها على رأسه، وقال أنت منا وإينا أو قال منا وفينا وهذا إلا زيادة، فله الحمد الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وهذا مع صغر السن مني إنما هو بجاذب العناية السابقة من الله تعالى على يد كبير أهلي»، ص ٣٧ - ٣٩.

ج - سرد الدفاع عن النفس:

من الناس، بمن فيهم أقرباؤه وتلاميذه ومريدوه، بل إنه قد كرس، لهذا الغرض، فصلاً كاملاً من سيرته الذاتية، يقول في مفتتحه: «فصل فيه تعزية وتسليية وتولية وتقوية لمن ابتلي بعقوق أصحابه وأولاده وجحdan الحقوق من أضداده وحساده ونسيان الجميل وإظهار القبيح من جيرانه وأهل بلاده. اللهم يا من أظهر الجميل وستر القبيح، إنا نعوذ بك ممن يستر الجميل ويظهر القبيح». وبالفعل، يأخذ دفاع الحبيب علي بن حسن العطاس عن نفسه، في أحد أهم أبعاده، شكل فُضَح سلوك أعدائه من خلال عرضه بالتفصيل، وذلك بغرض إقناع القارئ بسوء تصرفهم وتبيان ظلمهم له، وتبرير رد فعله تجاههم.

ومن الواضح أن الحبيب علي بن حسن قد ركز فعلاً على فضح المنافقين والمتلونين من حساده، لكننا نسارع ونؤكد أن ردود فعله تجاه سلوك أعدائه لم تكن أبداً عنيفة أو متهورة، بل إنها كانت دائماً هادئة ومهذبة ومتسامحة. فهو يمتنع عادة عن الإساءة الفعلية لمن ارتكب جرماً في حقه. وفي الغالب ينحصر رد فعله تجاه من يُسيء إليه في فضح تلك الإساءة وسردها في ثنايا سيرته الذاتية. كما أنه حرص على عدم ذكر مرتكب تلك الإساءة إلا فيما ندر. فهو يذكر، مثلاً، أن هناك عدداً كبيراً من أعدائه من سكان حريضة والهجرين

لقد أشار الحبيب علي بن حسن العطاس إلى أن علاقته المتميزة بجده وشيخه حسين بن عمر العطاس كانت سبباً في تكالب الحساد عليه، لا سيما من بين أقاربه وزملاء الدراسة. لذلك لن نستغرب أن يضطر، بعد وفاة جده إلى مغادرة مسقط رأسه حريضة إلى الهجرين، ومنها إلى بـضة ثم إلى الفيوار. وسبق أن ذكرنا أن من أهم الأسباب التي دفعت الحبيب علي بن حسن العطاس إلى كتابة سيرته الذاتية الرغبة في الدفاع عن نفسه من كيد الحساد والأضداد الذين حاولوا تشويه سمعته وأجبروه على ترك مسقط رأسه: حريضة. ولا ضير أن نكرر هنا ما صرح به في بداية نصه، حينما كتب: «وسأذكر في هذه الترجمة بعضاً مما حصل لنا من الأذى والعنا ليتأسى ويتعزى من وقع له شيء من ذلك [الذي وقع] لنا، كما تعزينا وتأسينا بالسلف الصالح من أهلنا قبلنا مما وقع لهم من أضدادهم، وقلنا: [لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ]، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وحسبنا الله ونعم الوكيل، وقد قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾»، ص ٤٢.

ومن اللافت حقاً أن الحبيب علي بن حسن العطاس، حينما يدافع عن نفسه، لا يشعر بأي حرج في وصف معاناته والأفعال السيئة التي مارسها ضده كثير



وغيرهم كانوا قد أخذوا عنه القراءة في كثير من الكتب ثم انقلبوا عليه. «منهم رجل خطيب في مسجد الجامع متوسم ظاهره بالخير والعبادة، وقد قرأ عندنا كتاب (بداية الهداية) وغيره. و[مع] انتسابه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وتظاهره بأعمال الخير وإمامة الجامع والخطبة صار من أكثر الحاسدين وأكبر الجاحدين وأكبر المعاندين لنا على أمور الدنيا والدين؛ فابتدأ أولاً بالمهاجرة والمناكرة والمقاطعة والمدابرة، حتى إنه يوماً، لما أبصر بعض أصحابي قد وضع كراسية في طبق جلد دويل وجده خلي من الأوراق لا يحتاج إليه إنما هو منبوذ في المسجد، وكان يقرأ فيه عندنا في المسجد أيضاً، فلما رآه قال على سبيل التنقيص والمناكرة والمجادلة بالباطل: ما لكم أخذتم أطباق المسجد وهي موقوفة؟ لا يصح لكم أخذها. فهممت بجوابه لقوله: إنما هي موقوفة على المسجد ونحن نقرأ فيه. ثم بدا لي ترك جوابه فتركته حتى قام بغير جواب مني»، ص ١١٥.

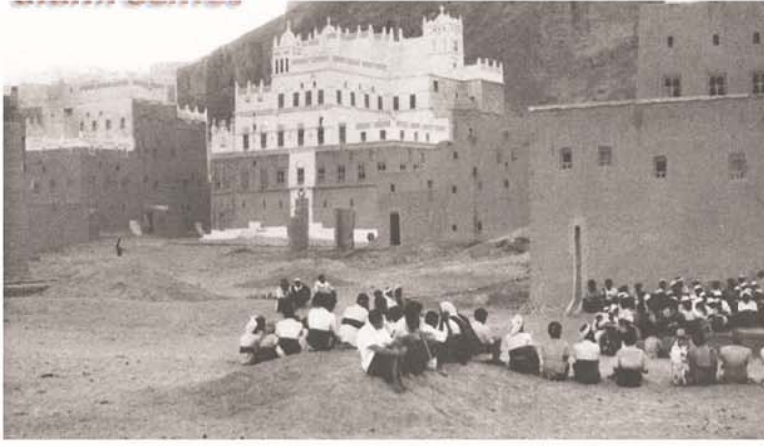
وتجلى طريقة الحبيب علي بن حسن المتسامحة تجاه الحساد والحاقدين في تعامله مع جارة له اتهمته بالشعوذة حينما كان يقيم في الهجرين، وقد سرد الحادثة على النحو الآتي: «وكذلك كانت لنا جارة من أهل الهجرين، وكانت تكثر الأذى لنا، وربما رأت كثرة الناس إلينا من كل محل فتقول: إنما سبب هذا لأن السيد صاحب أسماء وطلاسم وعطوف وصروف، فلما بلغنا قولها السوء قلنا: لو كنا نجيب على مثل هذا القول لقلنا لها: لو كنا نتعاطى شيئاً مما ذكرته من هذه الأشياء لفعلناها لك ولأمثالك من أعدائنا الساعين في دأنا وإيذاننا، وإنك جار الدار ونحن أحوج أن نفعله لإطفاء ما فيك من تلك النار وإبراد حرك وشرك كلماتك التي هي أشد من الشرار، لو كنا نفعله لكنا نفعله لك مكافأة لشرك لأنك من جيران السوء الموعود بهم كل مؤمن في حديث: «ما كان مؤمن ولا يكون إلى يوم القيامة إلا وله جار يؤذيه»، ص ١١٨.

ويستطرد الحبيب علي بن حسن كذلك في الحديث عن أحد جيرانه الحساد الحاقدين المنافيين من بلدة الهجرين، قائلاً عنه: «ومن جملة ما من الله علي في بلد الهجرين أنه جعل أهل البيوت المحيطة ببיתי من أشد الناس عداوة لي، حتى أن بعضهم كان في الظاهر - والله المطلع على السرائر - كان من المنسوبين إلى الخير، حتى إنك إذا رأيته قلت هذا من الذين سيماهم في وجوههم من أثر السجود ومن حملة القرآن ومن قوام المساجد، ومن الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع، ومن ضعفاء المسلمين العميان المنورين، ومن المعلمين الذين هم أخيار العالمين، ولكنه لما كان من جيرانني كنت أرى منه غاية القبض والحقد الذي هو منع الود الذي هو الدليل على البغض»، ص ١٢٢.

وبعد أن يروي الحبيب علي كيف أن هذا الرجل الحاقد قد غضب عندما رآه يُبعد حجراً من وسط الطريق، وأرسل إليه كتاباً يتهمة فيه «بالتصرف في بعض ألفاظ خطب المسجد»، يذكر أنه قد اضطر، هذه المرة، إلى الاستنجاد بأجداده للدفاع عن نفسه والانتقام من ذلك الرجل، ويقول: «ولما كانت الليلة الثانية من وصول كتابه إلينا رأيت [في المنام] كأن مسجد الجامع مليء من سلفنا آل باعلوي وفيهم شيخنا الوالد الحسين والوالد محسن بن حسين، وكأني بينهما أقول لهما: هذه نسخة الخطبة فانظروا فإن وجدت فيها شيئاً مما ذكره فاللوم عندي، وإلا فخذوا لي بثأري منه. فاتفق - بعد ذلك أن هذا الرجل الجافي سار إلى حضرموت [ما يزال كثير من أبناء وادي دوعن والساحل يخصصون اسم حضرموت على وادي حضرموت] في نزاع بينه وبين قرابته، فلما بلغ بلد سيئون اصطاب [أصيب] مركوبه وذبحه، ثم قالوا لنا بعد ذلك إنه بعد ذلك سار إلى تريم للزيارة، فقلنا حاش الله إنه يحصل له قبول وهو يؤذينا ويتجراً علينا، فلما رجع أصابته غدة كغدة

البكر ومات، وسار واحد من الذين كلفوه أن يكتب لنا ذلك الكتاب إلى مكة - وهو قد قرأ علينا في كتاب (منهاج الطالبين للنووي) - واستخلف من الكل واستحل من الكل إلا نحن، فلما توسط البحر غرقت السفينة التي هو فيها، فغرق مع من غرق من أهلها. لا حول ولا قوة إلا بالله»، ص ١٢٣.

ويبين لنا الحبيب علي بن حسن العطاس، من خلال سرده لتفاصيل علاقته بأخيه من الرضاعة أحمد عوض بن سلمة، كيف أن أعداءه يسعون إلى الإساءة له، أحياناً بطريقة مباشرة، وفي بعض الأحيان من خلال إيذاء من حوله من مريدين وتابعين، فهو يكتب: «بعد مسير [السيد ياسين] بيوم أو يومين إذ بأحمد بن سلمة قد أقبل إلينا وقال: إني أريد التوبة والانقطاع إلى الله عندكم، وأريد أن أحلق الوفرة. وكانت عليه وفرة وشفرة، وكان قبل ذلك يقرأ القرآن، ويأتي إلى عندنا في بعض الأحيان، لأنه قد حصل له رضاع من والدتنا في حال كونها ترضعني، فلما كبر بقي ذلك الاتصال حاصل معه، فكان آخر ذلك لو دام، ولا حول وقوة إلا بالله، فأمرته عند ذلك أن يحلق الوفرة وألبسته كوفية، ولازم مجلسنا من ذلك الوقت، ولم يفارقنا إلا لضرورة. فلما رآه والده أقبل علينا وانقطع إلينا وقع منه ما يقع من مثله من البشر الجاهل، وحصل منه كراهية لذلك، وساعده علينا بعض الشناة لنا، وقالوا: ما يصنع ابنك عند هذا السيد؟ يقطع من حوائجه، ثم لا ينفعه بعد ذلك آخر الوقت ولا يغني عنه شيئاً، فكبروا عنده ذلك، فكبر علينا منه الأذى، فقلنا له: ما معنا عون عليك ولا على الذين تكلموا علينا إلا حسين بن عمر، فعند ذلك حصل له مثل الأدب، وسكون. ثم إنه لازمنا في أول الأمر ملازمة حسنة، بصدق ومحبة صافية أكيدة لله وفي الله، بحيث إننا لا نشك في إننا لو قلنا له نريد نبيعك في السوق لم يراجع. وكان أول أمره من أهل الفضل والصلاح والأوصاف الجميلة الملاح، يواسينا بنفسه وماله،



قال قولك هذا ينسّم عليك، وقد صدق،
فمن جملة ذلك قلوي حين رأيت إدبار
وانفضاض بعض من حولي مع الدين
واللين المأمور به أفاضل النبيين....

بني مغراه قلبي وحل يا أهل المعاني
وصبري من شغوبي كمل والجسم ضاني
وفكري حارفي وقتنا وقت الشواني
من صاحبتة وبالغت في وده جفاني
ومن شفت له كاس حلوا صرف هاني
جناني في الجزاء من حدى خس المجاني
ومن شيدت حصنه بيدي واللسان
هدم ما قد تقدم برجله من مباني
زمان العقي فيه انبذل البرفاني
ولا تسهن كفى خير من رجل أو غواني
ولو عدت ذي باعدوا بعد التداني

وعادوا بعد ما دارسوني في المثاني
وطلبوا عندي العلم واستسقوا داني
حسبت آلاف رجعوا الحسادى عواني
ولكن حسبي الله وتديبره كفاني
إليه أرجع ومنه الفزع والكل فاني»
ص ١١٩ - ١٢٠.

وفي قصيدة أخرى تحدث عن علاقته
بأقربائه وقال فيها:

«إن شاهدوا حسنة أرخا دونها الأستار
وأن شاهدوا سيئة أبدوها على الحضار
وان شاهدوا نعمة أذكوا من حسدهم نار
دائم وحذف البلاء منهم إلى مشواي
ولا تحبنا المصائب غير من قرياي».

واللؤم والعقوق، من هذا الآثم اللئيم،
نحن في خيب وجهد واجتهاد بالدعاء
والتوسل وترتيب قراءة الفاتحة للأنبياء
والأولياء في جميع النواحي، صلوات الله
عليهم، على الجمع والتعديد حتى من
الله الكريم بالإجابة، وهؤلاء يقولون ما
قالوا. قال تعالى: ﴿فَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا
نَعْلَمُ مَا يَسِرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾. وقال عز من
قائل كريم: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي
يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ
بِآيَاتِ اللَّهِ يَحْذَرُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَا
تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ. إِنَّ
اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾،
وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ
هَجْرًا جَمِيلًا. وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ - أُولِي النِّعَمَةِ
وَمَهْلَهُمْ قَلِيلًا﴾، ص ١٤٣ و ١٤٤.

ومن اللافت للانتباه أن الحبيب علي بن
حسن يلجأ كثيراً للشعر ليعبر عن باطنه
وآلامه ومعاناته، وكذلك ليدافع عن
نفسه من حساده وأعدائه بطريقة
هادئة. وقد اعترف هو بنفسه بذلك في
نصه، وذلك في تقديمه لإحدى قصائده
الشعبية التي ضمنها سيرته الذاتية،
حيث كتب: «اعلم أن من جملة ما نقوي
به جاش النفس ونسليها ونعزيها به إذا
ورد علينا الأذى، الذي هو من المضرات
والقذى، ننظم الأبيات والحكم
المسليات، حتى إن الحبيب عمر البار لما
سمع قولي المار في أول هذا المضمار،
حيث أقول من الأشعار:

وخرجت من بلدي فراراً منهم
فوجدتهم خلّقوا بكل بلاد

وله جد واجتهاد في العبادة، واستخلفناه
في إمامة المسجد الجامع لما هاجرنا من
بلدنا حريضة إلى بلد الهجرين الآتي
ذكر هجرتنا إليها، فقام أول مرة أتم
القيام مع تعليم القرآن للصغار من
السادة وغيرهم لله تعالى من غير مكافأة
منهم، بل وصل الأذى إليه من آبائهم،
ثم إنه آخر الوقت لما أشرق أنواره
وداعت بالخير أخباره تزامروا عليه
وأخرجوه من إمامة المسجد حسداً لنا
وبغياً علينا، وعدواناً وظلماً من غير
موجب، وما ذاك في الحقيقة إلا [أذى] لنا
وليس له، ولقد كابد أسلافنا من مثل
هؤلاء أعظم مما كابدناه نحن من بن
سلمه ومن غيره، فلنا بهم أسوة وفيهم
قدوة، إنها سنة الله التي خلت في عباده.
ولن تجد لسنة الله تبديلاً، ثم إنه والعياذ
بالله في آخر أمره ظهر منه الارتداد،
وترك الامتثال وخلع ربقة الوداد، ودخل
في زمرة الحساد، وغمرة أهل العناد،
وذلك مكتوب في سابق علم الله المقدر
ما يشاء على عباده من إشقاء وإسعاد، أو
تقرب وإبعاد، فأدبر عنا وترك الإقبال
علينا. ثم انهم بعد ذلك أحبوه وأرجعوه
إلى وظيفة المسجد لما تحققوا من تركه
لنا وتركنا له. ثم كان آخر أمرهم معه أن
أخرجوه وزولوه [نفوه]. والعياذ بالله من
أهل تالي الزمان، الذين لا خير فيهم ولا
أمير لمن يستكفيهم الله. وهو السميع
العليم»، ص ٥٦ - ٥٨.

ويتحدث الحبيب علي بن حسن في
سيرته الذاتية عما تعرض له من
استهزاء وسخرية وجود وتشكيك في
أثناء إقامته في حريضة، وذلك من قبل
حساده وأعدائه الذين زعموا أن المطر
انقطعت عنهم بسبب إقامته بينهم،
وربطوا بين نزولها ورحيله منها إلى
دوعن للاستسقاء عام ١١٥٢ هـ، فقال:
«بلغني أن بعض الحساد قال وأنا
بدوعن في تلك الزيارة قبل أن أرجع إليها
[إلى الهجرين]: كرامة يوم راح السيد
[يقصدون الحبيب علي بن حسن] من
البلاد وقعت الرحمة لنا. كما قال فرعون
لموسى [اطيرنا بك وبمن معك]. فانظر
رحمك الله إلى هذا الجفاء العظيم،



64

العدد (12)

إبريل

يونيو

2019م

د- سرد حكايته المثيرة مع الكتب: (إنما هي عشقة وهوى ومحبة):

دأب معظم مؤلفي السير الذاتية في التراث العربي على تضمين نصوصهم عرضاً طويلاً لنتائجهم العلمي، أي الكتب التي ألفوها، وأسباب تأليفها والتقریظات التي كتبت فيها. والحبیب علي بن حسن كرس فصلاً كاملاً من (سفينة البضائع وضمنية الضوائع) للكتب، لكنه لم يتحدث كثيراً فيه عن الكتب التي ألفها، بل سرد فيه حكايته المثيرة مع الكتب منذ نعومة أظفاره، لعباً وقرأةً وعشقاً واستطلاعاً. فبعد أن ذكر أسماء الكتب التي ألفها، شرع في الحديث عن تعلقه منذ الطفولة بالكتب، وأولها القرآن الكريم، وكيف إنه كان يجعل لعبه على هيئة كتب، وكيف ينفق مصروفه اليومي لشراء بعض أوراق الكتب، وخاطب القارئ قائلاً: «اعلم أنني كنت والحمد لله من أول النشوء مولعاً ذا نشوة بقراءة القرآن، وما والاه من المصاحف والكتب والمساجد والزوايا والختوم والحضرات والموالد وجميع محامد الخيرات، فكنت بتوفيق الله تعالى ولطفه من حيين مبرزت وعرفت أخب [أجري] دائماً، لقصدتها أدب، وعن أهلها أذب، وذلك لفرط الولاية، وشرط الحب، حتى أنني ربما خرجت إلى الخلاء وأنا في سن نحو الخمس السنين فأخرج ورق العشر الأصفر [العشر، بكسر العين وفتح الشين، نوع من النبات ينتشر في جنوب الجزيرة العربية، وله أوراق كبيرة وعصارة بيضاء تشبه اللبن لكنها مرّة وحارّة وحارقة وتستخدم في دباغة الجلود]، وأشكّه [أرصه] في خيطين على هيئة تكعيب أوراق المصاحف والكتب حتى أنني جمعت منه مثل غلظ المجلد الكبير الضخم وربما تصفحته متلذذاً بذلك على هيئة القارئ، وربما جعلته في إبطي مثل ما يفعل حملة المصاحف والكتب، وربما رأي بعض الناس وقد جعلته في إبطي ولبن العشر يقطر من الورق فيصيب باطن بطني، فنهاني عن حمله ويقول إنه ربما جرح بدنك إذا

فعلت ذلك»، ص ١٦٠.

ويروي المؤلف كيف أن تعلق الطفل علي بن حسن الشديد بالكتب جعله يفضل إنفاق مصروفه اليومي في شراء بعض أوراق الكتب التي كان رفاقه يسرقونها من كتب أهلهم، وذلك على النحو الآتي: «وكننت ربما إذا كان بيدي شيء من القوت [المصروف] جاءني بعض الصبيان بأوراق، وربما كان يسرقها ذلك الصبي من بعض مصاحف أهله فأشتريها منه بذلك القوت الذي معي، وربما أهله علموا وأتوا إلى أهلي يطلبونها فيجدونها وقد غيرتها بكل عطف ورقة أو ورقتين»، ص ١٦١.

وحينما كبر الحبيب علي بن حسن زاد تعلقه بالكتب، ولفت انتباه كل من حوله، ولم يتردد بعض الناس عن الإفصاح له عن استغرابه بسلوكه ذلك، وسرد الحادثة قائلاً: «فلما حصل بحمد الله تعالى لي الفتح في الطلب، واستقوى داعي الرغبة، كنت لا أشبع من مطالعة الكتب، ولا من المذاكرة في العلم، ولا من زيارة أهل الخير والتردد إليهم في أي مكان كانوا، وذلك مع شدة الاعتقاد وحسن الظن، حتى قال لي بعض الناس -وكان لا يأتي إلا ويجدني في قراءة أو مطالعة أو مراجعة أو تأليف أو مقابلة-: ما أصبرك على هذه الكتب! فقلت له: يا فلان ما هو صبر إنما هي عشقة وهوى ومحبة ونهم ومقه، ربما قلت: وفي الحديث منهومان لا يشبعان، طالب العلم، وطالب الدنيا»، ص ١٦١.

ويؤكد الحبيب علي بن حسن أنه لفرط تعلقه بالكتب وقراءتها، كان لا يسافر إلا ومعه كمية كبيرة منها يخصص لها جملاً أو جملين من روائحه، وكتب: «وكننت إذا سافرت إلى مكان، أي مكان، أستصحب معي منها [أي من الكتب] التي لا بد لي منها، إما الحمل وإما الحملين، دون ما أستغني عنه مما أتركه في البيت، حتى قالت لي الوالدة فاطمة بنت الشيخ أبي بكر بن شيبان رحمها الله تعالى: يا علي إذا جئت إلى عندنا، إلى بلد هينن، ومعك هذه الحمول من

الكتب فأحسن أن تجعلها ظاهرة في أواعي رؤوسها مفتحة، لأن أهل البلد إذا شاهدوك وقد أقبلت بالحمول ربما ظنوا أنها من متاع الدنيا الذي لهم الرغبة فيه. فنضحك من ذلك، فكانت الوالدة تقول ذلك على سبيل المزح والمباشطة»، ص ١٦١.

ومن الواضح أن الحبيب علي بن حسن كان قارئاً استثنائياً للكتب في عصره. وقد وصف اتساع قراءاته قائلاً: «وقد طالعت والحمد لله جملة من الكتب المصنفة، في فنون العلوم المؤلفة، مما لا يحصى ولا يستقصى». «قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتُ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جُنُودًا بِمِثْلِهِ مَدَدًا». «وَمَا أَوْتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا». «وَقَوْفُ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْكُمْ». «وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا». «رببي زدني علماً. ولا تظن أنني عدت شيئاً مما يعد، ولا حددت بعض البعض مما يحد، من نعم الله السوابغ الجزيلة علينا وعلى الناس». «وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ» على عاجل منها ولا أجل، ولكني اختصرت واقتصرت في هذه الترجمة، على ما نظرت وسمطرت من الفضائل والفواصل، «ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ»، ص ١٥٣.

وعلى الرغم من شهرة حضرموت بخزائن كتبها (مكتباتها) الكثيرة منذ تلك الحقبة، فإنها لم تستطع أن تلبي احتياجات هذا القارئ النهم الذي لم يخف معاناته وتذمره من شح الكتب في مدينته حريضة بشكل خاص. لهذا كان عليه أن يسعى لاستلافها أو مقايضتها من مختلف قرى حضرموت ومدها، ساحلها وواديها. وقد كرس أكثر من عشرين صفحة من سيرته الذاتية (١٣٦-١٥٤) لسرد المصاعب الجمة التي لقيها عند سعيه للحصول على بعض المراجع الأدبية واللغوية والفقهية. ويؤكد أن الحسد وعدم تعاون أصحاب المكتبات، لا سيما في



يَلْقُونَ غَيًّا * إِلَّا مَنْ تَابَ ﴿ فقلت لهم هاتوا كتاب الفلاني وكتاب الفلاني، إلى تسعة كتب، وهاكم تسعة مجلدات قباضة لكم حتى أرجع حقكم، فقالوا: قد منعنا فلان وفلان من أكابر السادة وأنت تكون كماهم، فقلت لهم: أما أنا فلا بأس، ولكن مثل هؤلاء الذين ذكرتكم أنكم منعتهم منهم ماعون الكتب المذكورة ما لقيتم خيراً في أنفسكم بمنعهم، وقد كنت في أول الطلب [طلب العلم] جئت إلى هذا المكان وعلى هذه الخزنة رجل قائم من الصالحين، وذلك في زمان جدي وشيخي ووالدي الحسين بن عمر، وكان هذا الرجل من أهل الخير وسلامة الصدور، وقد كان جدي عبدالله - بن حسين بن عمر العباس - وصاني أن آتي له بكتاب (مشكاة المصابيح في شرح العدة والسلاح في أحكام النكاح)، مع صغر سني، قال لي: يا ولدي ما لك حاجة بالنكاح، وعادك ما شبرمت [لم تصل سن البلوغ]، فقلت له إنه للوالد عبدالله، وعجبت من غاية غفلته مع كبر سنه ومنصبه، فأعطاني الكتاب»، ص ١٤٧.

ومن الواضح أيضاً أن الحبيب علي بن حسن قد دخل، في مرحلة تكوينه العلمي في حريضة، في منافسة للحصول على بعض المراجع المهمة مع أحد هواة الكتب الذي عيّن ناظراً على إحدى مكتبات المدينة، والذي اكتفى بتسميته بالبخيل. وقد سرد معاملته مع ذلك البخيل على النحو الآتي: «ومنها أني جئت كذلك إلى بعض الخزائن الموقوفة بنظر بعض البخلاء المانعين

عندي في جلدتين، وهاكم إياها، فحين وقفنا عليها إذا هي طبقات المناوي، وهي أيضاً طلبنا وضالتنا الضاوي، فعبّرنا فيها، وهي أجمع وأوسع من طبقات الشعراني، بسبب أنه متأخر بعده، وهو في العلم له مساوي، وترجمه فيها بأحسن التراجم والفتاوى. فلما كان بعد مدة سرنا إلى وادي عمد فاتفقنا بالحبيب علوي بن عبدالله الكاف باعلوي، فسألناه عن (طبقات الشعراني) المذكورة، فقال هي عندي وهاكم إياها، فهي إلى الآن عندي في سنة ١١٦٩ هـ منذ سنة، فتقبل الله من أهل الفضل، وسامح أهل البخل، بمنه وكرمه، فإنه أهل التقوى وأهل المغفرة، ومعطي خيرى الدنيا والآخرة، إن أعطى فلا مانع، وإن منع فلا معطي»، ص ١٤٤.

ويضمّن الحبيب علي بن حسن الفصل المخصص بالكتب من سيرته وصفاً دقيقاً لطريقة تعامل الحضارم مع الكتب في القرن الثاني عشر للهجرة (الثامن عشر للميلاد). ويبين لنا أنهم عادة ما يحتفظون بها في صناديق يطلقون عليها (الخزائن)، وحينما يتوفى العالم الذي قام بجمعها يعينون لها ناظراً ويوقفونها في الغالب للقراءة العامة. وهناك استثناءات كثيرة يقدم الحبيب علي بن حسن إحداها على النحو الآتي: «ومنها أني جئت إلى بعض الخزائن أستعير من أصحابها بعض الكتب، وهي أربع خزائن، وقد مات العلماء من أهلها وما بقي إلا أهل جهلها. ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ

مدينة تريم المشهورة بعلمها ومكتباتها، لم يسهل حصوله على الكثير من الكتب. وبدأ حديثه عن تلك المعاناة قائلاً: «إني لما طلبت العلم حسبما حققته فيما تقدم، وكانت الجهة الكسرية والحضرية والدوعنية، خصوصاً بلد حريضة ونواحيها قليلة وجود الكتب التي يحتاج الإنسان إليها في فنون العلم، وإن وجدت مع آحاد فغالبيتهم من الحساد الذين يضمنون ويمنعون الماعون، وخصوصاً أهل حضرموت [أهل الوادي]، وخصوصاً أهل تريم، ومن والاهم ومن جالسهم ومن والاهم من جهة أهل الكسر ودوعن»، ص ١٣٦.

ويسرد لنا الحبيب علي بن حسن كيف إنه اضطر في بعض الأحيان إلى البحث عن كتاب بعينه في مختلف قرى حضرموت ومدنها، ولم يعثر عليه إلا بالصدفة وبعد جهود مضنية. هذا ما حدث له مثلاً حينما حاول الحصول على نسخة من كتاب (طبقات الصوفية الكبرى) للشعراني، وقد حكى ذلك على النحو الآتي: «ومنها أني طلبت من بعض أهل العلم من أهل حضرموت المناصب، كتاب (طبقات الصوفية الكبرى) للشعراني، وهي عنده في جلدتين، فأنعم بها لي وتعلل بواحد من أجزائها [قائلاً إنها] عند إنسان، أعاره إياه، وأوعد بإرساله إلينا عند وصول الجزء المذكور، ثم ذاكرته بكتاب من حريضة إلى حضرموت [وادي حضرموت]، فأجاب بأننا قد نوينا إرساله إليكم وتراه يصلكم، فأرسلت له رسول معني، لأنني به معني، فاعتذر عنا، فلم نلبث إلا أياماً قليلة وتوفي صاحب الكتاب فجأة، فذكرت وارثه، وأرسلت له كتاباً ونبهته على قوله في كتابه: قد نوينا إرساله إليكم، وقلت له: من حقك إن ترسل إلينا الكتاب لتمام ما نواه والدك، فاعتذر علينا من إعارة الكتاب، فلما سرنا إلى الشحر في سنة ١١٦٣ هـ، اتفقنا بالحبيب الحسين بن علوي بن جعفر مدهر... وسألناه عن (طبقات الشعراني الكبرى) المذكورة، فقال هي



الماعون، المصلين وهم لاهون، ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَءَوْنَ﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾، فأعطاني الجزء الأول من كتاب (شرح صحيح مسلم) الذي فيه المقدمة العظيمة التي على كل علم من علوم الحديث مترجمة، فأخذت في قراءته حتى أتممته، وطلبت الثاني منه فامتنع من إعارته، ثم جنته مرة ثانية وطلبت الجزء الأول من كتاب (القاموس المحيط في ما ذهب من كلام العرب الشامميط)، فأعطاني الجزء الأول منه وهو أربعة أجزاء بخط حسين مليح، وسرت من بلده إلى أخرى، فإذا به قد وصل خلفي وقال: هات الكتاب الذي أعرتك إياه، فإنه مما لا تسمح نفسي بمفارقته، فقلت له: إنه وقف آل فلان وأنا أعرفهم، إنهم غير ذلك الإنسان، فقال: لكنه بيدي وأنا أحق به من أهله ومن غيرهم، وكانت عنده جملة من الخزائن لأهل هذا الكتاب المذكور، ولغير أهله، هي وخزائن أخرى بنظره بحيث أن هناك عدد عدة شيء لا يحصى من الكتب الموقوفة والمملوكة لهم ولغيرهم، وأخذ الكتاب مني عدواناً وظلماً وحسداً وبغياً وشحاً وبخلًا بما لا يملكه وإنما هو مهلكه، فحينئذ قلت: اللهم سلط عليه من يأخذها منه كما أخذ هذا الكتاب هو مني، فقام عليه في الآن رجل صالح من أولاد أهل الخزائن، وأخذها خزا منه وهو غير زائن، فلم أدري إلا وهذا الرجل الصالح من الذين أخذوها منه قبل أن أعلم بذلك، يكتب لي أن أطلب ما شئت من هذه الكتب، وربما سمي لي بعضها مما لا أعلم باسمه، ومنها أني جئت إلى بعض الخزائن أطلب شيئاً من الكتب فلم أجدها؛ لأنها قد أخذها هذا الرجل البخيل المتقدم ذكره فلم يبق إلا جلد واحد وهو الذي عليه البار، وهوي كتاب (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب)، المشار إليه في خطبته بقول مؤلفه: فهالك كتاب تشد الرحال فيما دونه، وتتقف عنده فحول الرجال ولا يعدونه، فأخذته فإذا هو طلبتي، وفيه قضاء حاجتي، وهو عندي بحمد الله إلى الآن»، ص ٤٤ - ٤٥.

هـ- عناصر التشويق في سرد (سفينة البضائع):

ومن اللافت حقاً في سيرة الحبيب علي بن حسن العطاس أنها تحتوي على سرد مفصل لحوادث كان المؤلف شاهد عيان لها أو مشاركاً فيها، وذلك في مراحل مختلفة من عمره، ويبدو أن الهدف الرئيس من ذلك السرد ليس إبراز مناقب المشاركين في تلك الحوادث فقط، بل السعي الواضح إلى إضفاء شيء من التشويق على نص السيرة الذاتية، وشد انتباه القارئ وتشجيعه على مواصلة القراءة، وذلك بأسلوب لا يخلو من الحركة والحوار الحي، بل من الظرافة والفكاهة، فهو مثلاً يكتب:

«رجعنا إلى ذكر شيء من أحوال الوالدة والأحوال. مرة أخرى وأنا صغير في سن التمييز بحريضة، مررت في بعض الأزقة برجل شبيه وهو جالس وبه من الجوع ما لا يطيق على القيام معه، فقال لي: سلم على الوالدة وقل لها يقول فلان إن الناقة خبطته، إشارة إلى شدة الجوع، وهذه مقالة عند أهل الجهة الحضرية يتداولونها كناية عن شدة الزمان، فلما طلعت إلى عند الوالدة وبلغتها كلامه قامت وملأت عتوة من التمر المليح وقالت: قم إلى عند الرجل وأعطه إياه، وقل له تقول لك الوالدة: اطرد الناقة بهذا، فخرجت في الحال، فوجدته لم يقم من مكانه، وأعطيته التمر ففرح به. وكان صنوها الشيخ سهل بن أبي بكر - وهو خالي - من الصلحاء الفضلاء العلماء الحلماء النبلاء الكملاء، صاحب معروف ومعرفة وطاعة وحسنات ومكارم أخلاق حسنة، فمن جملة ذلك أنه يواسي الضعفاء والمساكين، ويواصل المضطرين والمحتاجين، حتى إنه كان رجل يقال له عبدالله بن لهيج من أهل بلد هين، قد كبر سنه ووهن عظمه فانطرح في سقيفة الجامع كالملقي الناجع، فكان الخال سهل المذكور ربما أرسلني إليه بالتمر، أنا والصنو صالح وهو أكبر سنًا مني، فوجدناه مرمي على ظهره، فقال: واحد منكم يرفدني وواحد

يلقمني، فتعاونوا حتى أقعدناه، وكنت أنا الذي أرفده وأمسك ظهره مع شدة الثقل منه عليّ، وصالح يلقمه التمر المفحوس، فكان صالح ربما يصغر الصيم، فأسمع الشيبة يقول: كبر كبر، يعني الصيم، فنطعم المذكور حتى أكله جميعه، ثم تعاونوا على اضطجاعه كحالتة الأولى. ومرة كنت ألعب مع الصبيان تحت بيت والدي وشيخي الوالد حسين بن عمر في بلد حريضة في ذلك السن، فجاءت عجوز يقال لها فاطمة وهأسة، وكان شيخنا في ذلك اليوم قد ذبح ثوراً وقسمه على الضعفاء، فقالت لي العجوز: خذ المحملة واطلع بها إلى عند أبيك الحسين، وقل له: تقول لك وهأسة: هات قسمها من اللحم، وقل له إن العمر طال، وإني ضجرت من الحياة وأريد الموت، فادع لي به، وكانت من طول عمرها قد طلعت لها لحية، فكأنني أنظر إليها، وهو لحية لطيفة وشايبة، فطلعت إليه وبلغته كلامها، فضحك منه، وأمرهم أن يعطوني لها اللحم، فخرجت به إليها. فرحم الله الجميع، ونفعنا ببركات أعمالهم الصالحة، ونياتهم الحسنة الناصحة»، ص ٨.

وفي سياق حديثه عن الكتب وتحديدًا عن كتاب (الأزرق في الطب)، يسرد المؤلف بشيء من الجرأة حادثة يقصد منها الفكاهة، وذلك حينما يكتب: «ومنها أنه بينما أقرأ في كتاب الأزرق المذكور إذ دخل علينا الشيخ الصوفي أحمد بن الشيخ علي باراس وقال: ما أرى لهذه الكتب المصنفة في الطب ونحوه شيئاً من الفائدة، والنفع والضر من الله. هذا معنى كلامه، ثم وصلنا بعد قوله هذا إلى دواء البحة في الصوت في الأزرق، وكانت به، فقال: انقل هذا لي، فنقلته له، وكذلك أنكر علينا في ذلك محمد بن أحمد بن حسين العطاس، وكان كبير الحال من الصوفية المجاذيب، فعارضني [التقى بي صدفة] مرة خارج من عند الوالد أحمد فقال كالمستخف: ما قرأتم اليوم في الأزرق؟ فأردت أن أكيله بصاعه، فقلت له: قرأنا



صورة للسيد منصب المشهد بقرية المشهد أسفل وادي دوعن مع ثلاثة أشخاص عام ١٩٤٦. حيث يقيم سنوياً الاحتفال وعرض البضائع ويسمى زيارة المشهد. ويظهر في الصورة "الابن العقال" أحد أفراد قبيلة "بن هلابي الجعدي" مسؤول أمن السوق. حيث أن حماية السوق مسؤولية الجعدي فقط

غلام الساعيتين الحبيب أحمد بن زين الحبشي، وهي ليلة الجمعة سادس عشر شعبان المعظم عام ١١٤٤ هجرية، وذلك فجأة بعد صلاة الجمعة، رأيت في النوم وأنا ببـلد هينن كأني أنظر إلى القمر في وسط السماء وهو في غاية التمام، وكأنه خر إلى مثناة [وسط] حضرموت حتى توارى في الأرض، فلما أصبحت كنت كالمستشعر بخبر يأتي بوفاة حبر مشهور، فإني جربت هذه الرؤيا وهي رؤيا سقوط القمر إلى الأرض وانكسافه في الأرض، بموت عالم شريف جامع بين العلم والولاية، وإذا رأيت في النوم سقوط بعض النجوم، مات من هو دون ذلك العالم الولي في المقام. جربت ذلك تجريباً محققاً، ونفذت من هينن صبح ذلك اليوم إلى حريضة، فلم يرعني إلا خبر انتقاله، ونزله حيث نواله، وإنزاله مع محمد وآله، في حضرة القدس». ص ١٧٧.

وحينما توفي العلامة عمر بن عبد القادر العمودي، ليلة الأحد، العاشر من شهر رجب عام ١١٤٧ هـ، رأى الحبيب علي بن حسن، الذي كان في زيارة أخرى لوالدته في هينن، حلمًا تنبؤياً مشابهاً سرده على النحو الآتي: «فلما كان في بعض الليالي رأيت [في المنام] الناس يغفلون ويقولون: لا إله إلا الله يا غافلين، على عادتهم إذا خسف القمر أو كسفت الشمس، وكان القمر مشرقاً، فكأنني أقول الناس يغفلون والقمر سالم ما فيه خسوف، ثم نظرت فإذا القمر مقارب الجبال البحرية التي

مطلقاً يميل إلى العزلة، بل كان رجل عمل، ولا يؤمن إلا بالعمل والعلم المرتبط بالعمل، وقد أكد ذلك في مطلع الفصل الذي كرسه للكتب، إذ قال: «علمك الله وإيانا ما جهلناه، ووفقك وإيانا للعمل بما علمناه، ورزقنا وإيانك للإخلاص فيما تعبدناه، ومن عليك وعلينا بالرضا والقبول فيما أخلصناه. إن الدنيا كلها هباء إلا العلم، والعلم كله هباء إلا ما عملت به، والعمل كله هباء إلا الخالص لوجه الله تعالى، والخالص كله هباء إلا ما تقبله الله ورضيه». ص ١٥٩.

أ- الأحلام:

لا شك أن الحبيب علي بن حسن العطاس، الذي كان عاشقاً متميزاً للكتب والقراءة، ومهتماً بالكتب الطبية المنتشرة في عصره، قد قرأ شيئاً عن الأحلام وتفسيرها. ويحتوي نص سيرته الذاتية سرداً مسهباً لأنواع مختلفة من الأحلام. فهناك مثلاً الأحلام (التنبؤية) التي يقدمها بوصفها إنذارات أو إرهابات لما حصل بعد وقوعها، ويمكن أن تعكس نوعاً من قوة الحدس والصفاء الروحي عند المؤلف، منها تلك الأحلام المرتبطة بخسوف القمر أو سقوط الكواكب قبيل وعند وفاة الأولياء والصالحين الذين يحظون بمكانة عالية عند المؤلف.

مثلاً بمناسبة وفاة العلامة أحمد بن زين الحبشي ليلة الجمعة السادسة عشر من شهر شعبان عام ١١٤٤ هـ، كتب علي بن حسن في سيرته الذاتية: «ولما كان الليلة التي توفي بها سيدي الإمام

أدوية ما يقوي الذكر الضعيف للجماع. فقال: وتحفظ منها شيئاً الآن؟ فقلت: نعم. فقال: اكتبه لي فإني في طلب ذلك. فكتبته له، وقرأت عليه ما لا يحصىه إلا الله، وذلك في مدة نحو ثلاثة عشرة سنة صباحاً ومساءً، وما بين ذلك»، ص ١٥٥.

ثالثاً: واقعية السيرة الذاتية ودور الأحلام والكرامات في (سفينة البضائع):

من المعلوم أن السيرة الذاتية، مثل الرواية، تعتمد النثر والسرد الاستذكاري. ويكمن أهم اختلاف بين الرواية والسيرة الذاتية في أن الأولى تروي أحداثاً تظل ذات طبيعة خيالية مهما كانت درجة شبهها بالواقع، أما السيرة الذاتية فهي في الأصل، تروي حياة المؤلف كما عاشها في الواقع، وهذا يعني أنها تروي أحداثاً واقعية. وقد أكد فيليب لوجون في تعريفه للسيرة الذاتية على أنها «سرد نثري استذكاري يحكيه شخص واقعي عن وجوده الخاص، عندما يركز على حياته الفردية وخصوصاً على تاريخ شخصيته». ومع تسليمنا المطلق بأن (سفينة البضائع وضميمة الضوائع) تعد نصاً يحتوي على جميع المعايير اللازمة لتصنيفه ضمن مدونة السيرة الذاتية العربية القديمة، علينا أن نسارع ونؤكد أن هذه السيرة الذاتية تتضمن سرداً لحشد كبير من الأحلام والكرامات التي قد تتجاوز بطبيعتها الواقع من وجهة نظر بعض النقاد. وفي رأينا أن (سفينة البضائع) تقترب، في بعض الأحيان، من السير الذاتية لبعض أعلام التصوف الإسلامي، مثل الحكيم الترمذي، وأبي شامة المقدسي، وجلال الدين السيوطي، الذين أعطوا دوراً كبيراً للأحلام والكرامات في نصوصهم، إلى درجة أنه قد يصعب في بعض الأحيان رسم الحد الفاصل بين الواقعي وغير الواقعي في تلك النصوص السير - ذاتية.

ومن المعلوم أن الحبيب علي بن حسن العطاس قد حرص على لبس الخرقة الصوفية وهو في الرابعة عشرة من عمره، وذلك على الرغم من أنه لم يكن



إلى جهة دوعن وإذا هو ينزل إلى الأرض، فقلت صدق الناس ما أرى القمر إلا يريد أن يقع على الأرض، فلما انتبهت علمت إنما هذا الشيخ عمر سيموت، وكنت إذا رأيت القمر انخسف علمت أنه سيموت كبير من الأولياء أو قربت وفاته، وإن كان دون ذلك المقام رأيت كأن كوكباً سقط على الأرض». ص ٦٥-٦٦.

وإذا كان ولي الله الترمذي قد حكى في سيرته الذاتية بعضاً من أحلام زوجته فالحبيب علي بن حسن يروي في نصه أحلاماً لأخيه أبي بكر ووالدته. ويبدو أنه قد أراد أن يسرد حلم أخيه أبي بكر ليفسر من خلاله سلوكه لطريق العلم والدعوة، وكثرة حساده وأعدائه؛ لذلك فهو قد حرص على معرفة تفسيره عند عمه حسين بن عمر العطاس، وقد سرد ذلك على النحو الآتي:

«إن الصنو العلامة الصوفي فخر الدين أبا بكر بن الوالد حسن رحمه الله تعالى، رأى في بعض المنامات كأن الوالد عمر بن عبد الرحمن العطاس يمشي على سبيل مستقيم وكأنني أنا عن يمينه، والوالد عمر ممسك بيده، وممسك الصنو أبي بكر بيده الأخرى وهو عن شماله، وكان جماعة من الناس يرجعون إليه وإلينا بحجر، ولا يصيبنا منه شيء، فقلت للصنو أبي بكر المذكور ونحن ببلد حريضة: اذهب إلى الوالد الحسين وقص عليه هذه الرؤيا، فقال: كيف أرجع اليوم لأجل قص الرؤيا وأنا بالأمس فقط قد وصلت من حضرته؟ فقلت: لا بد لك أن ترجع لأن هذه الرؤيا عليها عمدة، فامتثل الأخ المذكور ورجع، فلما وصل إليه وهو ببلد نفحون، قال له بعد أن قص عليه الرؤيا: أنت وصنوك علي تسلكون طريقة الوالد عمر إن شاء الله تعالى، ولم يفسر له بقية الرؤيا، فلما كان بعد مدة من وفاة شيخنا الحسين المذكور، ظهرت علامة صدق الرؤيا، وذلك أنه حصل علينا الأذى من الجماعة الذين رأهم الصنو أبو بكر يرجعون بالأحجار إلى الوالد عمر وإلينا، فبدت فيهم العداوة والبغضاء والجفاء

والقسطية ومساعدة من يعادينا ومقاطعة من يوالينا، وذلك من غير سبب ظاهر منا، ولا دعوى ولا طلب حق لهم، وإنما هم مبطلون علينا بطلاً ظاهراً حتى آل الأمر إلى أن هجرنا البلد بالكلية، فلم يفهم ذلك، حتى وصلنا آذاهم بعد الهجرة من البلد، وقد أشرت بقولي شعراً: وفررت من بلدي فراراً منهم فوجدتهم خلقوا بكل بلادي». ص ٤١.

أما حلم الوالدة فالهدف منه إبراز مناقبها وقدرتها على نظم الشعر، فقد كتب: «حكت لي الوالدة رحمها الله قالت: كنت ليلة في دارنا ببلد هينن، وهي ليلة سبع وعشرين في شهر رمضان، فرأيت وأنا بين النوم واليقظة، كأن خالي عبد الله بن سهل رحمه الله، قائم، وهو يقول: أصحاب كانوا نيام* بين القطف والخيام* واللييلة أمسوا قيام* ردوا عليكم سلام. قالت ثم غاب عني، وانتبهت لما يكون في تلك الليلة من ثواب القراءة والتهايل التي يوهبها الناس لأمواتهم ليلة سبع وعشرين في رمضان، ولها نفع الله بها كلام مليح يفهمه العامة في التعريف بالخير والدلالة عليه، وتأتي به بسهولة من غير تكلف، ولها أشعار تذكر فيها أشياء قبل وقوعها، فتقع كما تذكرها، خصوصاً في أولادها، ولما ولد الصنو أحمد وكان سميناً، فدخل يوماً على جماعة من السادة وهم في البيت، منهم الوالد أحمد ابن شيخنا الحسين نفع الله بهما، فقال ما لهذا مثل قعر المعصرة، على سبيل المزح، فلما سمعته الوالدة قالت فيه أبياتاً تذكر فيها إن أحمد هذا سوف يسافر إلى أرض الهند وأنت بحريضة، فاتفق أن الصنو أحمد حفظه الله، وأعاد النظر فيه، سافر بعد وفاة والده، إلى مكة وحج، ثم خرج إلى الأرض [أي إلى حضرموت] بسبب شيء أزعه، وكدر خاطره، فلم تطب نفسه بالجلوس في الحرم الشريف وهو مكر الخاطر، احتراماً لتلك البقعة الشريفة، وفراراً بدينه، حيث إن الأمر الذي أكلفه على

الخروج هو مزاحمة على شيء من أمور دينه، ففر منه فراره من الأسد، وكان ذلك بإشارة بعض المجاورين بها من أهل العلم والفضل لما استشاره الصنو أحمد في ذلك، ثم جاء إلى الأرض وأخذ مدة قريبة، بحيث إنه لم يتفق بغالب المحبين، ثم بعد ذلك سافر إلى أرض الهند، وله هناك نحو ستة عشرة سنة، أو يزيد من حلال التاريخ للترجمة، وهو حفظه الله حي الآن، متعه الله بطول حياته، وقد توفيت الوالدة والصنو أحمد بالأرض المذكورة».

ومن الأحلام التنبؤية التي لم تتحقق: سرد الحبيب علي بن حسن هذا الحلم: «وقلت مرة لشيخ الوالد حسين المذكور، أني رأيت في المنام كأنني على منارة الجامع وكأنني أذنت للصلاة، فقال: تحج إن شاء الله إلى بيت الله الحرام، وكأنه أخذ هذا التأويل من قوله تعالى: [وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ] الآية». ص ٤٠. وفي الحقيقة، عزم الحبيب علي بن حسن على أداء فريضة الحج، وبدأ الرحلة فعلاً لكنه حصل له طارئ اضطره للعودة من رؤوس وادي عمد، ولم يتمكن من الحج. ص ٤٧.

ومن اللافت للانتباه في السيرة الذاتية للحبيب علي بن حسن العطاس الربط بين الأحلام والإبداع الشعري، فهو يؤكد، في أكثر من مناسبة، أنه قد ألف أبياتاً أو قصيدة كاملة وهو في حالة المنام، كما كتب هنا: «كنت مرة نائماً في بيتي بالمشهد فرأيت في النوم كأنني في جامع بلد حريضة، وفيه جمع كثير وجم غفير من السادات وأهل الفضل وجماعة من المنسوبين إلي وكانني أعرض عليهم قصيدة لي من جملتها البشيتين اللذين جعلتهما أول هذه الأبيات ولم أحفظ منها بعد الانتباه إلا هما. ثم انتبهت في الحال وأمليتها بتمامها وذلك في الثلث [الأخير من] ليلة الخميس خامس صفر سنة ١١٦٧ هجري. وهي هذه:

قسماً لأنهي عن منامي مقلتي

حتى تُوسدَ في التراب عظامي



السيرة الذاتية للسيد علي بن حسن العطاس نص يتوق إلى الارتقاء إلى مستوى أدبي رفيع وفق التقاليد الأدبية السارية في الحقبة الزمنية التي أُلّف فيها وهي القرن الثامن عشر الميلادي (الثاني عشر الهجري).

يكتب: «لما سار سيدي الوالد عبد الله بن أحمد بن حسين بن عمر العطاس إلى مكة - شرفها الله -، استصحب معه القصيدة التي مطلعها:

يا ذا الجلال والإكرام يا ذا الجلال والإكرام
يا ذا الجلال والإكرام يا ذا الجلال والإكرام
يا ذا الجلال والإكرام يا من الأسرار علاّم
يا من علم بأمرنا تام والنقض بيده والإبرام

فلما سمع بها الشريف الوالي بمكة وهو مسعود بن سعيد، وذلك في أيام جذب وضرورة في مكة وغلاء في الأسعار، فأرسل الشريف مسعود إلى الوالد عبد الله المذكور يقول له: أجمع كل من بمكة من السادة آل باعلوي والفقراء والمساكين وجميع أهل الحرم، واجتمعوا في مقام إبراهيم، وتوسلوا إلى الله في نزول الرحمة بهذه الوسيلة الجامعة التي أنشأها صاحبكم علي بن حسن العطاس، فاجتمعوا وشلوا بها أول يوم وثاني يوم وثالث يوم، وفي اليوم الرابع انفتح الباب وثار السحاب، ونزلت الرحمة والحمد لله الذي أجاب. ولما حصلت علينا الضائقة العامة والحاجة الطامة بجهة حضرموت والكسور والوديان في سنة ١١٦٤، زرنا مشايخ الكسور من حورة إلى هينن إلى عندل، إلى حريضة إلى الشيخ سعيد عمود الدين إلى الشيخ أحمد بالوعار، ومشايخ دوعن الجميع، ووصلنا إلى حريضة منتصف رجب، وحين دخلنا البلد أنشأنا القصيدة التي مطلعها:

ضيفنا يا المحضر الله وضيفانك
عسى تحي الأمطار وتسقي أوطانك

[الحمولة]، بحيث إنني إذا خرجت وهي تمطر كفت المطر حتى نصل المكان المستقر، وأن تباعد السفر فحينئذ تعود المطر بحمد الله تعالى ولطفه الخفي الذي إذا لطف به لأحد من عباده كفى وشفى، جربنا ذلك مراراً عديدة. وربما مطرت حوالينا ووقع الفرق علينا، فلا يصيبنا من تلك السحب الماطرة إلا الظلال إذا سرنا في الهاجرة. فوالله ثم والله إنا إذا كنا في الهجور الحارة نشاهد نحن ومن معنا السحاب تظلنا وتسير في الطريق بعدنا وقبلنا وفوقنا وعن أيمننا وعن شمالكنا بحيث نشاهد ما بعدنا من جنبات الوادي، وقد شرقت فيه الشمس والظل عندنا مع تقارب جنبات الوادي. فالحمد لله والشكر لله». ص ١٦١-١٦٢.

وفي الحقيقة، الأمطار في حضرموت نادرة وغير منتظمة بشكل عام، ومعدل سقوطها أكثر قليلاً في وديان دوعن وعمد والقرى الواقعة في غرب وادي حضرموت. وفي القرن الثامن عشر الميلادي كان سكان تلك المناطق يعتمدون اعتماداً كلياً على مياه الأمطار للشرب والزراعة، وقد يضطرون للمغادرة إذا طالت فترات انقطاعها. وفي مثل هذه الحالات يدعون المولى عز وجل أن يغيثهم، مستخدمين في ذلك صلاة الاستسقاء ومختلف الوسائل التي يعتقدون في فعاليتها. ويؤكد الحبيب علي بن حسن العطاس أن كثيراً من قصائده حازت على إعجاب معاصريه، وأصبحت وسيلة للحصول على قضاء بعض الحاجيات، لا سيما المطر، فهو

وأقوم في نفع البرية دائماً

لله والإسلام أي مقام

بالسعي فيما يستحق أمانهم

من خوفهم والسقي والإطعام

متطلعاً أبداً إلى الرتب العلاء

قدماً بأقدام إلى إقدام

بالمال والحال المكين وبالدهاء

لا انثني عن شأوها لملام

بخميسها وخميسها فخميسها

كم في الملاء من ضيغم ضرغام».

ب- الكرامات:

إذا كان بالإمكان تأصيل الأحلام، بشكل أو بآخر، في الواقع المعيش وفقاً لمقولات فرويد وغيره من علماء النفس، لن يكون من السهل إيجاد موضع قدم للكرامات في أرض الواقع إذا نحن لم نسلّم بدور الأولياء في منظومة المعتقدات الإسلامية، وهو ما قد يتحفظ عليه بعض المسلمين. وحسب علمنا يربط معظم رجال الدين المسلمين بين الكرامات والأولياء مثلما يربطون بين المعجزات والأنبياء. وتحتوي سيرة الحبيب علي بن حسن العطاس سرداً لعدد لا بأس به من الأحداث التي تدخل في إطار الكرامات، وسنركز هنا على تلك الكرامات المرتبطة بالمطر.

سبق أن ذكرنا، عند تناولنا لعلاقة الحبيب علي بن حسن العطاس مع الكتب، إنه حينما يترك مكان إقامته يحرص على أخذ كمية كبيرة من الكتب -حمولة جمل- معه للمطالعة. ويؤكد أن الله قد سهل له الحفاظ على كتبه وحمايتها من البلل في موسم الأمطار. وقد سرد ذلك في سيرته الذاتية على النحو الآتي: «وكنتم والحمد لله إذا عزمت [على السفر] ومعني شيء من الكتب في أيام الغيث [المطر] اعتدت من ذي العوائد الجميلة، بحرمة صاحب الوسيلة والفضيلة، أن تلك المخيلة [السحب الماطرة] لا تصيب بالمطر البلييلة ما معي من تلك الحميلة



فبينما نحن في بيت الوالد عبد الله بن سالم بن رضوان بحريضة إذ دخل علينا الوالد عبد الله بن أحمد بن حسين المذكور بعد صلاة الظهر، ونحن نستسقي على العادة بعد كل صلاة بآيات الاستغفار، ونستغفر بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ونتوسل إلى الله به في نزول الرحمة، ونأتي بجملة من قصائد الأولياء التي فيها الدعاء، مثل المنفرجة، وقصيد سيدي الشيخ أبي بكر بن عبد الله العيدروس التي مطلعها: (بسم الله مولانا ابتدئنا). على ما أخذ:

إلهي يا كريم بحق ستة

بحق أهل الكسا انظر إلينا
وغير ذلك، فقال الوالد عبد الله بن أحمد: لم لا تتوسلون بالوسيلة التي لكم والتي مطلعها: (يا ذا الجلال والإكرام) المذكورة، وقال إنها مما لا يستكفي عنها بشيء، وأخبرنا بالقصة التي وقعت له مع الشريف مسعود، وقال: شلوا بها الآن المأخذ، وتوسلوا بها، وكنا إذا أردنا الشل بها نجعل مأخذها أربع مرات: يا ذا الجلال والإكرام. ودمنا عليها مع الوسائل المتقدمة للسلف والزيارات لقبور الأولياء والصالحين الأحياء، والاستسقاء بأهل كل بلد نأتيها، فوالله ما لبثنا أياماً حتى فتح الله أبواب رحمته وأكرم طلابه، ومن بالرضى والقبول والإجابة، ودام الغيث سبعة أسابيع، وحصل الموسم الشبيبي، حتى كان الناس بعد ذلك في الكسور والوديان يسمونها حميمة علي بن حسن، ولها طعام من الطعام المشهور بين الطعام، والحمد لله الفتاح العليم الوهاب الكريم. ولما سار صاحبنا النشاد عبد الله عوض باقني إلى الجهة الحجرية [نسبة إلى وادي حجر - غرب المكلا]، في أيام الخريف، أنشد بها ونزل المطر الكثير الذي يتغير منه التمر تغييراً كثيراً، جاءه جماعة من آل بادغار وقالوا له لا تنشد بهذه القصيدة في أرضنا في مثل هذه الأيام، فإنها تأتي بالمطر ويجيب الله الداعي الذي ينشد بها، فإذا وصلت إلى أرضك فأنشد بها». ص ٣٣-٣٥.

ويورد الحبيب علي بن حسن بعض الكرامات التي حصلت له بفضل عصاه (رعيدان) الذي قام بترزينه ببعض الأبيات الشعرية، نقشت بماء الفضة، قائلاً ص ١٠: «أما رعيدان فلوصله إلينا قصة عجيبة ونصة غريبة، قد حققنا شيئاً منها في قصائد من الديوان (قلاند الحسان وفرائد اللسان)، وأعجب ما شاهدناه منه أنه فر من بين رقعتين وقع رأس إنسان وهو يجادلنا في بعض الأحوال حتى فاض الدم من قرنه هتان، وكما أشياء أخرى لا يحصيها الحسان، ورسمنا بعض القصائد بتحلية فضة حلينا بها رعيدان المذكور ومطلعها:

يا رعيدان يا مبرك مسيرك على الناس
فيك شيء من عصا موسى وذا النون وإلياس
ذي سبها غرق فرعون في البحر واهتاس
أو هراوة محمد ذي جلبت كل حنداس
كسرت رأس باجل الشقي قد بالفاس». ص ١٨٠.

وفي خاتمة الحديث عن الكرامات والأحلام نكرر قولنا إن الكرامات تقع في إطار الاعتقاد بالأولياء. ومن المعلوم أن مصادر الفكر الصوفي تؤكد أن الكرامات تُعد معياراً لمعرفة الولي. ومع ذلك نؤكد أن معظم الأولياء لا يجبذون الإفصاح عن كراماتهم أو الحديث عنها؛ لأن ذلك يمكن أن يثير ردود فعل مختلفة. ويمكن أن نذكر أن الحكيم الترمذي حينما تحدث عن أحلامه ورؤيته للنبي اتهم بالزندقة وسجن. ونقل الطوسي عن الجنيد، أحد مشايخ الصوفية قوله: من يتكلم في الكرامات ولا يكون له من ذلك شيء مثله مثل من يمضغ التبغ.

وفي الحقيقة لم نقرأ أي رد فعل سلبي لما جاء من كرامات في كتاب (سفينة البضائع وضمينة الضوائع)، الذي لم يُنشر إلا قبل شهور، ولم نستطع أن نعود للنسخة المطبوعة عند قيامنا بهذه القراءة. وقد استبّق مصطفى عبد الرحمن العطاس أي نقد محتمل لما جاء من كرامات في (سفينة البضائع)،

وضمن كتابه (العقري المجدد الحبيب الإمام علي بن حسن العطاس) هذا الرد: «ولا نشك في أن الكثير من أدعياء العلم، سوف يلوون رؤوسهم إعرافاً وصداً واستنكاراً واستكباراً من تحدث صاحب الترجمة رضي الله عنه بنعمة ربه، وقوله إن الله بعوائده الجميلة، وببركة صاحب الوسيلة والفضيلة، مدينة العلم ومصدره سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، عوّده على حفظ كتبه التي يحملها معه في رحلاته المتصلة للدعوة إلى الله ونشر العلم وإصلاح ذات البين من أن تمسها مياه الأمطار والغيوث التي يتصافد هطولها في أماكن عبوره أو إن الله يأمر واكفها بأن تكف حتى يبلغ صاحب الترجمة مأمنه ومكان وجهته، ناسين قول إمام العلم والعلماء وخاتم الرسل والأنبياء سيد الأولين والآخرين حبيبنا محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه في الحديث الصحيح (إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب). وإذا كانت الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم فما الذي يحول دون الغيوث أن تكف صيبتها وهاطلها للعالم بقدره خالق الملائكة وأجنحتها والغيوث وصيبتها والعلماء وما يعلمون ويعملون. قال من عز من قائل كريم: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾. وقال جل ذكره وتقدست أسماؤه: [فَأَنبَأَهَا لَأَتَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ]. حفظنا الله من عمى القلوب، ورزقنا حسن الظن وسلامة العقيدة في كل عالم عامل محب لله».

رابعاً الأبعاد اللغوية والفنية في (سفينة البضائع وضمينة الضوائع):

أ - اللهجة العامية الحضرية في
(سفينة البضائع وضمينة الضوائع):
(سفينة البضائع وضمينة الضوائع)
نص يتوق إلى الارتقاء إلى مستوى أدبي رفيع وفق التقاليد الأدبية السارية في



ضمن الحبيب علي بن حسن سيرته الذاتية بعضاً من شعره لأنه رمى من خلاله للتعبير عن باطنه وآلامه ومعاناته وانفعالاته، وكذلك ليدافع عن نفسه من حساده وأعدائه بطريقة هادئة.

استخدم الصيغة الشكلية / الصوتية العامية الحضرية لكثير من مفردات اللغة العربية الفصحى دون إدخال أي إضافة أو تعديل في معناها المعجمي. فهو استخدم، مثلاً في صفحة ٢٢ (ضيفان) في مكان الفصحى ضيوف، وفي صفحة ٢٥ (المتهم) في مكان المتهم، وفي صفحة ٣١ (جفاوة) في مكان جفاء، وفي صفحة ٤٤ (نجوب) في مكان نجيب، وفي صفحة ١٢٣ (اصطاب) في مكان أصيب.

وهناك بعض الكلمات التي استخدمها الحبيب علي بن حسن مع انزياح عامي في المستويين الشكلي / الصوتي والمعنوي؛ مثل (زولوه) في مكان أزالوه، بمعنى: نفوه أو أبعدوه من بلاده، وذلك في صفحة ٥٧، وكلمة (لهينا) في مكان لهونا وبمعنى وجدنا متسعاً من الوقت، وذلك حينما كتب في صفحة ٣١ «فقلت في نفسي ما لهينا نأكله مخبوز مفتوت فكيف نخرج إلى الخلاء نصربه؟». ولن يكون من السهولة بمكان الجزم بأن استخدام كلمة (ريج) بمعنى رائحة مجرد انزياح معنوي لكلمة (ريج) نفسها، أو أنها انزياح صوتي لكلمة (رائحة).

ومن المؤكد أن (سفينة البضائع) تتضمن عدداً كبيراً من الكلمات الخاصة باللهجة العامية الحضرية (وربما بعض اللهجات المجاورة لها)، التي سيصعب تحديد أصلها بسبب غياب المعجم العربي التاريخي. من تلك الكلمات: في صفحة ٨ (الصيم) بمعنى التمر المهروس الذي نزع منه النوى، وفي صفحة ٢١ (الفخطة) وهي مسحوق لقاح

الاستخدام العامي، لكننا فوجئنا أنها كلمات فصوى واستخدمت في معناها المعجمي الفصيح. ففي صفحة ٢٦ مثلاً، استخدم المؤلف الفعل (زحف) بمعنى (تعب، أو أنهك)، وهو معناه الأول في لهجة حضرموت، ومن خلال الرجوع إلى المعاجم تبين لنا أن معناه المعجمي ليس التقدم إلى الأمام بدون أرجل أو بأرجل بل تعب أو أصابه التعب. والأمر نفسه ينطبق على كلمة (المثار) التي استخدمت في صفحة ٢٤ بمعنى النهوض أو الاستيقاظ، وكلمة (السترة) التي استخدمت بمعنى الجدار في صفحة ٤٣، وكلمة (عارضته) بمعنى قابلته في صفحة ٤٧، و(عبرت) بمعنى مضت أو مرت في صفحة ٣٨، و(الخلاء) بمعنى المكان الواسع الخالي من العمران في صفحة ٢١. ولا شك أن ارتفاع عدد هذا النوع من الكلمات يبين أن عامية حضرموت (ربما مثل غيرها من اللهجات العربية العامية) قد احتفظت بثروة هائلة من الكلمات الفصيحة التي اختفت كلياً أو جزئياً اليوم من الاستخدام الفصيح أو الكتابي.

وفي (سفينة البضائع) يرتبط الانزياح العامي المعنوي لبعض الكلمات الفصحى بالموقع الجغرافي لوادي حضرموت ووادي دوعن تحديداً، مثال على ذلك استخدام كلمة (نجدى) بمعنى شمالي، أي باتجاه نجد، وكلمة (بحري) بمعنى جنوبي أي باتجاه البحر، و(علوى) بمعنى أعلى وادي حضرموت و(حدرى) أسفله.

ومن ناحية أخرى، في أثناء قراءتنا لنص (سفينة البضائع)، تبين لنا أن المؤلف قد

الحقبة التي ألف فيها. والحبيب علي بن حسن العطاس عاش في القرن الثامن عشر الميلادي (الثاني عشر الهجري)، أي في نهاية العصور المتأخرة، التي تسمى أحياناً عصور الانحطاط، والتي اتسم خلالها الأدب العربي، في الغالب، باستخدام واسع لأسلوب السجع، والمحسنات البديعية، والأحاجي اللغوية، والمفردات العامية والأعجمية أو المولدة. فنص (كتاب الاعتبار) لأسامة بن منقذ مثلاً مليء بالكلمات العامية الشامية، والكلمات الأجنبية.

لهذا من الطبيعي ألا يتجنب مؤلف (سفينة البضائع) وضمينة الضوائع) كثيراً من المفردات والتراكيب اللغوية الخاصة باللهجة الحضرية. وهي سمة ملازمة لمعظم النصوص الأدبية والدينية والتاريخية التي كتبت في حضرموت قبل مطلع القرن العشرين. ومن المؤكد أن الحبيب علي بن حسن، الذي توفي عام ١٧٢ هـ، قد ألف (سفينة البضائع) في السنوات الأربع الأخيرة من عمره؛ فهو يشير فيها إلى أحداث عام ١٦٩ هـ. وكان حينها لا يكتب بيده بل يملئ ما يؤلفه. وربما كان أسلوب التأليف بالإملاء الشفاهي من أسباب ارتفاع عدد المفردات والتراكيب العامية في (سفينة البضائع وضمينة الضوائع).

ومن المعلوم أن اللهجة العامية تتجسد في الغالب في انزياحات معنوية أو شكلية / صوتية (أو كلاهما معاً) عن اللغة الفصحى. ومن الواضح أن الحبيب علي بن حسن قد استخدم في نصه، الذي يتضمن حشداً كبيراً من الكلمات والتراكيب العامية، مختلف مظاهر انزياحات اللهجة العامية الحضرية عن اللغة العربية الفصحى، وذلك على المستويين الشكلي (أو الصوتي) والمعنوي. وقبل أن نورد بعض الأمثلة على ذلك نؤكد أن علينا، عند دراسة العلاقة بين العامية واللغة الفصحى، لا سيما في القرون المنصرمة، أن نتحلى بكثير من الحذر والحيطه؛ إذ تبين لنا أن هناك مفردات ضمنها المؤلف نصه، واعتقدنا أن ذلك كان من قبيل



النخل، وفي صفحة ٦٤ (الجابية) بمعنى بركة الماء، وفي صفحة ٣٧ (العُطْب) بمعنى القطن، و(المسدر) بمعنى القميص أو الشميز.

وفي أحيان نادرة جداً، وبسبب غياب الحقل الدلالي والقرينة الصوتية اللتين يمكن أن يرشدا المتلقي غير الحضرمي إلى معنى بعض الكلمات العامية حبذ المؤلف شرح معنى بعض تلك الكلمات في النص مباشرة. مثال على ذلك كلمة (الضيقة) التي وردت في قوله: «إني بنيت داراً على عادة الصبيان، وجعلتها بسقيفتها، أي الضيقة التي يقال لها الدهليز، وأوضعتها [مستودعاتها]، ورقادها [درجها]، فلما أتممت مبنائها وأخذت في محضها [تلييسها]

بالطين»... ص ٢٣.

وعلى الرغم من أن هجرة الحضارم إلى الهند وجزر الأرخبيل الهندي وسواحل شرق إفريقيا قد بدأت قبل القرن الثاني عشر للهجرة (الثامن عشر للميلاد) [ذكر المؤلف أن أخاه أحمد قد هاجر إلى الهند]، فلا يبدو أن تلك الهجرة قد أفرزت منذ ذلك الحين دخول عدد كبير من الكلمات المولدة، الهندية والجاوية أو الملايوية، إلى عامية حضرموت كما هو الحال اليوم. لهذا ظلت الكلمات الأعجمية أو المولدة في نص (سفينة البضائع) نادرة جداً. وقد حرص الحبيب علي بن حسن على شرح بعضها في نصه، مثلاً عندما يتحدث عن المعدات الموسيقية المستخدمة في تلك الحقبة يورد كلمة (القنبوس) مع مرادفها في السياق الآتي: «وكنتم ربما أحضر عند الوالد الحسين إذا كان عنده بعض المُسمَّعين من الرجال أو النساء، على القصبه والطبول أو على العود الذي يقال له القنبوس، والمرزهر»... ص ٢٢.

وحاول المؤلف أن يفسر أيضاً استخدام كلمة (الجودري)، لتسمية الفراش القطني الرفيع، التي كانت [وربما ما تزال] تستخدم في بعض لهجات الجزيرة العربية الأخرى لا سيما في الحجاز، والأرجح أن أصلها تركستاني، على النحو الآتي: «وأجده قد خبا لي الفطور تحت

مصلاه: وهو طنفس من البز الأبيض البلدي، محشو من العطب، وهو الجودري بلغة أهل حضرموت، لكن الجودري هو الذي يرنق بأحمر وأسود وأخضر وأصفر، وأصله أبيض، فأشتق له الاسم، أظن أنه يماثل وجه صاحب الجدي الذي تبقى آثاره في وجهه...» ص ٣٨.

واستخدم المؤلف في الفقرة الأولى من نص (سفينة البضائع وضمينة الضوائع) كلمة (كواميخ)، وهي صيغة عامية لكلمة كوامخ، جمع كامخ، التي دخلت العربية من اللغة الفارسية بمعنى إدام، ويخص به أنواع مخللات الطعام ومُشهيّاته.

ب: أسلوب السجع ومزج النثر بالشعر: أ- أسلوب السجع:

ظل استخدام السجع والمحسنات البديعية سمة ملازمة للنثر العربي حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، وحتى نهاية العصر العباسي كان يأتي في الغالب عفويًا وغير متكلف، وبعد ذلك شرع بعض الكتاب في المبالغة في استخدامه وتعقيده، وقرنوه باستخدام أنواع مركبة من المحسنات اللفظية والمعنوية، والألغاز اللغوية، وليتمكنوا من تنميته اضطرروا إلى استعمال كثير من الكلمات الجزلة والغريبة.

ومن المعلوم أن أسلوب السجع الذي ارتبط أساساً بفنّي الخطابة والوعظ اللذين يجعلان من إيقاع الكلام وسيلة للإقناع. وفي اعتقادنا أن الطبيعة السردية لفن السيرة الذاتية قد فرضت على الحبيب علي بن حسن استخدام أسلوب النثر المرسل في معظم أجزاء نصه المكرس لسرد أحداث حياته، وسبق أن لمسنا من خلال الاقتباسات الكثيرة التي أوردناها في هذه الدراسة من متن (سفينة البضائع وضمينة الضوائع) أن المؤلف لم يستخدم أسلوب السجع إلا في فقرات محدودة وبشكل عفوي. كما أن السجع في نص (سفينة البضائع وضمينة الضوائع) لم يرتبط بالجوء إلى الغريب أو الموحش من الكلمات، ويمكننا أن نلمس ذلك في

المثال الآتي: «ثم إنهم آخر الوقت، لما أشرقت أنواره، وذاعت بالخير أخباره، تزامروا عليه وأخرجوه من إمامة المسجد حسداً لنا وبغياً علينا، وعدواناً وظلماً من غير موجب، وما ذاك في الحقيقة إلا [أذى] لنا وليس له، ولقد كابد أسلافنا من مثل هؤلاء أعظم مما كابدناه نحن من بن سلمة ومن غيره، فلنا بهم أسوة وفيهم قدوة، إنها سنة الله التي خلت في عبادته. ولن تجد لسنة الله تبديلاً. ثم إنه والعياذ بالله في آخر أمره ظهر منه الارتداد، وترك الامتثال وخلع ربقة الوداد، ودخل في زمرة الحساد، وغمرة أهل العناد، وذلك مكتوب في سابق علم الله المقدر ما يشاء على عبادته من إشقاء وإسعاد، أو تقرب وإبعاد، فأدبر عنا وترك الإقبال علينا. ثم إنهم بعد ذلك أحبوه وأرجعوه إلى وظيفة المسجد لما تحققوا من تركه لنا وتركنا له. ثم كان آخر أمرهم معه أن أخرجوه وزولوه [نفوه]. والعياذ بالله من أهل تالي الزمان، الذين لا خير فيهم، ولا أمير لمن يستكفيهم الله. وهو السميع العليم»... ص ٥٦-٥٨.

وتماشياً مع عادات الكتابة في القرون المتأخرة استخدم الحبيب علي بن حسن السجع والمحسنات البديعية في العنوان الذي اختاره لنص سيرته الذاتية (سفينة البضائع وضمينة الضوائع)، وكذلك في عناوين جميع مؤلفاته الأخرى، مثل: (القرطاس في مناقب الحبيب عمر العطاس)، و(المقصد إلى شواهد المشهد)، و(مزاج التسليم في حكم لقمان الحكيم)، و(قلائد الحسان وفرائد اللسان).

ب- مزج النثر بالشعر:

لقد أكد فيليب لوجون، في نصه المرجعي ((L'autobiographie)، أن السيرة الذاتية سردٌ نظري استعادي، ونحن هنا نسلم مع فيليب لوجون أن معظم نصوص السيرة الذاتية، القديمة والحديثة، تعتمد السرد والنثر. ومع ذلك هناك عددٌ من السير الذاتية كُتبت شعراً، منها سيرة الشاعر الفرنسي الكبير



ويقول في قصيدة أخرى طويلة:

ولو كان يقدر قريب النسب

يوالي قريبه رضي واستكان

ولكن إذا الله عليهم غلب

غدوا يطعنونك بحد السنان

يودون من غيظهم والغضاب

عدمك أو مسيرك إلى أقصى مكان

ص ١٠٩

وينفس الحبيب علي بن حسن عن
الهموم التي سببها له تقلب أصدقائه
وانقلابهم ضده في قصيدة طويلة،
يقول فيها:

تعجبت يا ناس حد العجب

من الكون ذي بالعجائب ملان

كثير المكاره قليل الطرب

كثير المساوي قليل الحسان

إذا ما طلع ذا علي ذا غرب

ومها بعد ذا ترى ذاك دان

بتقدير من قد علا واحتجب

وقدر ودبر وما شاء كان

وساعات بالعسر تأتي الكرب

وساعات باليسر يأتي الأمان

جعل فتنة البعض من بعض صب

ليعلم بها صبرنا يا فلان

وكم من صديق عدو انقلب

وكم من عدو قسا ثم لان

فجل في تصارييف حال العرب

وفند وسلم تهون الحزان

ولا تجعل إن حد لنفسه وهب

ولافادها من قضى الله كنان

وما رأته عينك من الله وجب

من الزين والشين في كل شان

خلق لك شواني وفيهم كلب

يريدون ضرك على كل آن

يودون لو كنت وسط اللهب

ويرضون لو تندرج في الدمان

المهتاجة نفسها في النظم يقدم بديلاً
مقنعاً من الناحية الاجتماعية»، (ترجمة
النفس: السيرة الذاتية في الأدب العربي
القديم، ص ١٤٢).

وقد اعترف الحبيب علي بن حسن
نفسه بذلك في نصه، وذلك في تقديمه
لإحدى قصائده الشعبية التي ضمنها
سيرته الذاتية، حيث كتب: «اعلم أن من
جملة ما نقوي به جاش النفس ونسليها
ونعزيها به إذا ورد علينا الأذى، الذي هو
من المضرات والقذى، نظم الأبيات
والحكم المُسلّيات، حتى أن الحبيب عمر
البار لما سمع قولي المار في أول هذا
المضمار، حيث أقول من الأشعار:

وفررت من بلدي فراراً منهم

فوجدتهم خلّقوا بكل بلاد

قال قولك هذا ينسم عليك، وقد صدق،

فمن جملة ذلك قولي حين رأيت إدار
وانفضاض بعض من حولي مع الدين
واللين المأمور به أفاضل النبيين:

بني مغراه قلبي وحل يا أهل المعاني

وصبري من شغوبي كمل والجسم ضاني

وفكري حار في وقتنا وقت الشواني

من صاحبتة وبالغت في وده جفاني

ومن شنت له كاس حلوا صرف هاني

جنائي في الجزء من حدج خس المجاني».

وتحدث الحبيب علي بن حسن كذلك
عن علاقته المتوترة بأقربائه في قصيدة
أخرى له قال فيها:

إن شاهدوا حسنة أرخوادونها الأستار

وإن شاهدوا سيئة أبدوها على الحضار

وإن شاهدوا نعمة أذكوا من حسدهم نار

دائم وحذف البلاء منهم إلى مثواي

ولا تجينا المصائب غير من قرباي

وفي قصيدة أخرى طويلة ينقل
ويفضح سلوك أقربائه ويسرد هجرته
إلى الهجرين قائلاً:

قل للمغني جوابك من علي بن حسن

با مرحبا بالذي هو للقوا في الحن

أبيات حلوات والسماع لها ما فطن

بذكر حريضة وعنده من قداها شجن

فيكتور هوجو الذي يقدم ديوانه الرئيس
(التأملات) على أنه سيرته الذاتية. وفي
الأدب العربي كتب محمود درويش
ملاح من سيرته الذاتية في أربعة من
مؤلفاته، هي: (يوميات الحزن العادي)،
(ذاكرة للنسيان)، (وفي حضرة الغياب)،
(أثر الفراشة)، وقد مزج في بعضها
الشعر بالثر. ونعثر على الظاهرة نفسها
عند الشاعر اليمني عبدالعزيز المقالح،
الذي منذ بداية هذه الألفية شرع في
نشر سلسلة من النصوص تحمل كلها
في عنوانها كلمة كتاب، منها: (كتاب
القرية)، (كتاب الأصدقاء)، (كتاب
صغاء)، وتمزج جميعها بين الشعر
والثر، ويعترف المقالح أنه تناول فيها
سيرته الذاتية. وفعل ذلك قبلهم كلهم
الحبيب علي بن حسن العطاس، الذي -
كما رأينا- ولع بالشعر منذ نعومة أظفاره
وحفظه قبل أن يحفظ القرآن، في سيرته
الذاتية التي ضمنها عدداً من أبياته
وقصائده.

**والسؤال الذي يهمنا هنا هو: لماذا
ضمن الحبيب علي بن حسن سيرته
الذاتية بعضاً من شعره؟**

ونعتقد أن الحبيب علي بن حسن لم
يلجأ للشعر سعياً لاستعراض قدرته على
النظم أو لتزيين نصه، بل نرى أنه كان
يرمي من خلاله للتعبير عن باطنه
والآلمه ومعاناته وانفعالاته، وكذلك
ليدافع عن نفسه من حساده وأعدائه
بطريقة هادئة. فمن المعلوم أن الشعر
أنسب من الثر للإفصاح عن مختلف
الانفعالات الشعورية العميقة بما فيها:
الغضب والحب والكرهية. ويبدو لنا أن
مؤلف (سفينه البضائع وضمينة
الضوائع)، رغم ما يتميز به من جرأة، قد
عبر في شعره عن بعض المواقف التي
لم يكن يستطيع تناولها ثراً. وقد رأى
دويت راينولدز أن الشعر في نصوص
السيرة الذاتية العربية القديمة «كان
يعمل كشفرة مقبولة للتعبير عن أشياء
قد لا تقبل ثقافياً إذا تم التعبير عنها
بلغة أو أفعال واضحة. وإذا إنه من غير
المناسب أن يفقد الإنسان السيطرة على
انفعالاته، فقد كان التعبير عن المشاعر

ملاحم الدرامية

في القصة اليمينية القصيرة



الدراما مصطلح مراوغ متجدد المفهوم يتشكل وفقاً لمناخه، وهو في إطلاقه يمثل فعل محاكاة السلوك البشري وعرضه، في حين يرى بعض الدارسين أنه يمثل الصراع في أي شكل من أشكاله، والصراع يستجلب معه الحركة الدرامية سواء أكانت ذهنية أم جسدية، وأهم مظهر يتشكل منه هذا الصراع هو اللغة، ومدار كل ذلك هو الإنسان بكل ما تحمله الكلمة من معنى، والغريب أن هذا المصطلح أول ما يُذكر ننصرف الأذهان بشأنه إلى المسرح بشكل أساس - وقد توسع فيها بعد

ليشمل الدراما الإذاعية ثم التلفزيونية - ولا ريب أن المسرح فن يختلف عن باقي الفنون؛ بوصفه نصاً مزدوج المعايير والتقنيات. فهو من ناحية نص مكتوب؛ بيد أنه في الغالب الأعم يُكتب ليُعرض. وهنا تكمن خصوصيته من حيث المعالجة الدرامية. لكننا لو تأملنا هذه الخصوصية سنجد أنها نابعة من معالجة الكتابة المسرحية للصراع الدائر في داخل الإنسان أو من حوله متخذاً لغة الحوار الرشيق كنظرة للتعبير عنه. وهو في هذا قد يلتقي مع فنون كثيرة منها الرواية والقصة القصيرة والشعر أحياناً. والذي يهمننا هنا هو الخط الذي تلتقي فيه القصة القصيرة مع الدراما، فليس كل قصة قصيرة صالحة لأن تكون أنموذجاً درامياً. فهناك ملاحم تبرز هذه الدرامية في القصة اليمينية القصيرة.

القصة القصيرة من بعده، متجاوزاً ببطله مفهوم أرسطو للبطل الكوميدي والمأساوي؛ ليأتي بعد ذلك تشيكوف فيزيد من وهج بناء الشخصية المهمشة ليتجلى البناء الدرامي من خلالها، فسار كتاب القصة القصيرة العربية على هذه السبيل مضيفين إليها أبنية متنوعة حسب تنوع تجاربهم، ولكتاب القصة القصيرة في اليمن عدة سبل في بناء الشخصية القصصية. ولكن الذي يعيننا هنا هي الشخصية الدرامية التي تتخلق من ظروف معينة ذات طبيعة مأساوية تنبثق من أزمة نفسية أو اجتماعية، يشكلها الكاتب كيفما شاء. فقد تكون هذه الشخصية من قاع المدينة - على حد

وهو أمر له صلة بالحركة الداخلية للأحداث المتمثلة في الحدث الدرامي إجمالاً، لهذا سنتناول أبرز هذه الملاحم وكيفية تجليها في القصة اليمينية القصيرة:

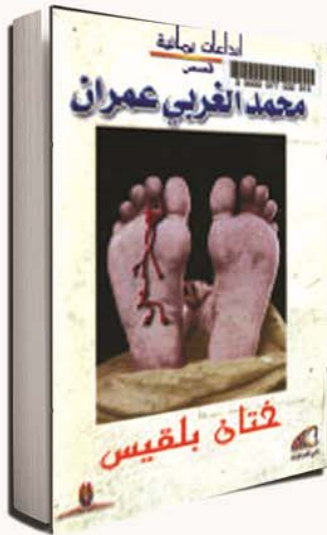
أولاً: بنية الشخصية الدرامية:

فرق أرسطو بين البطل المأساوي والبطل الكوميدي، فرأى أن البطل المأساوي رجل أكبر حجماً من الحياة، في حين أن البطل الكوميدي أقل شأنًا من الرجل العادي. والحق أن هذا التقسيم لا يهمننا من قريب أو من بعيد، ولكن جعلته مقدمة للحديث عن بنية الشخصية السردية التي تطورت تقنياتها في العصر الحديث منذ أن كتب غوغل معطفه بإتقان؛ لجعله رداءً يتدثر به كتاب



د. طه حسين الحضرمي*

ونعني بالحدث الدرامي هنا بنية الحدث السردية الذي يشد القصة القصيرة ويحيط بها من كل جانب، مثيراً التوتر الذي يتشكل من خلال بناء القاص لشخصياته بناءً درامياً متصلاً بمأساويتها أو كوميديتها، من خلال الإيقاع الزمني والمفارقة المتصلة بالصراع الدائر بين الشخصيات بواسطة الحوار الدرامي



تستغرقه في النص. وقد اهتدى نقاد السرد إلى أنموذج لقياس الإيقاع يعتمد على مدى سرعة عملية القص ذاتها، وذلك من خلال المشهد الذي يتكئ على الحوار، بوصفه الأنموذج الذي يتطابق فيه هذان الزمان؛ زمن القول وزمن الفعل. ثم قاسوا على هذا الأنموذج التباين الواقع بين هذين الزمانين سرعة وبطناً؛ لينتج من ذلك صور للإيقاع الزمني الذي يزيد من توتر الحدث الدرامي على النحو الآتي:

١- **الوقفة:** وهي تشير إلى توقف زمني كامل في حين يسير النص دون حركة زمنية، ولا يحدث هذا إلا في مقاطع الوصف، ففي هذه الحال تكون مساحة النص لا نهائية وسرعة الحدث صفرًا.

٢- **المجل:** وهي تقنية زمنية تعني سرد الحوادث ووقائع يفترض أنها جرت في سنوات أو شهور أو ساعات في صفحة أو فقرة، أو أسطر دون تفاصيل.

٣- **الحذف:** وهي تقنية زمنية تعني القفز على مساحات طويلة أو قصيرة من الزمن السردية دون الإشارة إلى ما وقع فيها من أحداث.

(عنبر) في قصة (في الحوش رقم ٧) (٥) لصالح باعمر، فعنبر يعيش في إطار مدركااته الخاصة فلا يجد الراحة إلا بجوار الريحانة «الشجرة التي أحبها، يحرق فيها، يناجيها، يداعب وريقاتها ويتشمم رائحتها الممتزجة برائحة المكان» (٦)، وهذا شكل من أشكال الدفاع الذي تلجأ إليه الشخصية المهمشة، ومثل ذلك شخصية (محمود توتة) في قصة (مجنون الزقاق المظلم) (٧) لمحمد الزرقعة.

وقد تتشكل الشخصية الدرامية من خلال الأنموذج الملحمي، أي الشخصية المحورية التي تتمحور الأحداث والشخصيات حوله، فهي على النقيض من الشخصية المهمشة، مثل شخصية (دهوم المشقاصي) (٨) لصالح باعمر، فهو شخصية -في ظاهرها- ملحمية تخوض المغامرات البحرية. وهو سباق إلى ركوب المخاطر. فقاربه أول قارب يعانق البحر في رحلته إلى المجهول. بيد أنه هش من الداخل فهو يخاف الجن، حينما يكون بمفرده. وقد تتولد الشخصية المحورية من شخصية عادية لكنها تحمل مؤهلات خاصة مثل شخصية (سلمى) في قصة (الأرض يا سلمى) التي تعيش صراعاً بين الانتماء والتمرد. بيد أن الانتماء ينتصر في داخلها «وفتح باب الغرفة، دخل ابنها الصغير وارتمى في أحضانها وسلمى تهتف بدخلها، سأعلمه كيف الأرض، بينما كانت المياه تغوص في أعماق الأرض» (٩).

ثانياً: الإيقاع الزمني:

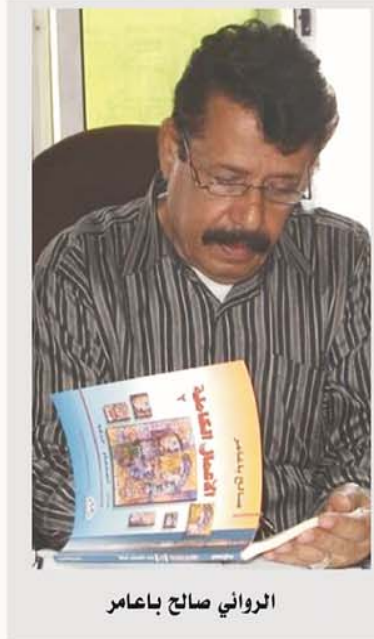
من الأمور التي يتميز بها الحدث الدرامي الإيقاع الزمني الذي يميز بين زمنين هما: زمن الحكاية كما تجري عادة في الواقع وزمن الخطاب الذي يتجلى في الكيفية التي

تعبير يوسف أدريس - تعيش على هامش الحياة، مثل بطل قصة (الوجه المكسور) (١) لمحمد الغربي عمران، فهو «يفضل أن يكون وحيداً، يتجنب الابتسامة.. أو النظر إلى عيون من يصادفونه، يتحاشى الأماكن المزدحمة، يحمل ما تبقى من قلبه وعجزه أينما ذهب، دائم البحث عن سر للبكاء! يردد مقولة (الإنسان دمعة) يبدو ثملاً على الدوام دونما شراب» (٢). ثم يتحول الراوي إلى متلصص يخدش خصوصية هذا المهمش، فيصرخ المهمش قائلاً: «لماذا تستببحون وحدتي، حرיתי، وتعتدون على خصوصياتي... والآن أتركوني، ماذا تريدون مني؟ هيا تفضلوا ولا تسافروا عبر ظلي مرة أخرى» (٣)، وبناء هذه الشخصية قريب من بناء شخصية (الجمال) في قصة (تقرير قديم عن حادثة اعتقال) (٤) لعلي باذيب، فشخصية (الجمال) عرفت بالانطواء كما عرفت بالبخل، بيد أن الراوي المشاهد ينفي عن صديقه الصفة الأولى ويتحفظ على الثانية، ولعل لتسمية شخصية هذه القصة بـ (الجمال) نصيباً في إبراز دراميتها. فالجمال مشهور عنه الصبر، ولكنه قد ينفجر في لحظة من لحظات التوتر، وكذلك فعل (الجمال = الشخصية) الذي كان يرى في مشاهدة الأفلام السينمائية متعة لا تضاهيها متعة أخرى. فعندما ماتت زوجة السلطان منعت الأفراح وكل ما يمت إليها بصلة لمدة ثلاثة أيام. ومشاهدة السينما شكل من أشكال الأفراح، حينها ينفجر (الجمال) غاضباً وهو الصبور فانطلقت من فمه احتجاجات على شكل سباب موجه لزوج السلطان وللسلطان نفسه، فاعتقل من فوره. ومثل ذلك شخصية

تقل الانحرافات الزمنية في القصة القصيرة بسبب ضيق المساحة فيها، ولكنها تستطيع استيعاب الزمن الدرامي الخاص بها بواسطة تقطيع الزمن على نحو ما صنع وجدي الأهدل في قصة (ولد الكوتشينة) (١٠). تبدأ القصة حينما بلغ الطفل سبعا وسبعين شهراً في إشارة إلى احتفاظه بسبعمائة وسبع وسبعين ورقة كوتشينة، ثم يعود الراوي عن طريق الاسترجاع الخارجي إلى الحالة المرببة التي انتابته وهو في سن الرابعة وذلك بتخريبه المتعمد للألعاب باهظة الثمن، وجريه في الشوارع بحثاً عن صناديق الكبريت، ثم يقفز الراوي زمنياً وذلك باستخدام كلمات من مثل (وما يزالان يذكران، قبل ذلك بكثير جداً، لم يلاحظا عليه في سنته الأولى، وفي يوم أشرقت فيه الشمس بضوء باهت، وبعد عدة أيام جاءهم زوار، وفي ليلة غرق القمر في محاقه، وفي اليوم التالي نهضا وجليين)، هذا التقطيع الزمني يزيد من توتر الحدث في القصة، فيكسبها بعداً درامياً مميّزاً. وفي قصة (انظر ماذا ترى) (١١) يلجأ أحمد محفوظ عمر إلى تقنية غريبة للدلالة على التقطيع الزمني، فهو يبدأ القصة بالحاضر (حثني الشيخ آمراً)، ثم يعود إلى سير الأحداث بقوله (قبل أن أبدأ) للدلالة على الاسترجاع، فكررها خمس مرات للدلالة على أزمان سابقة للزمن الحاضر، في تسلسل منطقي يعين على فهم الأحداث.

ثالثاً: الصراع الدرامي:

الصراع الدرامي في أيسر صوره هو صراع بين إرادات إنسانية، تحاول فيه كل إرادة إنسانية مجموعة أو أفراداً كسر إرادة إنسانية أخرى مجموعة أو أفراداً. بيد أن هذا الصراع الدرامي في القصة القصيرة يكون في الغالب الأعم



الروائي صالح باعامر

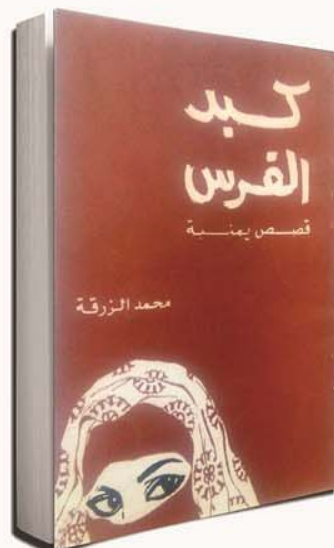
متمثلاً في تناطح الأفكار، معتمداً بشكل أساسي على المفارقة وعلى الحوار:

(أ) المفارقة:

تعدّ المفارقة أرقى أنواع النشاط العقلي -على حد تعبير سيزا قاسم- وأشدها تعقيداً، وتستخدم هذه المفارقة للقضاء على المظهر الزائف ولفضح التضخيم الفكري، والآلية التي تمتطيها المفارقة تكمن في الضحك الناتج عن التوتر الحاد، والضغط الذي يولد الانفجار. وخير من يمثل هذه النوعية من المفارقة القاص عبد الله سالم باوزير في غير واحد من قصصه من مثل (الضيف الكبير) (١٢) و(التفاح المر) و(حسك

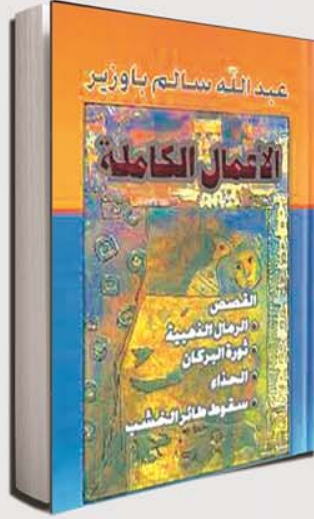
ومسك وزعفران) (١٣) وغيرها كثير بيد أن المفارقة الحادة تتجلى في قصة (الحذاء) (١٤) التي تفلسف جدلية القوة والضعف مع وضوح هيمنة القوة من خلال العتبة الرئيسية (الحذاء) وما يستتبع هذا العنوان من مظاهر القوة من النعوت والأوصاف (لقد كان لأبساً حذاءً ضخماً)، إن الجنود يميلون إلى الصرامة والعنف)، كما تعتمد هذه القصة على المفارقة المقلوبة عندما تعقد مقارنة عجيبة بين النور والظلام، يقول الراوي «ومن بعيد أخذت بعض أعمدة النور تصارع ذلك الظلام لتبدده فلم تفلح إلا أن تضيء لنفسها فقط»، وكما هو معلوم أن لكل من النور والظلام قوته الحسية، بيد أن النور يتميز بقوته المعنوية؛ لأنه يمثل قوة سطوع الحق، في حين أن الظلام يمثل الانحناس معنوياً، ولكن في هذه القصة نعيش مفارقة بيّنة، فالنور فيها يمثل الضعف في حين أن الظلام يمثل السطوة والهيمنة.

ونجد مثل ذلك في مجموعة (حالة ولادة لمقبرة عتيقة) (١٥) لخالد الأهدل. فالعتبة الرئيسية هنا تحيل على مفارقة عجيبة متمثلة في انبثاق الحياة من أحضان الموت، والقصة التي تتبنى المجموعة عنوانها قائمة على مفارقة دراماتيكية فالغول العنكبوتي الذي كان يفرض سطوته وهيمنته على المدينة بالتهام أعز أبنائهم ينتهي به المقام سريعاً على يد طفل صغير فتتوقف الحركة البليدة في المدينة ليشاهد الناس هذا المنظر العجيب «الغول العنكبوتي صريع على الأرض يتخبط في دمه وقد نام طفل على ظهره، بعد أن صنع من الدم المسفوح غطاءً يقيه رياح الخنوع الباردة».





عبدالله سالم باوزير



ب) الحوار:

يعدّ الحوار المظهر الأبرز للدراما، وقد عدّه أرسطو الفارق الأساسي بين الدراما (الفن المسرحي) وبين الفنون الأخرى. بيد أن القصة القصيرة قد تلجأ إلى هذه التقنية بشكلها الدرامي وذلك حين يسود المشهد الحوار فيهما، فلا نسمع إلا صوتين فيختفي الراوي خلف جمل قصيرة أشبه بالإشارات التي ينتها كاتب المسرحية، فتزيد حدة التوتر الدرامي فيها. وللحوار وظيفة من حيث ارتباطه بشخصية القصة وأحداثها، فهو يعين على تنمية الحدث فيكشف عن الصراع الدائر بين الشخصيات أو الصراع الدائر في داخل الشخصية. كما يقوم الحوار بإبراز المظاهر السلوكية والوجدانية التي تموج في أعماق الشخصيات، وذلك مثل الحوار الذي يدور بين صاحب المكتبة وفتاة الجبل في قصة (وكانت جميلة) (١٦) لمحمد عبد الولي، فإن الحوار فيها يتحول إلى فعل درامي وتلاحق الأنفاس خلفه لمعرفة ماهية العلاقة بين صاحب المكتبة وبين فتاة الجبل، فصاحب المكتبة يحمل هم هذه الفتاة منذ نزولها إلى المدينة، ويعيش خوف ضياعها منه، في حين أن الفتاة لا تنظر إليه إلا من خلال نظرتها إلى واحد من عشاقها، فالحوار يكشف هذا التوتر الدرامي بين هاتين الشخصيتين. وفي قصة (صنعاء) (١٧) لمحمد الغربي عمران، يحتل الحوار جزءاً كبيراً من القصة، فيتحوّل الراوي البطل إلى صوت يحاور صوتاً آخر؛ ليسود المشهد الحوار في عموم القصة مما يعطيها بعداً درامياً. وفي قصة (تاتانيا) لسالم

العبد (١٨) يتوهج الحوار مشتعلًا بتوتر درامي، فيتوارى الراوي في جمل قصيرة تزيد من توهج الحوار. ومثل ذلك فعل صالح باعمر في مستهل قصة (أبو الحيود) (١٩). فمن خلال الملامح السابقة تكتسب القصة القصيرة دراميتها، فتخرج عن إطار الصوت المنفرد لتخلق في أفق سيمفونية جماعية منبثقة من تشابك تقنيات الدراما المتصلة بالشخصية والإيقاع الزمني والصراع، وتقنيات القصة القصيرة المتصلة بالتكثيف ووحدة الانطباع واللغة الموحية.

* أستاذ الأدب الحديث ونقده المشارك بكلية الآداب/ جامعة حضرموت.

الهوامش:

(١) ختان بلقيس، محمد الغربي عمران، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، نادي القصة إلمقه، صنعاء، ط ٢، ٢٠٠٢م.

(٢) نفسه، ص ٢٠.

(٣) نفسه، ص ٢٢-٢٣.

(٤) السفر في الذاكرة، علي عوض بانذيب، دار الهمداني للطباعة والنشر، عدن، ١٩٨٤م.

(٥) دهوم المشقاصي، صالح سعيد باعمر، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ط ١، ١٩٩٢م.

(٦) نفسه، ص ٨٦.

(٧) كبد الفرس، محمد الزرقعة، مطابع روز اليوسف، القاهرة، ١٩٧٦م.

(٨) نفسه.

- (٩) الأرض يا سلمي، محمد عبد الولي، دار الكلمة، صنعاء، دار العودة، بيروت، ط ٢، ١٩٧٨م، ص ٨٨.
- (١٠) أفق جديد لعالم أجد (نماذج من أدب التسعينيات القصصي)، مؤسسة العفيف الثقافية، نادي القصة إلمقه، صنعاء، ط ١، ٢٠٠٠م، قصة (ولد الكوتشينة) وجدي الأهدل، ص ٢٢٥-٢٣٢.
- (١١) يا أهل هذا الجبل، أحمد محفوظ عمر، دار الفارابي، بيروت، لجنة نشر الكتاب اليمني، عدن، ١٩٧٨م.
- (١٢) ينظر: الأعمال الكاملة، عبد الله سالم باوزير: مجموعة (الحداء)، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ٢٠٠٤م.
- (١٣) نفسه: مجموعة (سقوط طائر الخشب).
- (١٤) نفسه: مجموعة (الحداء).
- (١٥) حالة ولادة لمقبرة عتيقة، خالد يحيى الأهدل، كتاب الحكمة، منشورات اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين، صنعاء، ط ١، ٢٠٠٠م.
- (١٦) ينظر: وكانت جميلة، محمد أحمد عبد الولي، الصفحات (١٩-٢١، ٢٥، ٢٧، ٢٨) من مجموعة (شيء اسمه الحنين)، دار الكلمة، صنعاء، دار العودة، بيروت، ط ٢، ١٩٧٨م.
- (١٧) منارة سوداء، محمد الغربي عمران (المكتبة السردية) اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين، الأمانة العامة، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ط ١، ٢٠٠٤م.
- (١٨) القواقع، سالم العبد، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، نادي القصة إلمقه، صنعاء، ط ١، ٢٠٠٢م.
- (١٩) احتمالات المغامرة، صالح سعيد باعمر، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، نادي القصة إلمقه، صنعاء، ط ١، ٢٠٠٢م.

من السطح حتى الباطن

قراءة في تشكّل أنماط القناع،

في تتعر عائتة الحطاب(*)

نص (قلبها الضوئي) أنموذجاً

بين يدي القراءة:

لا الشعر يستأذنك ولا السرد الأدبي الجميل حين يلج وجدانك نفاذاً، فتحيا تفاصيل حوارات دراماتيكيته، أو تراجيديته، أو ملهاته، أو مأساته، أو حياة شعرية بكافة أنماطها، بل ينفذ إليك ولا تجددك إلا جزءاً أصيلاً من عالمه من حيث لا تدري، وقد تدري فتمدك درايتك استرسالاً، وانبعثاً إلى الحضور العميق لتفاصيل مبادلاته التفاعلية من وإلى الآخر، أو من طرف جغرافي إلى آخر غيره، يمكن أن نوجز وصف تلك الحالة، بقولنا: يسرقك النص إلى عالم يضيف إلى عوالمك الفكرية والروحية على حد سواء، وقد يصحح أحياناً مفاهيم كانت تتمرس لدى قناعاتك بغير ما كان ينبغي عليها أن تكون، حينها يكون الأدب بشكله العام مصححاً، ومقوماً بالإضافة إلى الكم الهائل من حالات الوجد التي يثبها في حنايا الروح وهي تعلو وتحلق بعيداً، عن واقع ما قبل الولوج، فتتمنى في كثير حالات أن لو يكون كل الناس محلّين معك في ذلك الفضاء الرحب، والعالم السامي المنها عن عالم الماديات البشرية، التي تنغمس فيها ذواتنا صباح مساء، أترأه لهذا سماء الإغريقين بالشاعر إلى مقامات الألوهية في معتقدات فلسفاتهم؟!.

من المبدعين موهبة خاصة ولغة مطواعة منقاد، وعائشة الحطاب من هؤلاء، فإذا بي وأنا أقرأ تعليقي القديم على النص -ذات استهلال مفسبك- أقرأ في الوقت ذاته لبنات لقراءة للنص تكون أكثر عمقاً، الأمر الذي جعلني، أمنيح استقرائي كامل الحرية إبحاراً في نص قصير مليء، بعيدة أغواره، بسيطة لغته، نازقة عاطفته في ثنايا تراكيبيها اللغوية، لعلني أشفي بعضاً من غليل تعطشي، وأسهم بالقليل في ولوج القارئ معي نحو عمق النص،

هكذا تبدت الشعرية في نص (قلبها الضوئي) -الذي قرأته على صفحتي الفيسبوكية- ولم أكن أعلم أنه سيأخذني إلى بعيد، أو سيسرق تتبعي للولوج إلى باطنه كل هذا التتبع، لكنه الأدب حين يحكم قبضته على المتلقي فلا يترك له متنفساً إلا من حرفه، ولا وجهة إلا وجهة مساره، فإذا بك تتغياه نحو العبور، فكانت بداية التتبع في تعليق على النص، بطريقة بديهية لا شعورية إلا شعور الأثر المبعثوث من النص إلى المتلقي، يمنح الله من أبدع



زهير برك الهويل



الشاعرة عائشة الحطاب

وقبل هذا وذاك لعلني أعطي هذه الشاعرة من الإنصاف ما تستحق، وما يكون لها دافعاً لأن يظل بلبل شعرها مغرداً، إلى آفاق بعيدة محملة بثمار يانعة قطوفها غير دانية، تجبرك أن ترتقي لسموها علواً حتى تحظى بعطايا ذلك الثمر، لست من ذوي الباع الطويل في النقد، ولكنها سطوة الأثر الأدبي لا تشعر معها من أنت، ولا مع نتاج من الأدباء تتفاعل، فتجدك تستنفر عدة الإبحار، وينفذ تقصيصك مع لغة النص، تعيشه وتحيا تفاصيله، فتعود أنت الإنسان بعد تلك الرحلة تاركاً شقك الناقد، شقك الأديب، شقك الوجداني، مسافراً مسروقاً مع تفاصيل كون النص.

(١)

مع النص:

الطلب (أقنني)، قناع للطلب (أضني):

تحيا أحداث النص وتتحرك وجهاتها معتمدة ثلاثة أقطاب خطابية، هي (أنا الشعر) والـ(أنت) المخاطب، والـ(هي) صورة الموصوفة الغائبة، فعز ظهور الـ(أنا) بصفتها الصريحة، وإن كانت باكورة النص قد أثرت حضورها البارز وهي تحسّل مكانة متنبئية: (أنا الأولى...)، ولم يكن ذلك التقيب لها بعد هذا المثل الخصب تغييباً وجودياً بقدر ما هو إعفاء لتمشدها الصارخ كما سيتجلّى لاحقاً، لتتقمص نمطية من شأنها أن تسهم في أداء وظائف تكاملية تخدم المستوى الشعري للنص فلا تلبث أن تتبدى وإن من وراء قناع.

أخذت هذه الأقطاب الخطابية تأخذ مكانها من بنية المشهد الشعري للغة التصوير الذي يمثل فيه المخاطب مشاهداً لصورة منعكسة في مرآة تتحرك أحداثها مستلهمة أبعادها من ترسبات الماضي، واستحضاره، أو من تنبؤات المستقبل وحده مثوله، فلم

لدى المخاطب مقرةً بالذي كان منها. تلك المرأة الصافية النقية بقدر ما تكشف للمخاطب الحقيقة وتريه الصورة جلية، من مكان تجليه لها، وتجليها له، وهي تمرر صورته في نواحي سطحها، تلمس فيه أنثى منفردة مبثوثة في أرجاء تكونه من السطح تدرجاً نحو القرب ولوجاً حتى أغوار الباطن، كالاتي:

ستبصر في قميصك كل أنثى ←
وتنفّض شعرة ← وتشم عطراً ←
وتنكر ظنّها.

(مرئي) ← (محسوس) ← (مشموم)
← (مدرّك/ قلبي).

أبصرت مفاتن ألوان تلك الأنثى في قميصه، ونفضت منه شعرة من وصال أوجد، وشمّت عطرها برائحة منفردة، تماماً كانفراد (شعرة) و(عطرا) في لغتهما، فحاولت متجاهلة كل تلك الدلائل والقرائن، (تنكر ظنّها)، وهي مرحلة إدراكية قلبية - كآخرا تتوالى به الحواس ولوجاً نحو الباطن - ذلك الظن وإن حمل إيهاماً بالشك في لفظه إلا أنه في حد ذاته يمثل عين

يبتعد هذا التمشهد عن افتتاح النص، إذ تطالعك أبيات ترسم من الـ(هي) مرآة خارجية بعيدة عن الـ(أنا) المتحدثة، تري هذه المرأة المخاطب ذاته الحقّة كما لم يرها من قبل، مستندة على قرائن تنطق بها منافذ الإدراك:

حبيبتك الأخيرة عخص أخرى
طرقت خيالها وأدرت ظهرها
أنا الأولى وبعدي كل أنثى
مررت ببها ستموت فهدراً
عليك ذنوبها إن كنت تدري
ومثلك بالهوى المجنون أدري
ستبصر في قميصك كل لون
وتنفّض شعرة وتشم عطراً
وتنكر ظنّها لاياً بلاياً

فمغلوب الهوى بالعدو أخرى
تلك الدلائل تقدم الإصرار والترصد
لعلاقات يبصرها المخاطب في مشاهد
مرآة الـ(هي) التي تحمل (أنا الشعر)
كونترول تحكم عرضها فتغيب (الأنا)،
ولو لحين، بعدن تنطق صدمة الحق



اليقين بالأخرى الأولى واحدة التعدد، فلا ذنب لتلك المرأة (هي) سوى البراءة التي بها أخذت تصغر وتتلاشى عن ماديّات الحقائق الملموسة التي مثلت لها وصولاً إلى مكنن الهوى والصدق والنقاء وكل المشاعر النبيلة وباعثها الأول (القلب)، ليضحي قبراً لها، من ذلك المركز الموحش (قبرا) ينطلق يقين الحقيقة في محور الـ (هي) ليكون العنوان البارز للنص (قلبا الضوئي):

وَصَحَّحْتُهَا الرِّبَّةَ سَوْفَ تَمُحَى

وَيَعْدُو قَلْبُهَا الضَّوئِيُّ قَبْرًا

هكذا رأى المخاطب المرأة وهكذا رآته حين تقابلا، فمثلما كانت هي امرأة له، كان هو امرأة لها ليتراءيا ويكونا دراماتيكية حيّة ثرية في ذاتها، وأثرى في قراءة لغة التمشهد لدى القارئ، فإن يكن المخاطب متفرجاً مشاهداً، لمشهد العرض، فهو مكوّن وشخص أصيل من شخوص مشهد داخلي، يرى القارئ مجموعهما، تماماً كما يرى عملاً درامياً يظهر شخوصه يتفرجون على شاشة في مجلسهم تعرض دراما داخلية، بينما هم أصيلون في المشهد العام القريب لدينا نحن المشاهدين (القراء).

لذا كان العنصر الرئيس الـ (أنت) المخاطب هو البطل الذي ذهب النص يقدمه ويقربه بأسلوب الخطاب زلفى، في ثلاث وثلاثين مرة (٣٣)، يحضر فيها ضمير المخاطب (أنت)، على مدار النص، ولم يبتعد بأسلوب الغيبة الـ (هو) ولا مرة، كالاتي:

المخاطب: حبيبك / طرقت / أدرت / مررت / عليك / كنت / تدري / مثلك / وتنكر / ستهديها / ستهبط / لثضيف / رافقتك / أسمعتها / دموعك / لحلمك / طقوسك /

شهياً الظلم / وهبتك / أضئني / هواك / سيتركك / تجرجر / وتنسأك / كأنك / ما صنعت / جئت / تسألهن / تحن / أشعلت / أقلني / هواك / وعش .

ولم تظهر الـ (أنا) سوى ثمان مرات (٨):

أنا الأولى / وبسعي / أضئني / لأنني / أضأت / أقلني / فلست / أطيق .

بينما تجلت الـ (هي) سبعاً وعشرين مرة (٢٧):
الأنثى الغائبة (الـ هي): حبيبك / خيالها / ببالها / ستموت / ذنوبها / ستبصر / وتنفض / وتشم / ظنها / ستحمل / حزنها / تمضي / تقلب / ضحكها / قلبها / قصيدتها / سواها / رافقتك / أسمعتها / مسحت / حفرت / أتقلها / أيعجبها / لهن / تسألهن / ضحك / صفحن .

التحم المخاطب الـ (أنت) بالغائبة (الـ هي) منفردة ومجموعة في خمسة تراكيب (٥)، تتصدر هي ثلاثة تراكيب -في إichاء بحرص جانبها على الوصال- وهو يتصدر تركيبتين كالاتي: (حبيبك) (رافقتك) (وهبتك)، (أسمعتها) (تسألهن).

بينما كان الالتحام بين المخاطب الـ (أنت) والـ (أنا) في تركيبتين حسب (أضئني) و (أقلني)، وكلاهما يمسك بزمام التصرف والقيادة فيهما بطل النص الأول الـ (أنت)، وبقليل من التأمل في التركيبين الطالبين (أضئني) — (أقلني)، يطالعنا التقابل الدلالي، إلى غاية انتهاه، ففي: (أضئني) منتهى مبتغى القرب، وفي: (أقلني) غاية الاحتمال على البعد، الذي يكون الموت أخف منه وطأة، في عرف المحبين، لأن الإقالة فيها الترك وأنت تراقب حبيبك يمارس شتى أنواع العشق مع سواك، لذا يقودنا ذانك التركيبان لأن نلج إلى بنيتيهما في وحدة أوسع (البيت)، وتوسيع الربط بينهما من بنية البيت، في تعالق

مجاله النص كاملاً، مبتدئين بالنهاية الكبرى للنص بأكماله، والبيت الأخير فيه، الذي حوى القرار الأعرب:

أقلني من هواك وعش وحيدا

فلست أطيق بعد اليوم صبرا
خاتمة ارتضى النص أن يضعها أمام القارئ، بعد كل ذلك الجهاد المضني للظفر بالمحبوب، الأمر الذي يجعلك تنأى عن التسليم بهذه الوجهة كخاتمة من جهة، ولغة التبشير التعليلية، في الشطر الثاني، تقرأ فيها دلال الاستجداء، وأن القرار المأخوذ، لم يكن إلا نابعا عن عدم احتمال، وعدم مقدرة، على تحمل ما لا يطلق في الحب، من جهة أخرى، فقد نفذ الصبر، وهذا التبرير في حد ذاته -إichاء عن دافع اتخاذ القرار- يبتث من الحب للمحبوب، ما لا تبثه لغة البوح في السياق، وهو أمر تؤكد لغة البيت الآخر الذي حوى التركيب: (أضئني)، محور التقابل في البيت:

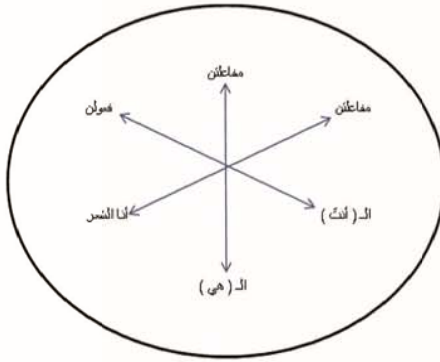
أضئني شمعة في كف ربح

لأنني في هواك أضأت عشرا
هل يمكن لـ (أنا) هذا البيت، أن تكون (أنا) البيت السابق نفسها بقرارها السابق؟! كيف لمن ارتضت أن تكون شمعة، في كف ربح عاتية، وتكون صامدة، مقاومة، لكل أهوال الريح المصحوبة بالعذاب في أغلب تجلياتها -لا أقول الرياح- كيف لها أن تكون تلك المستقيمة من الحب فقط، لأن صبرها قد نفذ؟! إنه الغنج، والدلال ليس إلا، وهو ما يتأكد في أسبقية الإضاءة منها، بعشرة أضعاف المطلوب منه: لأنني في هواك أضأت عشرا.

لعل السياق هنا أخذ يوائم حداثة النص بنزعة تغييرية، فغاير التقليد القديم من التشبيب، وبكائيات الطلل



(أنتِ) و(أنتِ) و(أنا)، أنثيان وذكر، تماماً كما هو بناء الإيقاع:
مفاعلتن (أنتِ) + مفاعلتن (أنا) +
فعولن (أنتِ)، على اعتبار أن (أنا الشعر)
أنثى كما ساقَت ذلك ضمائرهما، تتحرك
تلك الضمائر في النَّصِّ بمساراتٍ
واسعة، يمدّ منكبها ذلك النَّفسُ
الواسع في بحر الوافر، والعدد الكبير
للتفعيلات البالغ مئة وأربع عشرة
تفعيلة (١١٤)، في النَّصِّ فما هي إلا
فضاءات تملأُ شخوصُ النَّصِّ شاغرها،
في امتدادٍ لحرية ممشاهها، ومدّ
جغرافية حركة تفاعلها شعرياً داخل
النَّصِّ.



وإذا أولينا جانب الفاعلية تتبعاً خاصاً
من قرأنا في تركيب تلك التفعيلات
وجدنا أمام طرفين، طرفٌ يبيِّن
الفاعلية، وآخر تتشكل طاقته بذلك
البث، الطرف الباث: هو اسم الفاعل
(فعول) على تصريف اسم الفاعل الدال
على المبالغة في الحدث
(فعول) كـ (غفور، وشكور) (١٣)، والطرف
الآخر: المبتوث إليه (اسم المفعول) من
فوق الثلاثي (مفاعلة) فإذا كان العنصر
الأنثوي في النَّصِّ يحيا ويتنامى بحدث
الحب والعشق من الجانب الذكوري،
فإن تلك الأنثى المحبوبة أو المعشوقة،
ليس لها وجود إن لم يرسل لها ذلك
العنصر الذكري فيض عشقه ووجده،
فتحيا تلك الأنثى العشقية ندية غضة
الروح في شعرية النَّصِّ، بما بثه اسم

(٢)

قناع التصوير الإيقاعي، لمجتمع النص:

لم تنحصر وفرة الوافر في النَّصِّ
بامتداد نفسه ووفرة مساحة بوحه
الإيقاعي حسب، ولم يتأطر المدّ
الشعري في تمسك إيقاع تفعيلاته،
بل تلك ميزات انماز بها في بعده
السطحي، وتظهره الشكلي، وإذا ما
اتَّجهنا بمسار القراءة إلى نحو عمودي
غائص في عمق تلك الوحدات المؤلفة
لشطر البيت الشعري، تتبدى لنا ثلاث
تفعيلات هي: (مفاعلتن مفاعلتن
فعولن).

تتنوع مفاعلتن بين مرسلة
النفس (مفاعلتن) بأربع وأربعين
مرة (٤٤)، أو مقبوضة بالعصب
(مفاعلتن) باثنتين وثلاثين مرة
(٣٢) على مدار النَّصِّ كاملاً،
فتعدّد ظهورها بجسد واحد
تتشكل ملامحه، أو بالأحرى
تظهر فيه حرية التبدي تارة
وتتقيد تلك الحرية تارات أخرى،
بينما أطلّت (فعولن) في ثمان وثلاثين
إطلالة (٣٨)، بمجموع تفعيلات يصل
إلى مئة وأربع عشرة تفعيلة (١١٤)
للنَّصِّ كاملاً.

إلا أن الشيء الذي يشدنا تمظهره
هو الانعكاس الإيقاعي لمجتمع تلك
التفعيلات، إن على نطاق خاص
(البيت)، أو على نطاق أخص (التفعيلة)،
أو على نطاق عام (النَّصِّ)، يمكن أن
نقرأ فيه التكوين الاجتماعي لشخص
النَّصِّ الحيوية، التي غابت فيها
الأسماء فاسحة المجال للضمائر، أن
تتفاعل مع بعضها البعض لتبث الحياة
الشعرية للنَّصِّ أخذة بزمامه إلى عمق
الشعرية، فلا زيد ولا فاطمة ولا عائشة
-حتى بوصفها رموزاً شعرية- بل:

في المقدمة، الممنهجة في درب
الشعر الرجالي، ليبرزهما في تذييل
النَّصِّ، في تجلٍّ حديث، عن منتج
نسائي، وبه يكون البيت الختامي
للنَّصِّ، أشبه بدائرة ربطٍ تعيدنا إلى
باكورة النَّصِّ، حيث تسلسل أحداثه
استمراراً، بارتباط بدايته ونهايته، وما
هذه النهاية، إلا انطلاق البداية، حيث
تظل لغة النَّصِّ حية وتظل حياته تدور
إلى لا نهاية، فتستمر الحياة:

أقلني من هوالك وعشٌ وحيدا

فلست أطيعُ بعدَ اليوم صبرا
وإن أسدل ستار الختام الأليم، الذي
يتبدى لك من أول وهلة، فما هو إلا
ستار يبيث التشويق، وقناع شعري
تتلبسه شعرية النَّصِّ، فيتكشف عنه
بعد ذلك وجهٌ ما وراء القناع، الذي
يمثله البيت:

أضنني شمعةً في كفِّ ريح

لأني في هوالك أضأتُ عسرا
ففي هذين البيتين حسب حضرت (أنا
الشعر) في النَّصِّ تحضن الـ(أنتِ)
لغوياً، مسالمة إياه دفعة القيادة
والتصرف، بطليين استجدائيين، تكون
بهما منقاداً راضية مرضية بمطلق
الفاعلية المتعدية إلى مفعوليها
كليهما المرتبطين بالإضافة: (أضنني
? أقلني)، وإن تقابلت وجهتهما إلى
أقصى البعيد، فهي بلا شك إلى تلاقٍ،
فيكون امتداد البعد قناعاً يغطي
شعرياً انقباض القرب دنواً، هو الآخر،
لأنها تعلم علم اليقين أنه لن يلبي
الطلبيين المتقابلين كليهما، فإن ذلك
في عداد المستحيل، فلا يمكن له حتى
وهو يمثل طلباً من طرفٍ مقدس أن
يفعل الشيء ونقيضه في آن واحد،
الأمر الذي يضعه أمام خيار أوحده بلا
شك (الأول المضيء).



الفاعل (فعل)، فتنعّد أنماطاً هيئاتها الشكلية، لكنّ جوهرها يظلّ جوهرًا فريداً ينمو في قلبه، فيقولُ في رسمه عديداً من التصويرات، والماهيات المتألّفة أو المختلفة، تماماً كما تشكّلت وتنوعت ماهيات الأنثى عند امرئ القيس في: عنيزة، وفاطمة، وبسباسة، و.... فأثرت الشعر وأثرها النقد بعديد جهاته نحو قراءتها، لكن أنى له أن يقيّد أوابد كُنْهها، وإن تلذذ بتشعب فلوات طرادها.

ثمة تساؤل يضع استفهامه في نمطية البث الحضورى الأنثوي سابق الذكر في نصنا:

هل يمكن لهذا العنصر الذكري أن يجد لنفسه قواماً وبقاءً من عشق ووجد، إذا غيّب الطرف الآخر (الأنثى)، وما برهان تعالقه بالآخر وجوداً، في رسم بنية الإيقاع: (مفاعلتن مفاعلتن فعولن)؟؟

الجواب على هذا التساؤل يمكن عزوه إلى أن تفعيلة (فعولن) الذكرية هي في الأساس منسلخة عن (مفاعلتن) في التكوين العروضي، فأنى له أن يكون إن هي لم تكن، فلا كينونة له إلا بكينونتها، فمنها استمدّ بنيته وهيئة كيانه.

آنند يقرّ في رؤانا، أن الإيقاع الصوتي السطحي يعمّقه بعدّ تصويريّ حيّ، تخلقه التفعيلة من هيئة الصوت، ويحتضنه البيت، والنص كمجتمع شعريّ، متكامل دلاليّاً، تبادلاً وتمائلاً، انثلاًفاً واختلافاً، في أبعاد مسارات لغته في بناها الصرفية واللغوية، أو حتى الميتافيزيقية الصوتية، بعيداً عن سطح المسميات إلى بواطن فاعلية الضمائر المتحرّرة من سطوة الخارج، إلى حرية الشخوص الشعرية في خلق لحياة الكون الشعري الوليد بلغة النص، والذي يقوم على أساس ذاته

وتجري فيه أحداث التفاعل لترسم علاقاته التحاورية، أو الحديثة من وإلى الآخر، في نمطية تحيا فيها الصورة بالإيقاع، ويراقص الإيقاع بواعث الوجدان بالتصوير والتمشهد متجاوزاً وتريّات ما عند الأذن، إلى تناغم الروح، فيحيا النص في التلقي وينمي التلقي النص، وقد يتجاوز به عيش لحظاته، وكأنه شيء من مكوناته، هنا يبدو الارتباط وثيقاً بين القارئ والنص، وأن العلاقة بينهما تعدو كونها رسائل أو إشارات بين مرسل ومرسل إليه حسب، إلى علاقة تكاملية في نماء كلّ منهما للآخر، كما يرى الناقد الألماني فولفجانج آيزر: «إن النص لا يصرح لقرائه بكل شيء، وإنما هناك فجوات أو فراغات فيه ينبغي أن يملأها القارئ، ويصل من خلال ذلك إلى دلالاته وهو بذلك الأمر يسهم في تأليف النص» (٤).

بلا شك ليست تلك الفجوات مواضع نقص وقصور في النص بقدر ما هي منافذ ينفذ منها القارئ ليأخذ مكانه من النص، فهو لا يملأ كلّ حيزها بقدر ما يبرز جوانب من عميق بوحها، أو يكشف طرفاً من جميل قناعها.

(٥)

قناع التصوير الجزئي: وآلية الولوج من السطح إلى العمق

(من المحسوس إلى المعنوي):

تتجه تصويرات الـ(هي) الجزئية في النص إلى عمقه، منطلقة من مظهر السطح المتحرّر، لتنتطوي على ذاتها حاملةً آلامها، تستشرف حالة مستقبلية، تؤمنُ شعرية النص بتحقيق تمسّدها إيمان اليقين، في خطوات تدريجية تتلاشى فيها مكونات الـ(هي) بمظهرها البارز، وتتكاثف على ذاتها، روحانياً ومعنويّاً، بعيداً عن سطح مادية التكوين، كما يرى طه حسين

الحضرمي - وإن كان معرض حديثه عن العمل الأدبي برمته - «إن الحديث عن نظام الأفكار التي تشكّل العمل، هو حديث عن البنية التأليفية العميقة له، في مقابل البنية التأليفية السطحية التي يمكن تتبعها على الصعيد النفسي، أو الصعيد المكاني/ الزماني، أو الصعيد التعبيري...».

(٦)

الصورة الأولى:

ستحملُ حزنها يوماً وتمضي

تقلّبُ جمرَةً في الروح حيرى

يتدرّج التصوير من السطح، إلى العمق كما هو حال الولوج، من الشطر الأول إلى الشطر الثاني، وكأنّ السياق اتخذ العمق وجهة له هو موليتها، حتى وهو يرسم حالاً من شأنها الظهور والتبدي في بناء جملة، فإذا كانت جملة (تقلّبُ جمرَةً) في بنائها النحوي، هي حال متعلق بالفعل (تمضي)، فإنّ هذا الربط النحوي أخذ يُضمر هيئة التمشّد التي من شأنها البروز والتكشف بوجهة مساره، ومكمن حركته (في الروح)، ولم يقف عند هذا الحدّ، بل أغرقت الحال تتناسل في طريق ولوجها إلى العمق، في قوله: (في الروح حيرى)، فد(حيرى) في توصيفها النحوي حال آخر للجمرة المتقلّبة، داخل جملة الحال، لك أن تتخيل الحياة الحركية الداخلية، الأدعى للتحرّر والكشف، لكن يمنع تحرّرها مسار العمق حتى الروح، حينها نرى انطواء الـ(هي) على ذاتها يلهبه ألمٌ معنوي ووجدانيّ، يمضي بها إلى التكاثف على ذاتها، انصهاراً عن المكوّن المادي إلى معنوية التكوين وروحانيته.

لكن إذا ما ربطنا بين (حيرى) والفعل (ستحملُ) في بداية البيت، يعود الحال



الثاني يمدُّ من حياة (أنت) إلى المستقبل الثري عمودياً بمادة الجريان في خندق الحفر: (الحلم)، وأفقياً بعدد المجاري المحفورة: (ألف مجرى)، فتقدّم المعنوي على المحفور في نظم التصوير الأول: ويغدو قلبها الضوئي قبراً، كالأتي: قلبها الضوئي (معنوي) — قبراً (محفوراً)، في تسلسل من الحياة إلى النهاية (الموت)، بينما تأخر المعنوي عن المحفور، في التصوير الآخر: حفرت لحلمك، كالأتي: حفرت (محفوراً) — لحلمك (معنوي)، لأن التوالي ينتهي بالحياة على نقيص مجرى التصوير السابق المنتهي بالموت والفناء.

لكن التساؤل الذي يساور قراءتنا هو، طالما أن العلاقة بين (أنا الشعر) والـ(هي) في النص، تقوم على مبدأ: أنا الأولى وبعدي كل أنثى، أي علاقة ضرة بضرتها، وهو شعور — كما اسلفنا — تفلّنت حدته بلغة تتنافر غلظة بوجهها مع لين مقامها ومعنوية دلالتها، في التصويرين حيث يضحى القبر صورة للقلب الضوئي، ويصير الحفر درباً لفيضان الأحلام المستقبلية، فإذا كان ذلك كذلك، لم وسّمت الـ(هي)، بسمات نبيلة وحميدة كالبراءة في الابتسامة، والقلب الضوئي، و...؟! الأسطر القادمة - حين الحديث عن العنوان، حيث يكشف النص عن قناعه العام - كفيلة بأن ترخي جيم جوابها ليس على سين هذا التساؤل حسب، بل وعلى عديد تساؤلات قد صحبت تلقي القارئ للنص، بأكمله (٤).

قناع اللبس في وجهة الضمائر:

إن التكثيف المثولي للضمائر في النص، خلع عنه عبء الذوات المشخصة، انهماكاً نحو حياة النص بمستوياته التفاعلية الشعرية العميقة، التي تنغياً جهات تلك

بين الصورتين ترابطاً نمطي في آلية الإخراج التصويري، تحكمه جذّة لغوية تفلّنت في مكان اللين، والجانب المعنوي رقيق الطبع، كما سيتجلى في موضعه، ظل اتجاه التصوير في البيت الأول بأحداثه، من السطح إلى العمق، أو من المحسوس إلى المعنوي، يمثل نهجاً للنفاذ العميق والاستبطان، جازاً القارئ إلى عمق النص قراءة، وخيالاً وفكراً، بلغة لفتت وجهة التلقي نحو الولوج الوجداني، انسلالاً من السطح العياني المدرك بياصرة التصوير:

- وضحكتها البريئة سوف تمحى — ويغدو قلبها الضوئي قبراً.

(سطح، محسوس) — (عمق، معنوي).
- وهل مسحت دموعك ذات حزن — وهل حفرت لحلمك ألف مجرى.

(سطح، محسوس) — (عمق، معنوي).
يستمر الولوج في عجز البيت الأول متجاوزاً ضوء ونورانية القلب نفاذاً، إلى سواده وظلمانه التي ابتدأت، إجراء من صدر البيت بقوله: (سوف تمحى)، في نسق يتعجل الوصول لغاية المنحى الذي يسير السياق نحوه، فتمتد معه مساحة ما بين الظاهر والباطن، فأخذ ذلك التعمق باطناً يخرج المشهد من نور الضوء إلى ظلمات القبر، في هيئة بطلها البارز الـ(هي).

بينما ذهب عجز البيت الثاني: وهل حفرت لحلمك ألف مجرى، يمارس النفاذ للعمق نفسه، متجاوزاً نقطة العمق المركزية (القلب)، بآلية غير بعيدة عن تلك، في المشهد الآخر، نعني آلية (الحفر)، التي وإن تبدت قساوتها مع الملمح المعنوي، إلا أنها مدت من طاقة نفاذ التصوير عمقا، فكان الأول محفوراً ضمناً: (قبراً)، والآخر محفوراً لغة (حفرت لحلمك)، فإذا كان الحفر الأول يتجاوز القلب إلى الموت والنهاية للـ(هي)، فإن الحفر

على الـضمير (هي) المستتر في ستحمل، سينقلنا هذا الربط النحوي إلى وجهة مقابلة، فيها انسلال من عمق التصوير الروحاني، إلى سطح سردية السياق، ليلبس الخارج لباس الحيرة، الذي يستبطن قلباً على جمر اللاطمأنينة والخوف من تعدد وجهة قلب المحبوب، ليخرج السياق إلى الواقع السردى المشهود المتحرر بحركة نشطها الفعلان الحركيان (ستحمل + وتمضي)، تلك الطاقة الحركية تغذيها كوامن باطنية الإمداد المذكورة آنفاً، فيقوى أفق تحرك المشهد خارجياً، وهي تحمل حزنها، و(تمضي) بعيداً في المكان، وبعيداً في الزمان الماضي، إلى نقطة لم تكن قد وصلت إليها الآن، فمد الفعل المضارع من استمرارية المضي، إن على البعد المكاني، وإن على البعد الزماني إلى أبعد مدى، هذا الامتداد الدلالي لم يكن ليتجلى بأفعال بديلة تحل محل (تمضي)، مثل: تذهب / تمشي / ترحل...

هذا التعدد القرائي، للسياق الذي بلغ به أن يلوي ناصية الدلالات من وجهة، لا إلى وجهة أخرى حسب، بل إلى وجهة تقابلها، يطلعننا على المقام الذي وصل إليه اللبس الجهوي المشكل لمعالم القناع، الذي به تتمقن مستويات البوح الدلالي، ولا تتخفى به الدلالات، بل يتخفى به يقين بوح وجهات مراميها، ومستويات تأويلها وتلقيها، لينفتح لك في الأخير على كم ثر من المستويات الشعرية المحمولة بسياق اللغة الأوحى، البالغ حد التقابل.

الصورتان الثانية والثالثة:

وضحكتها البريئة سوف تمحى

ويغدو قلبها الضوئي قبراً

وهل مسحت دموعك ذات حزن

وهل حفرت لحلمك ألف مجرى



الضمائر، وامتدادات بلوغها قريباً وبعداً، ونواحي تقلبها في مرآة الباصرة، صانعة بيئة خصبة تتسع باتساع المقام، وتقتضب باقتضابه، وإذا أعطينا لقراءتنا مطلق التلقي نحو الجهات التي ترسمها، الضمائر الفاعلة في النص لوجدنا أنفسنا أمام مفارق طرق شتى تأخذنا إليها تلك الضمائر بجهاتها، لتضعنا أمام لبس قرائي، بقدر ما يربك وجهات خطانا القرآنية للسياق، فإنه في الوقت نفسه يثري تلك السبل القرآنية بأوجه متعددة من التأويل الثري، أنخذ يكون ذلك اللبس الذي تأخذ الضمائر فيه بنواصي قراءتنا إلى ظل ذي جهات شعب لبساً ذا قيم فنية وإن كانت تسير نحو سبيل التضييل لملاحق القناع العام الذي أخذ يتجلى كلاً، نفذنا إلى أغوار النص.

من مظاهر هذا اللبس في النص:

أَنَا الْأَوَّلُ وَبَعْدِي كُلُّ أَتَى

مَرَرْتُ بِهَا سَمَوْتُ قَهْرًا

.....

سَتَبَصِّرُ فِي قَمِيصِكَ كُلَّ لَوْنٍ

وَتَنْفُضُ شَعْرَةَ وَتَشُمُّ عِطْرًا

وَتُنْكِرُ ظَنِّهَا لِأَيَّ بَلَاءٍ

فَمَعْلُوبُ الْهَوَى بِالْعُدْرِ أُخْرَى

البيت الأول:

أَنَا الْأَوَّلُ وَبَعْدِي كُلُّ أَتَى

مَرَرْتُ بِهَا سَمَوْتُ قَهْرًا

يمكن النظر إلى البيت الأول برؤيا من بُعد آخر للضمير المستتر في الفعل الاستقبالي (ستموت)، إذا اعتبرنا الضمير العائد (أنت) وأن جملة (ستموت قهراً) منفصلة عما سبقها، وهي نتيجة، وردة فعل يمكن أن تصدر من المخاطب، إن هو أبدي اعتراضاً على الترتيب المنزلي الذي أقامته (أنا الشعر)، وهو لبس يثري أكثر مما

يضلّ، إذ يُعَدُّ زوايا عرض النص بأكثر من زاوية، وإن كانت قراءتنا تتوافق مع جهة مغايرة لهذه الوجهة الأخيرة، بإضمار (هي) في الفعل (ستموت) عائداً على قوله: كل أنتى، ومثله أيضاً:

سَتَبَصِّرُ فِي قَمِيصِكَ كُلَّ لَوْنٍ

وَتَنْفُضُ شَعْرَةَ وَتَشُمُّ عِطْرًا

يمكن أن يتضمن كل فعل من الفعلين (ستبصر + وتنفض) ضميرين، هما الـ (أنت) + الـ (هي)، وبه يمكن أن تتوكل الأفعال الفاعلة في النص على عمودين من الضمائر، صالحة لممشاها النشط، إلى أكثر من جهة، يمكن بيانها كالاتي، مع مراعاة تقدم الضمير الذي ارتضته قراءتنا:

• ستموت ← (هي) + (أنت).

• ستبصر ← (هي) + (أنت).

• وتنفض ← (هي) + (أنت).

• وتنكر ← (هي) + (أنت).

• ستحمل ← (هي) + (أنت).

• ستهديها ← (أنت) + (هي).

• ستسقط ← (أنت) + (هي).

هذا التعدد في الوجوه يوسع بدوره جهات الكون الاجتماعي للعرض في حال سريانه، وحركته، بعيداً عن سكون الوجهة وجمودها، وهو الأمر الذي عناه محمد عبد المطلب في أثناء حديثه عن الشعراء الحدائين بقوله: «ومن ثم نلاحظ إكثارهم من استخدام الضمائر استخداماً مكثفاً، وبما أن الضمير لا يستقل بإنتاج المعنى، فإن ذلك يكون أدعى لدخوله منطقة الغموض...» (٤)، وهذا اللبس يسهم بدوره في خلق ملامح تشي بتقصّد ظهور معالم القناع في النص بشكله العام، وينمط أبعاد مساقات تداوله في حيز الشعرية التي بها يمتد، وبها يقترب، وبها يتحرر من ماهية فرديته، ليتبدى في أنساق شتى.

(٧)

قناع التعريض الاستفهامي:

هل رافقتك إلى الأماسي؟

هل أسمعته للصبح شعراً؟

وهل مسحت دموعك ذات حزن؟

وهل حفرت لحملك ألف مجرى؟

بدأت الصورة محددة الملامح تتشوش ملامحها في هذا الركام من الاستفهامات المتوالية، التي توالى لتخلق في وعي الـ (أنت) المخاطب ولادة لمشاهد ماضية، تبثها فيه، لكنها وهي تقربه إلى الماضي زلفى، أخذت تخلق فيه جهات من الحيرة الاستفهامية، القائمة على إسناد أحداثٍ لغير محدثها، بحثاً عن اليقين في ازدحام الظن، وتفتيشاً عن الحقيقة التي ما تلبث أن تفصح عن المحدث أو الفاعل الحقيقي للأحداث، فيشير الإيحاء في لحظة مشوبة بالصرخة، إلى (أنا الشعر) وكأنها تصرخ قائل: (أنا) (أنا) التي لم تتجل في لغة النص إلا ضمناً، كإجابة تغذي تلك التساؤلات التعريضية إيجاباً، لكن بعد ترائيها في طرفٍ وهمي يحضر وإن من وراء قناع، لعل تلك المشاهد تعلق بوعي المخاطب فيعيش حاراتها، فتلهب جذوة الوجد الماضي من جهة، ومن جهة أخرى تصنع تلك التساؤلات لوحة يرى المخاطب كم كانت الـ (أنا) خير جليس وسمير، في نسق يلعب على الوتر العذري، بعيداً عن الحسي، كون الأول أقوى صلة، وأعذب تمشيداً، في مخيلة الذكرى، مستقصياً في بغيته تلك ملء الزمان بدورته المسائية والصباحية، في تسلسل والـ (أنا) إلى العمق:

ترى هل رافقتك إلى الأماسي؟

وهل أسمعته للصبح شعراً؟



فيها ثالثهما، حين تتلاشى الـ(هي) وتنتهي بتكشّف القناع الذي كانت تمارسه، وهي تستوعب -على مدار النص- طرفاً آخر من أطراف الحوار هو (أنا الشعر)، وبه يتلاشى حضور الضمير الغائب في النص، فلا يتحصص سوى ضميرين حسب، هما: (أنا + أنت) وهي الخلوة المرجوة.

إليك تفصيل ما أجمل، معلوم أنّ النص افتتح التبادل الحوارى بشخص ثلاثه، المخاطب (مُشاهد) والـ(هي)؛ الحبيبة الأخرى (المرأة العاكسة)، وأنا الشعر (المتحدثة) (الصورة المنعكسة عن المرأة) الناتجة عن مجموع التعالق بين المخاطب والـ(هي)، على سبيل المثال في التراكم الاسـتفهامي التعريضي، الذي يسـلخ فيه التعريض (الأنا) عن الـ(هي) وهي صورة من صور قناع الـ(هي) للـ(أنا).

إنّ ممّا يوعز بمثول (أنا الشعر) انعكاساً من مرآة الـ(هي) الأخرى الخيالية -كما وسمها النص- أنك وأنت تقرّ أوصاف هذه الأخرى تشعر بانثيال عذب من الوجد تخبئه اللغة في انعطافات حروفها، وإن لم تمدك به بوحاً صريحاً من دلالات، وكأنّ الأنا الشاعرة تسكب ذاتها في لغة تعبئوها عن (صرتها) الأخرى من حيث لا تبوح أو تصرّح، في حالة من التلبس الأنثوي للحظة الصادقة، وهكذا مشهد، ولك أن تتقيا ذلك في تراكيب مثل:

ستحمل حزنها يوماً وتمضي / تقلّب جمرة بالروح حيرى / وضحكها البريئة سوف تمحى / ويغدو قلبها الضوئي قبراً / قصيدتها ستهديها سواها / ستسقط سطرها لتضيف سطرًا...

كل ذلك الوجدان المنسكب يشعرا ونحن نقرأ الأبيات أنّنا نقرأ الذات الشاعرة لا صرتها، وما هذا الشعور إلا لحظة وليدة عن ذلك التلبس

فتنجر خيوط اللغة التصويرية والسردية، نحو القرب فالتماهي حتى الاستبطان، كما جسدت ذلك مراحل متتالية نحو الولوج سابقة كالآتي: ستبصر في قميصك كل أنثى وتنفّض شجرة ← وتشم عطرا ← وتكرّظنها.

(مرثي) ← (محسوس) ← (مشموم) ← (مدرك).
أو التسلسل المتوالي نحو الباطن: (رافقتك - بصري) ← (أسمعتها - سمعي) ← (مسحت - محسوس) ← (حفرت لحلمك - معنوي، وجداني).
تلك اللغة تشدّ خيوط النص عمقا بشكله العام، وتأطر محيطه انقباضا نحو المركز، علاوة على تراكيب حوت أبياتاً بأكملها جسدت هذا التوجه، بسط فيها الحديث سابقاً، تحت عنوان: قناع التصوير الجزئي: وآلية الولوج من السطح إلى العمق (من المحسوس إلى المعنوي).

لكن الأمر الذي من أجله تأخر الحديث عن العنوان هو تركيب العنوان نفسه، إذ به يصل النص إلى كشف قناعه العام، والأشمل، لتقمّصه صورة العنوان الذي يعنون النص كاملاً، وهو مسار يتفق ووجهة الانطواء والانقباض التي أخذ النص يمارسها، حتى وصل في نهاية الأمر إلى إسقاط قطب أصيل من أقطاب الحوار الثلاثة في النص، في مساره نحو تضيق النطاق الاجتماعي، والذي يصحب معه تمكين القرب بين القطبين الخالدين خلود حياة النص، فإذا كانت الأقطاب الثلاثة التي تمثل شـخـوص النص هي (المخاطب / الأنت) + (المتحدثة / الأنا) + (الغائبة / الـهي)، فإنّ هذا المجتمع سيسقط عنه قطبه الأخير الـ(هي)، وبه يصنع النص الخلوة المبتغاة بين (أنا + الـأنت)، التي يكون الوجد

ثمة تلاحم أكيد لا ينفصم يقود إليه ذلك التسلسل المتعمّق يتبدّى من التركيب الإضافي (رافقتك) + (أسمعتها)، ثم الولوج إلى محيط أضيق نطاقاً نحو الاقتراب والالتقاء لتخفيف الآلام: وهل مسحت دموعك ذات حزن؟

وهل حفرت لحلمك ألف مجرى؟
ثم الإغراق في الولوج العذري الأعـمـق، إلى حيث الإسهام في صنع الأحلام، لتأمين مستقبل العشق، بكل الوسائل المتاحة: وهل حفرت لحلمك ألف مجرى؟ يتجلى ذلك التسلسل من بنى أحداث الاستفهامات السابقة، كالآتي: (رافقتك - بصري) ← (أسمعتها - سمعي) (مسحت - محسوس) ← (حفرت لحلمك - معنوي، وجداني).

ما انفكت تتكرر مراحل الولوج نحو عذرية الوصال، فهي أعذب اللقاءات التي لا يطفئ جذوة الاشتياق إليها وصال محسوس.

فالحديث (أسمعتها) وإن تبدت فيه فاعلية المخاطب، إلا أنّ شعرية السياق سلّبت فاعليته الحقّة، وأسندتها إلى الـ(هي)، لأنّها باعث الشعر الأساس، فإن قيل: -هذا الشعر - إلى الصباح فلأنّها كانت غداء شعرية ومادته الثرة، المادّة له ولظرف زمانه، وما المخاطب إلا عاكس إليها صدى البوح الصادر عنها، لأنّها كانت حقلاً سانحاً بكل مفاتنه، يتنقل فيه ويقطف منه مواد شعره أنثى يشاء.

(٨)

العنوان (قلبها الضوئي): الـ(هي) قناع لـ(أنا الشعر):

على غير المنهجي في الدراسات النقدية، تأخر الحديث عن العنوان في قراءتنا، حتى الختام، لغاية في نفس مسعاها، مر معنا في المراحل السابقة من القراءة أنّ ثمة انطواءً، أو توجّهاً في لغة النص عن سطحه نحو باطنه،



الوجداني عظيم الأثر، الذي تتركه فينا تعابير كهذه، ويشدّ عود الإحياء نحو طلع اليقين حين يمثل عنوان النَّص (قلبها الضوئي) من هذه اللحظة التلبسية آنية الأثر الصادم الصادر عن الأخرى، فهذه الهاء المضافة إلى (قلبها) في العنوان تجرّد من الأنا أخرى غائبة (هي) (o)، على صعيد لغوي ظاهر، لكن القلب فيها يضمّر كلّ الضوء العائد بكل أشكال المنطق على (أنا) الشعر، فتكون الـ(هي) قناعاً يبطن خلفه الـ(أنا)، وإن أسرها الشعر في جوفه فعلامحها في اللغة مبثوثة، فينتج من هذا التتبع القرآني قناعان مصاحبان لهذا القناع آنف الذكر، هما الغائب قناعٌ للمتكلّم، ومنه البعيد قناعٌ ظلّ يمارس غطاءه في النَّص على القريب، والسطح قناعٌ للباطن كما تجلّى في تركيب: (قلبها الضوئي) وكثير ما هي من تراكيب أخرى.

فإن كان تركيب: (قلبها الضوئي) قد تضمّن الـ(هي + الأنا) في لحظة تلاحمية آنية ينازعها احتمال خيانة الحبيب فإن الأخرى خرجت من دائرة الضوء، إلى ظلام القبر، وعن الضحكة المشعة إلى أمحاء ألق البراءة منها: وضحكها البريئة سوف تُحى

ويغدو قلبها الضوئي قبرا لتبتعد بالتوصيف بعيداً عنها، شادةً في وجهتها (الأنا الشاعرة) لتتربّع على سماء الضوء، فتكون هي العنوان: (قلبها الضوئي)، فإن يكن أسلوب الغائب قد أبعد الـ(هي) فإنه قد مدّ المجال لحضور نديّ لـ(أنا الشعر)، أو لكشف القناع العام للنص، (الـهي قناع لـالأنا) والذي مهدت لتجليه أقمّنة صغرى ذكرت في مساق الدراسة سابقاً. فهذه المرأة (الأخرى) وإن ملأت شجون النص، وأرست أبعاد إجرائه،

اختلقتها لغته مادةً آفاق تجلياته فرصاً، أو إيهاماً للوصول إلى النتائج الحتمية، تعاماً كافتراض يبدهه رياضيّ لحلّ معادلةٍ ما، من أجل الوصول إلى النتيجة الغائبة، التي لا تتعدّد، ولك أن تغذّي هذا التوجّه القرآني بوهمية الأخرى وتمقنعه، وأنها ليست إلا مرآة فاحصة، وليس للمخاطب الـ(أنت) من علاقتها شعرة ولا عطر، فوق ما مرّ، بكونها هي الماثلة والمبادرة في مرادوات اللقاء الوهمي، المبرر لـ(أنت)، قال النص:

طرقتَ خيالها، ولم يقل: ← طرقتَ خيالكَ.

وقال:

مررتُ ببالها، ولم يقل: ← مرّت ببالكَ. حتى وإن أوهمك إسناد الحدث إلى المخاطب في الفعلين (طرقتَ) و(مررتَ)، فإنه تضليلٌ يجري في أسلوب وجهة القناع، وإلا فالحدثان معنويّ - من وراء تلقائية اللغة - يُسندان إليها، أي الأخرى الـ(هي)، تتبدّى تلك الحبيبة الأخرى محض خيالات، يرسم النص احتمالات مثولها الفانية، أمام الحب السرمدى الذي قد يبتعد فيه المتحابان، لكن جذوته لا تخبو بل يزيدها البعد اشتعالاً.

وحسينها نعي فعلا كم هي معطيات البيت الختامي للنص:

أقلني من هواك وعشٌ وحيدا

فلستُ أطيقُ بعدَ اليومِ صبرا

ليست سوى مكونات قناع لمجريات البيت القائل:

أضئني شمعةً في كفّ ريحٍ

لأنّي في هواك أضأتُ عمرا

كما مرّ معنا سابقاً في موضعه، ولك أن تتبّع خطا تكشف القناع العام في النص (الـهي قناع لـأنا) حين تتمرّحل مع التوالي، بعد كثافة الأسلوب

الاستفهامي سابق الذكر في عددٍ من الأبيات، التي تكثف حضور الـ(هي) فيها: هل رافقتك/ هل أسمعتها/ هل مسحتُ/...

يليه ثلاثه أبيات:

شهّي الظلم والشبق المعمى

أترهدُ في التي وهبتك عمرا

أضئني شمعةً في كفّ ريحٍ

لأنّي في هواك أضأتُ عمرا

.....

قليلٌ من ضمير البحر يكفي

ليحضن موجةً في البحر تعرى

انثال حضور الـ(هي) في أبيات الاستفهام

التعريض، ومنها:

أترهد في التي وهبتك عمراً؟!

بلفظة (وهبتك) هنا أخذت الـ(هي) تقترب خطوات نحو الإفصاح والبوح بأنّها الـ(أنا)، فتكون مرحلة: (وهبتك) مرحلة برزخية، تمهّد لفلق الـ(أنا) من الـ(هي)، التي صدح بعد ذلك بفتك رتقها البيت التالي مباشرة، وتخليصها من أي علائق قد تربطها بالـ(هي) الأخرى، حين تحصصت فيه بأنّها الـ(أنا)، إذ يجري السياق عن الأنثى ذاتها ملتفتاً عن أسلوب الغيبة في (وهبتك) إلى التكلّم (الأنا) بثلاث صرخات في: أضئني/ لأنّي/ أضأت، فتحضر الأنا -بعد ذلك الظهور الكثيف في بداية النص- هنا حين آن وقت انكشاف القناع.

يظلّ السياق منتهجاً أسلوب التكاثر على نفسه نحو الانقباض والعمق، لعلّه التوجّس من انفتاح المساحات وامتداد البين بين القطبين الرئيسين في النص: (الأنثى) و(الأنا)، فظلّ هذا التوجّس هاجساً رتيباً، لا تتفرّق عنه سبل السياق، وإن أوعزت بتعدّد جهاتها أحياناً، ما تلبّث أن تعود



موجة (عمق) ← تعرى (سطح) → ضمير البحر (عمق).

أي عودة المحضون إلى حاضنه الأصل الذي منه خرج، وليس احتضان الآخر الدخيل.

فإن ابتعدت هذه الموجة حيناً بـمـد، فإن طبيعة البحر تُوجب بعد المد جزراً، فمهما ابتعدت آفاق مساراته (أفقياً) فإن الجزر يكثفها حضوراً إلى مركز ذلك الأفق، والعمق يبطئها حتى الضمير، فالبحر في التصوير الاستعاري الصريح هو الـ(أنت) بواسع عطائه الوجداني، وما هذه الموجة المفردة (ال أنا) إلا حالة بهذا القلب (ضمير البحر)، منه خرجت في ظن الشعر بوجهات أخرى تلوح في أفق الـ(أنت)، لكن التصوير هنا، ينسكب بها لتعود موجة إلى أحضان ضمير ذلك البحر، حتى على أبعد احتمال أنها ليست الوحيدة التي يستوعبها ذلك الضمير -في سريان توجس الشك بالأخرى- فهي بذلك تقدم أعظم التنازلات في سبيل الخطوة به، وهو الأمر الذي يُستشف من الشطر:

(قليل من ضمير البحر يكفي).

فهي ترضى بأن تشغل ولو حيزاً من ذلك الضمير، وإن لم تتفرد به، وهو أمر بقدر ما يوضح شدة الحب الذي تكنه له، أيضاً يبين مدى قوة الشك والريبة تجاه حبها الذي تحاول بدلاً من أن تفقده أن تحظى منه ولو بنصيب، فلا عاصم لها يعصمها من تيه الهوى إلا ذلك الضمير (قلب الـ أنت)، ولا ملجأ لها منه إلا إليه.

إذن يسقط القناع في الأخير، أو بالأحرى يتكشف عن جوهر وجه غائب فيحضر، وآخر حاضر فيتلاشى، تماماً كما هو التلاشي بالاستبطان إلى أغوار النص، في وجهة القرب، حتى وصلت غاية ذلك القرب والولوج النصي -الذي

الإنسانية البحتة، لذا تجردت هذه الشخوص عن التسميات فاسحة المجال للضائمر أن تلج إلى عمق تلك اللغة التصويرية الوجدانية المتماشية وسبل التعق الشعري، إلى المعنوي عن المحسوس، والعميق عن السطحي، تلك حالة استوعبتها نمطية مغايرة من التصوير البحري الذي تنسكب فيها أجزاء تكوينها، فهي وإن تجلّى بعدها الأفقي في كلمة (البحر) إلا أنها، أخذت تتراءى في النمط الرأسى المستبطن، لكن بمسارين متقابلين من السطح إلى العمق، ومن العمق إلى السطح، على خلاف التصويرات السابقة التي انتظمت في اتجاهها من السطح نحو العمق:

قليل من ضمير البحر يكفي

ليحضر موجة في البحر تعرى

التصوير في طلب الـ(هي):

ضمير البحر (عمق) موجة في البحر تعرى (سطح). ←

لكن هذه الوجهة ليست هي غاية التصوير بقدر ما هي مرحلة من مراحل تمشده، لأننا إذا ما تتبعنا خطاه، سيلوي هذا السياق التصويري نواصي تتبعنا عائداً إلى العمق، حين يحتضن ضمير البحر (عميقه) هذه الموجة ويلبسها ستر الاحتواء من عراء الهواء، فتضحى وجهة المسار التصويري كالآتي:

التصوير في تلبية الطلب من الـ(أنت):

موجة في البحر تعرى (سطح) ضمير البحر (عمق). ←

وبقليل من التأمل في هذا التمرحل، يبادرنا تساؤل، أليست هذه الموجة العارية خرجت أساساً من البحر قبل أن تعرى؟!

فيكون النسق التراتبي لتواليها على النحو الآتي:

ملتزمة المسار نفسه، كما هو جلي من تحول نمط التصوير عن البعد الأفقي في حركة جريان أحداث الصورة وتمظهرها في:

أضني شمعة في كف ريح

لأني في هوائك أضأت عشر

(كفر ريح) (أضأت عشر) (امتداد أفقي).

إلى المدى الرأسى، العميق:

قليل من ضمير البحر يكفي

ليحضر موجة في البحر تعرى

(ضمير البحر) (ليحضر) ← (امتداد رأسي).

لك أن تخوض في هذا التصوير الذي حواه البيت الأخير هنا، لتعي كم هو المسار العمودي نحو الباطن، يظل غارراً نفاذه إلى أغوار النص، وإن امتد حوله مدى أفقي بسعة البحر، لذا تراه القراءة وفق منهج الاستبطان الذي يجمع معه المسار الأفقي والاتجاه نحو الداخل، تراه بيت القصيد في هذا النص، لتحقيقه ما لا يستطيع سواه من الأبيات، أن يجليه، ولأنه الأقدر تصويراً على الإطلاق:

قليل من ضمير البحر يكفي

ليحضر موجة في البحر تعرى

كل تلك الماهيات التي بها يتجه مسار السياق نحو باطن النص، وإبراز جوهر القناع الذي أظهر الـ(أنا) الشاعرة في فردية انبثقت عن عمق النص، ليس لأنها تبحث عن ذاتها لذاتها، بل لأنها تسعى إلى خلوة اللقاء متجهة إلى عمق آخر عكسي الوجهة عن العمق الذي تكشفت عنه، متجاوزة حد القرب والخلوة الجسدية بالمخاطب، إلى غاية التوحد والتماهي الوجداني، الذي به يصيران مكوّنًا موحداً من الوجد، يحتويها فيه باحتوائه إلى أعماق أغواره، ومكمن الوجد (القلب)، بعيداً عن مادية تكوين الشخوص بسمتها



ظلّ مصاحباً لجريان أحداثه سرداً
وتصويراً- إلى جوهر الذات المتحدثة
نفسها، التي تلعب في نهاية الشعر
وظيفة الممسك الأوحـد بخيوط كون
النّص، في تكاثف سياقي نحو الـ(أنا)
التي كشفت عن نفسها يقيناً بعد ظنّ،
وقرباً بعد بُعدٍ، وتكلّماً بعد غيبةٍ،
وباطناً بعد سطح، ووجهاً بعد قناع،
وفي الأخير: (أنا) بعد (هي).

النّص :

قلبها الضوئي (٦)

حببتك الأخيرة محض أخرى

طرقت خيالها وأدّرت ظهرها

أنا الأولى وبُعدي كل أنثى

مررت ببالها ستموت قهراً

عليك ذنوبها إن كنت تدري

ومثلك بالهوى المجنون أدرى

ستبصر في قميصك كل لون

وتنفّض شعرة وتشم عطرا

وتنكر ظنّها لأيا بلأى

فمغلوب الهوى بالعدر أخرى

ستحمل حزنها يوماً وتغضي

تقلب جمرة بالروح حيرى

وضحكيتها البريئة سوف تمحى

ويغدو قلبها الضوئي قبرا

قصيدتها ستهديها سواها

ستسقط سطرها لتضيف سطرًا

ترى هل رافقتك إلى الأماشي ؟

وهل أسمعته للصبح شعرا

وهل مسحت دموعك ذات حزن ؟

وهل حفرت لحلمك ألف مجرى ؟

أنتقلها طقوسك دون شكوى ؟

أعجبها مذاق البن مرّا ؟

شهبي الظلم والشبق المعنى

أنزهد في التي وهبتك عمرا ؟

أضني شمعة في كفّ ريح

لأنّ في هواك أضأت عسرا

قليل من ضمير البحر يكفي

ليحضن موجة في البرد تعرى

سيترك الزمان بلا رفيق

تجرّجر خيبة في الدرب كبرى

وتنسأك النساء كأى ماضٍ

كأنك ما صنعتَ هنّ ذكرى

متى ما جئت تسألهنّ وصلا

ضحكن شاته وصفحن ذكرا

تحنّ للحظة عمياء فيها

بخصر غريرة أشعلت جعرا

أقلني من هواك وعش وحيدا

فلست أطيق بعد اليوم صبرا.

الهوامش:

(*) عائشة الخطّاب، شاعرة أردنية.

١- ينظر: شذا العرف في فن الصرف، ص ٥٥.

٢- نقلًا عن: في مناهج النقد الحديث، ص ٥.

٣- مجلة حضرموت، ص ٢٢ العدد (الرابع والخامس) يناير - ديسمبر ٢٠١٠م.

٤- البلاغة العربية قراءة أخرى، ص ٨٣.

٥- التجريد: هو أن يجرد المتحدث من ذاته ذاتًا أخرى يخاطبها، كقول جرير: تبيت ليك ذا وجد تخامره *** كأن في القلب أطراف المسامير

٦- ديوان ييكيني المغيب، ص ٣٥.

مراجع البحث:

- أقتنة النّص، سعيد الغانمي، ط (١) ١٩٩١م، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

- الالتفات في شعر جرير، زهير برك الهويل، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة حضرموت للعلوم والتكنولوجيا، حضرموت، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.

- البلاغة العربية، قراءة أخرى، د. محمد عبدالمطلب، الشركة المصرية العالمية

للنشر - لونجمان، مصر.

- تجليات الخطاب الأيدلوجي، د. طه حسين الحضرمي، مجلة حضرموت، العدد (الرابع والخامس) يناير - ديسمبر ٢٠١٠م.

- ثنائية (الأنا) والآخر في نونية المثقّب العبدى، د. عبد الله حسين البار، ط (١)، عام ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م، مركز عبّادي للدراسات والنشر، صنعاء.

- جماليات الأسلوب، الصورة الفنية في الأدب العربي، د. فائز الدايدة، ط (٢)، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق.

- ديوان ييكيني المغيب، الشاعرة عائشة الخطّاب، ط (١)، ٢٠١٥م، دار العروبة للنشر، الأردن.

- السيميائية، أصولها وقواعدها، ترجمة: رشيد بن مالك ومراجعة وتقديم: د. عز الدين المناصرة، د. ط، ٢٠٠٢م، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر.

- شذا العرف في فن الصرف، أحمد الحملاوي، دار البارودي.

- الصورة بين البلاغة والنقد، د. أحمد بسام ساعي، ط (١)، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، المنارة للطباعة والنشر، دمشق.

- ضمن الوجه، تكشفات قرآنية في خصوصيات شعرية يمنية: د. عبد القادر علي باعيسى، ط (١)، ٢٠٠٤م، مركز عبّادي للدراسات والنشر، صنعاء، دار حضرموت للدراسات والنشر، حضرموت.

- في معرفة النّص، يعنى العيد، ط (٣)، ١٩٨٥م، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

- في مناهج القراءة النقدية الحديثة: د. عبد القادر علي باعيسى.

- في النّص الأدبي، دراسة أسلوبية إحصائية: د. سعد مصلوح، ط (١)، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، مطابع دار البلاد، جدة.

- كوسمولوجيا اللغة الشعرية: د. أحمد سعيد عبيدون، ط (١)، عام ٢٠٠٦م، دار حضرموت، حضرموت.

- محاضرات في النقد الحديث، د. أحمد سعيد عبيدون، (مخطوط).



من قضاة المكلا

(١١)

الشيخ القاضي محمد بن عبدالله باجنيد



اسمه:

هو الشيخ العالم الفاضل القاضي محمد بن عبدالله بن سعيد بن عبدالله بن سعيد باجنيد الكندي الحضرمي الدوعني.

ضبط باجنيد:

(جنيد): بضم الجيم، وفتح النون، وإسكان الباء؛ كزبير: تصغير (جند).

نسب وأسرة آل باجنيد:

بيت آل (باجنيد) من الأسر الفاضلة العريقة في وادي (دوعن)، ويرجعون في النسب إلى (كندة)، هذا هو المشهور، قال ابن جندان، (ت ١٣٨٩ هـ): «(آل باجنيد) من سكان حريضة، وبلدان الدوعن، أصحاب الحرثة، والصق في الأسواق، ومسكنهم في الأصل في بادية الأحقاف: من بني شبيب بن أشرس بطن من السكون من بطون كندة» (١).

وقيل: يرجعون إلى (مضر) ذكره العلامة ابن عبيدالله السقاف، (ت ١٣٧٥ هـ) في (الإدام) عن السيد أحمد بن محمد المحضار، (ت ١٣٠٤ هـ) (٢).

ولعل السيد أحمد المحضار نسبهم إلى الصحابي: (جنيد بن سميع المزني)، قال شارح القاموس: «ومزينة كجهينة قبيلة من مضر» (٣).

وينبغي التفريق بين (باجنيد) وبين (بن جنيد)، فـ(آل بن جنيد) هم من المشايخ آل باوزير، يسكنون (رحبة بن جنيد)، أما (آل الجنيد) فهم من السادة الأشراف آل باعلوي، و(آل الجنيد) على قسمين: منهم سادة أشراف، ومنهم غير ذلك (٤).

أماكن آل باجنيد:

وسائر أعمالها بأيدي آل باجنيد» (٥). وفي (الشامل) للعلامة علوي بن طاهر الحداد: «ثم (مطروح) فيه المشايخ آل باجمال، والقثم، وآل عفيف، وباسويد، وباجنيد» (٦)، وفيه: «ثم الجبيل في الجانب القبلي، ثم ذكر أن فيه آل باجنيد» (٧). وقال ابن جندان: «آل باجنيد من سكان حريضة، وبلدان الدوعن... ثم قال: ومسكنهم في الأصل في بادية الأحقاف» (٨).

قال العلامة ابن عبيدالله السقاف في (الإدام): «وآل باجنيد منتشرون في (رحاب)، و(هدون)، و(الجحي)، و(المكلا)، و(عدن)، و(الحجاز)، ومثراهم بالخرية، حتى لقد روي عن الحبيب حامد بن أحمد المحضار أنه قال: دخلت الخرية، فإذا عالمها باجنيد، وقاضيها باجنيد، وتاجرها باجنيد، ودالها باجنيد، وقصابها باجنيد، ونجارها باجنيد،



محسن علوي أبوبكر باعلوي



90

العدد (12)

إبريل

يونيو

2019م

من اشتهر من هذه الأسرة:

قال ابن جندان: «وبيت باجنيد بيت الصّلاح والتّقوى» اهـ (٩)، وقال العلّامة علوي بن طاهر الحداد (ت ١٣٨٢ هـ) في كتابه (الشّامل): «كبيوت الفقهاء المشهورين بالفقه، وإن اندرست أخبار أفرادهم، مثل: آل باجنيد، وآل باشيخ، وآل باحويرث» (١٠)، وقال في موضع آخر: «وكان في بيت آل باجنيد قُضاة، وفي مواليتهم» (١١)، وقد اشتهر منهم جماعة، فمنهم:

١- الفقيه علي بن عبدالمجيد بن عمر باجنيد، توفي بالخريبة سنة (٩٠٤ هـ)، ذكره ابن جندان (١٢).

٢- والفقيه القاضي سعيد بن عبد الرحمن باجنيد من قضاة دوعن، له مجموعة من الأحكام، منها حكم في إقرار (آل باحكوم) بأن (غيشة مشرهة) وقفها جدّهم محمد بن سعيد باحكوم على أولاده الذكور، وقد شهد على الحكم وصّححه السيّد حسن بن شيخ البيتي، والشيخ عبد القادر بن عمر باعشن، وهو - يعني القاضي سعيد باجنيد في رتبة مشايخ الشيخ أحمد محمد باشميل على ما سيأتي بيانه فيما يليه.

٣- وابنه الفقيه القاضي عبد الرحمن بن سعيد باجنيد، كان قاضياً بدوعن، ذكره الشيخ عبد الله بن سعيد باجنيد في فتوى له في النّذر لبعض الأولاد، وذكر أنّه كان من المصحّحين لفتوى الشيخ أحمد محمد باشميل، (ت بعد ١٢٧٠ هـ) (١٣) في بطلان النذر في الحال المذكور، وهذا يعني أنه من أقرانه.

٤- الفقيه القاضي: عبد الله بن عبد الرحمن باجنيد، وقد جاء في وثيقة حكومية مخطوطة ما نصه: «جاء آل باحكوم، وهم.... وأحضروا خطوطهم بقلم القضاة آل باجنيد: الفقيه سعيد بن عبد الرحمن، وولده الفقيه



السهم يشير إلى بيت الشيخ/ محمد عبدالله باجنيد بجانب مسجد عمر

ولعلّ صوابه: عبدالله بن سعيد باجنيد الآتي، فأخطأ في التسمية، والله أعلم.

١٠- والقاضي الفقيه عبدالله بن سعيد باجنيد، (ت ١٣٥٩ هـ)، وهو والد القاضي محمد المترجم له، ولي قضاء دوعن، والمكلا مرات (١٨).

١١- وابنه القاضي سعيد بن عبدالله باجنيد، (ت ١٤٢٣ هـ)، وهو أخو القاضي محمد المترجم له، ولي القضاء بدوعن (١٩).

مؤيد الشيخ القاضي محمد عبدالله باجنيد:

وُلد الشيخ القاضي محمد باجنيد سنة (١٣٢٠ هـ) ببلدة (جَحي الخنابشة) من قرى وادي دوعن الأيسر.

صفته:

كان رحمه الله طويلاً، صافي البشرة يقرب من الاسمرار (٢١)، يتمايل في سيره ومشيته (٢٢)، وكان رجلاً هادئاً (٢٣) اجتماعياً واسع الصدر، رخي البال يجالس ويحب البسطاء، لا يمل من مجالسة الناس، فيجلس معهم بعد الدرس في مسجد عمر، ثم يأتون إليه في البيت ويجلسون معه، ومما يُذكر من سعة صدره أنّ رجلاً كبير السن من آل بازباد ومن رواد مسجد عمر انتهره، وأغلظ له القول في الدرس، ولكنه خرج هو وإياه سويّاً من المسجد يتحدثان كأن لم يحدث شيء (٢٤).

عبد الرحمن بن سعيد، والفقيه عبدالله بن عبد الرحمن فيما يتعلق بوقف (غيشة مشرهة)... الخ (١٤).

٥- والفقيه أحمد بن عبد الرحمن باجنيد، توفي سنة (١٣٣٠ هـ) (١٥).

٦- ومفتي الشافعية بمكة الفقيه: عمر بن أبي بكر باجنيد، (ت ١٣٥٤ هـ)، وهو من علماء الخريبة كما في (إدام القوت) لابن عبيد الله السقاف (١٦).

٧- والقاضي محمد بن عمر بن أبي بكر باجنيد، ولعله ابن القاضي السابق، كان قاضياً بدوعن سنة (١٣٢٩ هـ)، كما يُعلم من وثيقة له مخطوطة في المعيان الذي هو شُفة للمسلمين في دوعن، وذكره القاضي عبدالله بن سعيد باجنيد، (ت ١٣٥٩ هـ) مؤيداً له في نفس القضية.

٨- والقاضي محمد بن عبد القادر أبوبكر باجنيد كان من علماء المكلا، رأيت له وثيقة نذر كتبها، وشهدها في ١٧ شعبان سنة (١٣٢٩ هـ)، وشهدها

الشيخ سالم بن أبي بكر بن عبدالله باسودان، والسيّد محمد بن علوي البار، واحتمال أن يكون ما صدر منه على جهة الحكم، والله أعلم.

٩- والقاضي عبدالله بن محمد باجنيد قاضي المكلا، ذكره علي بن أحمد بن حسن العطّاس في ترجمة والده (١٧)،



منزل الشيخ القاضي محمد بن عبدالله باجنيد

انتقاله إلى المكلا وتوليّه القضاء بها:

بعد إكماله الدراسة بالأزهر الشريف عاد إلى بلده حضرموت، وانتقل إلى المكلا حاضرة حضرموت، والتي سكنها والده من قبل: قاضي المكلا الشيخ عبدالله باجنيد، (ت ١٣٥٩ هـ)، وكان للشيخ عبدالله بيت في الحارة، وسكن الشيخ محمد أولاً ببيت بجانب مسجد النور، ثم بنى له بيتاً قرب مسجد عمر (٣٤).

وذكر أنه لما جاء من مصر أتى ومعه نقود كثيرة قيل: إنه جمعها في أثناء دراسته بالأزهر (٣٥)، وأدخلت شهادته الأزهرية على السلطان عمر بن عوض القعيطي، (ت ١٣٥٤ هـ)، ثم بعد ذلك أدخل على السلطان عمر فوافق على توليه القضاء بالمكلا، وتوظف في سلك القضاء في سنة (١٩٣٢ م) (٣٦)، أي بعد تخرجه من الأزهر بنحو سنة.

الراتب، فقال له: يا بوعسكر (إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) (٣٩).

وكان رحمه الله كثيراً ما يُردّد عبارة: (حيّاك الله وبياك) (٣٠)، وتبدو على لسانه لهجة أهل بلده دوعن، وكان يحب الشّاهي الحار، يشربه بعد صبه من القارورة مباشرة (٣١).

طلبه للعلم وشيوخه:

طلب العلم على والده الشيخ القاضي: عبدالله بن سعيد باجنيد، (ت ١٣٥٩ هـ)، ثم سافر إلى أرض مصر، والتحق بالأزهر الشريف وتخرج منه سنة (١٣٤٤ هـ)، متحصلاً على (شهادة الأزهر العالمية للغرباء)، وذلك في ٢٠ ربيع ثاني سنة (١٣٤٤ هـ) (٣٢) وسنّه حينها أربع وعشرون سنة، ثم درس فيه أربع سنوات أخرى تبدأ من سنة (١٣٤٧ هـ)، وتخرج سنة (١٣٥١ هـ) الموافقة لسنة (١٩٣١ م) (٣٣).

ومع سعة صدره للناس فإنه كان سريع الانتقاد لا يصبر على رأي المخالف في مسائل العلم، ومما يُذكر في ذلك أنه في سنة (١٣٥٧ هـ)، خسف القمر في رمضان ليلة السادس عشر، فقرر الشيخ عبدالله بكير في درسه أن خسوف القمر ليلة السادس عشر لا يعارض شهادة الرؤية، ولا يكذبها، وأن الأئمة الأربعة اتفقوا على عدم اعتبار الحساب في إثبات الأهلة، فاعترض عليه الشيخ محمد باجنيد في أثناء الدرس بقوله: إن ما قررتموه لا يقره الشرع، ولا نقره، وليس مطابقاً لقواعد الشرع... إلخ ما قاله، وقد ردّ عليه الشيخ عبدالله بكير برسالة سماها: (حلّ القيّد عمّا استعصت معرفته على باجنيد) (٣٥).

ولمّا سافر رحمه الله إلى السعودية اعترض على بعض العلماء في الحرم، وأثبت له عكس ما قرره في الدرس، وبين له أنه خريج الأزهر، ثم ذهب إلى البيت، فجاءت الشرطة، وأخذت ابن عم له بنفس الاسم (محمد باجنيد)، ثم سوّيت القضية (٣٦).

وكان رحمه الله جهوري الصوت، فعندما كان يؤم الناس، ويقرأ كان في صوته ضخامة، وفي الوقت نفسه كان إمام مسجد الروضة السيد حفيظ المقدي رقيق الصوت حسنه (٣٧).

وكان رحمه الله مرحاً يُورد في درسه النكت والطرائف، وذكر لي شيخنا سعد باشكيل أنه حضر عنده يوماً درساً في (رياض الصالحين)، فذكر حديث «رُؤسهن كأسنمة البخت» (٣٨)، فقال الشيخ محمد باجنيد: (وعلى عينك يا حاسد)، ومن الطرائف أيضاً أن بواب مسجد عمر الذي يفتح المسجد قبل الفجر، ويقال له: (بوعسكر)، كان قبل الفجر يقرأ في راتب الحداد، وكان صوته كبيراً يوقظ الناس عند قراءة



92

العدد (12)

إبريل

يونيو

2019م

الأعمال الوظيفية التي تولّاها:

١- تولّى القضاء بالمحكمة الشرعية بالمكلا:

توظّف أولاً رحمه الله بالمحكمة الشرعية بالمكلا سنة (١٩٣٢م) في عهد السلطان عمر بن عوض، وكان مساعده في فترة الشيخ أحمد بن عبد الرحيم باعباد أحد طلبة السيد محسن أبي نمي برباط الغيل (٣٧).

٢- تولّى القضاء بمحكمة الشجر:

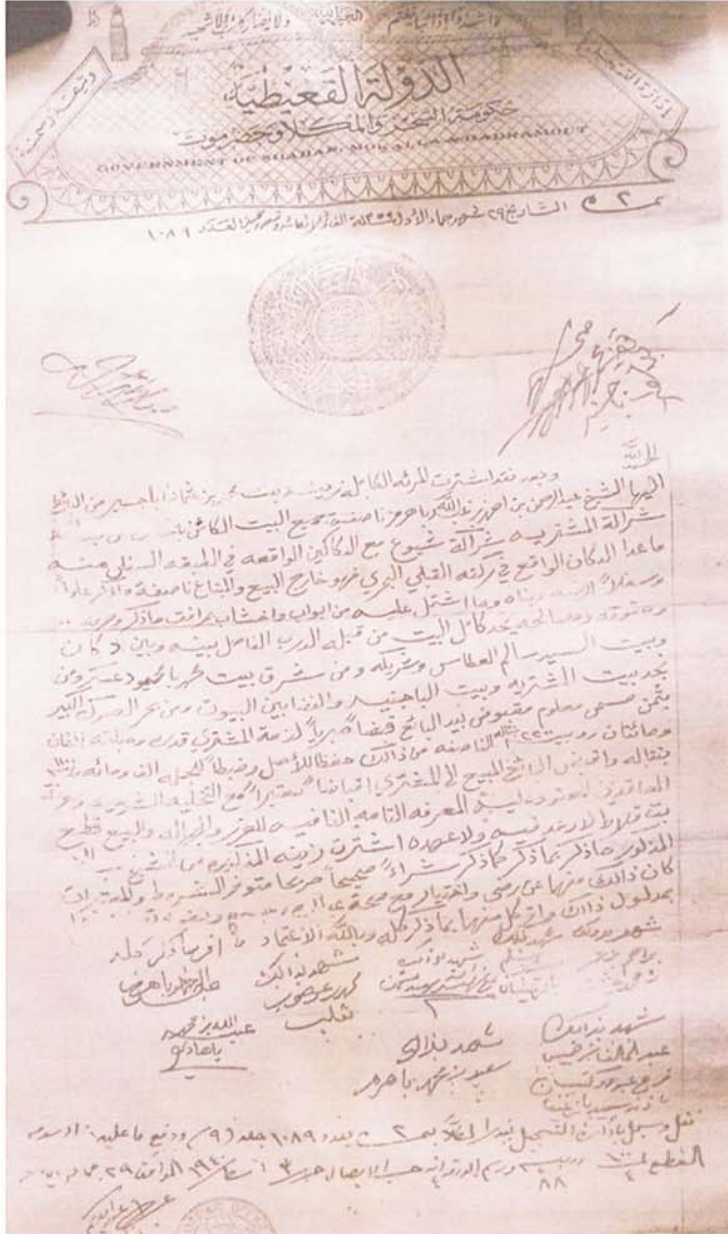
ذَكَرَ الشيخ عبد الرحمن بكير في (مذكراته) أنه تولّى القضاء بالشجر في عهد السلطان صالح بن غالب (٣٨).

٣- العمل بالمجلس العالي: ثم عمل رحمه الله بالمجلس العالي مع الشيخ محمد عوض بن طاهر باوزير، وكان الشيخ عبد الله بكير حينها قاضياً بالشجر، نقله النائب علي بن صلاح من المكلا إليها، وهذا في سنة (١٣٥٥هـ).

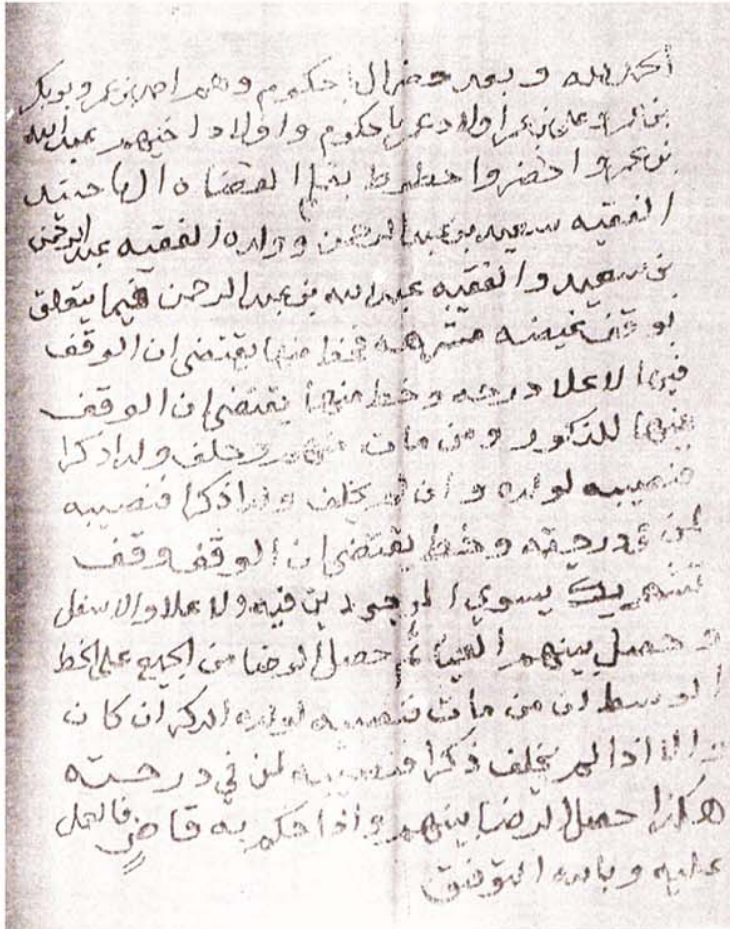
وحصل بين الشيخ باجنيد وبين الشيخ محمد بن طاهر نزاع كما يعلم ذلك من مكاتبة كتبها بعضهم للسيد محسن أبي نمي، وليس بها تاريخ لكن من الكلام يتبين أنها في آخر سنة (١٣٥٥هـ)؛ لأنها كانت في وقت قضية (دعيك)، وقد جاء في المكاتبة ما نصه: «النزاع الباطني بين باجنيد وابن طاهر بالغ حده، ولا يدركه كل إنسان، والسادة يميلون إلى باجنيد، ومُشاع أنهم بغوا بكير (كذا) في المجلس العالي، والشيخ عبد الله ما أظن يقبل، والله أعلم» اهـ.

ثم أصبح الشيخ محمد باجنيد المساعد الأول للشيخ عبد الله بكير في المجلس العالي، وفي سنة (١٩٥٢م) كان المساعداً الثاني هو الشيخ محفوظ المصلي.

وحضر مؤتمر القضاة الثاني بالمكلا سنة (١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م) بصفته المساعد الأول لرئيس المجلس العالي (٣٩).



صورة حكم قضائي للشيخ/ محمد عبد الله باجنيد



صورة وثيقة مخطوطة ذكر فيها مجموعة من قضاة آل باجنيد

ثم فصل من القضاء بالمجلس العالي (٤٠) بسبب قضية حاصلها أن شخصاً يدعى (سالم بن عوض) من عدن كانت له قضية منظورة في المحكمة بالمكلا، فأرسل له بالبريد ظرف الرسائل وبداخله نقود، ثم إن مراسل المجلس العالي أتى بالرسائل، وهم في اجتماع المجلس، ففتح الشيخ محمد باجنيد الظرف فسقطت النقود، فقبضها الشيخ عبد الله بكير، واستجوبهم فدارت الشبهة على رأس الشيخ محمد فعزل من المجلس (٤١) مع أنه قد لا تكون له يد في الموضوع؛ ولكن صرامة الشيخ عبد الله بكير اقتضت ذلك، ولعل ذلك كان في سنة (١٣٧٦هـ).

٤- العمل في محكمة الاستئناف بالمكلا:

وبعد خروجه من المجلس العالي عمل في محكمة الاستئناف، قال ابن عبيد الله السقاف في (الإدام): «ثم فصل عن قضاء المكلا، وجعل من أعضاء الاستئناف فيها» (٤٢)هـ، والصحيح أنه جعل رئيساً لها، وذلك في سنة (١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م) كما ذكره الشيخ عبد الرحمن بكير في (القضاء في حضرموت) (٤٣)، ومحكمة الاستئناف تأسست في ١٣٧٦/٢/٢هـ، وحضر رحمه الله (مؤتمر القضاء الثالث) المنعقد في المكلا، وألقى به محاضرة بصفته رئيس محكمة الاستئناف وذلك في تاريخ ١٣٧٧/٦/٧هـ/ ٢٨/١٢/١٩٥٧م (٤٤).

وبقي في الاستئناف إلى تاريخ ١٩٦١م حيث أعطي إجازة طويلة، وعين خلفاً له السيد عبد الله بن محفوظ الحداد (٤٥)، وكان هذا آخر عهد الشيخ محمد بالقضاء في حضرموت، وقد مكث رحمه الله في سلكه ما يقرب من ثلاثين سنة توزعت على ثلاث محاكم: المحكمة الشرعية، والمجلس العالي، ومحكمة الاستئناف.

٥- العمل في إدارة المعارف:

بعد خروجه من الاستئناف عمل في (المعارف) وعين في ١٣٧٧/٢/٢٧م رئيساً للجنة المعهد الديني بالغيل، ولما فتح القسم الثانوي بالمعهد في سنة (١٩٦٤م) كان رئيساً للجنة المعهد الديني الثانوي أيضاً (٤٦).

٦- العمل في إدارة الأوقاف:

عين رحمه الله رئيساً للأوقاف والتركات سنة (١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م) عينه السلطان صالح بن غالب القعيطي (ت ١٣٧٥هـ)، وقد أمر

السلطان بتسجيل جميع الأوقاف في هذه الإدارة، وكانت (الأوقاف) حينها ليست إدارة مستقلة؛ بل كانت تابعة للقضاء، فكان الشيخ محمد باجنيد هو أول رئيس للأوقاف بحضرموت (٤٧).

٧- الاشتغال بالإمامة في جامع عمر بالمكلا:

ولي رحمه الله الإمامة بجامع عمر أكبر مسجد في المكلا، خلفاً للشيخ سالم بن محمد التميمي، والشيخ محمد باجنيد هو الإمام الثالث لهذا المسجد المبارك بعد السيد محسن أبي نمي، والشيخ التميمي (٤٨).



الأعمال الأخرى والمشاركات:

١- كان رحمه الله رئيساً للجنة المعهد الديني بالغيل، وذلك في حدود سنة (١٩٦٢م)، حيث صدر قرار من المعارف برقم (٦٠/١٢/٤١/٦٠) بتاريخ ٣/٧/١٣٨٢هـ، بتعيين الشيخ محمد باجنيد رئيساً للجنة المعهد الديني، وأعضاء هذه اللجنة هم: السيد القاضي عبد الله محفوظ الحداد، والسيد علي بن يحيى، والشيخ عبد الله الناخبي، والشيخ عبد الرحمن بكير، والشيخ القاضي سعيد علي بامخرمة، والأستاذ عمر محمد بن سهيلان، ثم في لجنة المعهد الديني الثانوي سنة (١٩٦٤م) بالأعضاء الستة المذكورين (٤٩).

٢- ورئيساً للجنة (قانون الحمامة) في السلطنة القيعطية سنة (١٣٧٧هـ/١٩٥٧م)، وكان حينها رئيساً لمحكمة الاستئناف، والأعضاء هم: الشيخ القاضي عبد القادر العماري، والقاضي سالم بن محمد بامخرمة قاضي لواء المكلا حينها، والشيخ القاضي سالمين شطر، والشيخ عبد الرحمن بكير، والسيد حسين محمد البار (٥٠).

٣- وعضواً في لجنة الشؤون الدينية، وهذه اللجنة تشكلت في حدود سنة (١٣٧٦هـ/١٩٥٦م)، ورئيس اللجنة هو الشيخ عبد الله بكير، ومن أعضاء اللجنة: الشيخ عبد الله الناخبي، والشيخ عبد الله باعنقود، والشيخ عبد الرحمن بكير، ثم ضمت آخرين كالشيخ محفوظ المصلي، والسيد عبد الله الحداد، والسيد حسين بن الشيخ أبي بكر، والسيد علي بن يحيى (٥١).

٤- وعضواً في لجنة امتحان قبول تلاميذ القضاء، مع كل من الشيخ سعيد علي بامخرمة، والشيخ محمد بن قاسم باعشن، وكان اختبارهم في المكلا الساعة الثامنة صباحاً في ٢٣/١٢/١٣٦٧هـ في مكتب الشيخ محمد

باجنيد في الفقه، والنحو، والإنشاء.

٥- ورئيساً للجنة اختبار تلاميذ القضاء الكورس الثالث في غرفة الأوقاف بالمكلا، وسيقوم رئيس اللجنة، وهو الشيخ محمد باجنيد بما يلزم، وتوجيه الإشعارات للأعضاء، وتلاميذ القضاء عند إرادة الحضور حسب خطاب رئيس المجلس العالي الشيخ عبد الله بكير في ٦ صفر ١٣٦٩هـ/١١/٢٧/١١٤٩م، ومع الشيخ باجنيد عضوان هما: الشيخ القاضي عبد الله عوض بامطرف قاضي المكلا، والسيد عمر أحمد المشهور.

٦- وعضواً في لجنة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، وهي المسؤولة عن تنظيم الاحتفال بالمولد كل سنة، ورئيس اللجنة هو الشيخ عبد الله بكير، والأعضاء بالإضافة إلى الشيخ محمد باجنيد: الشيخ عبد الله باعنقود، والشيخ عبد الله الناخبي، وأحمد ناصر البطاطي، ومسلم بلعلا، وكان عمل الشيخ محمد باجنيد في هذه اللجنة إلقاء كلمة بعد كلمة الافتتاح التي يلقيها الشيخ عبد الله بكير، وقد جاء توزيع مهام هذه اللجنة في وثيقة سنة (١٣٧١هـ/١٩٥١م)، وسنة (١٣٧٧هـ/١٩٥٧م)، وسنة (١٣٧٩هـ).

٧- وعضواً في لجنة وضع منهج الدراسة الدينية، والعربية للمعهد الديني بالغيل، وتشكلت اللجنة بتاريخ ١٥/٧/١٩٤٩م، قبل افتتاح المعهد الديني، ورئيس اللجنة هو الشيخ عبد الله بكير، والشيخ عبد الباقي نعمة السوداني سكرتير اللجنة، والأعضاء بالإضافة إلى باجنيد: السيد محسن أبونمي، والسيد علي بن يحيى.

٨- وعضواً في لجنة تصفية للنظر فيما قدمته لجان المعهد الديني من وضع الخطة النهائية للدراسات، والنشاط، والأنظمة، وكان رئيس اللجنة هو

الشيخ عبد الله بكير، والأعضاء بالإضافة إلى الشيخ محمد باجنيد: الشيخ محجوب زيادة السوداني، والشيخ عبد الباقي نعمة السوداني، وهو سكرتير اللجنة، والسيد علي العطاس - كاتب اللجنة، وهذا أيضاً في تاريخ ١٥/٧/١٩٤٩م.

٩- وعضواً في لجنة النظر في جواز تعدد الجمعة في مدينة المكلا، وقد انعقدت اللجنة يوم السبت بتاريخ ١٤/٦/١٣٧٢هـ/٢٨/٢/١٩٥٣م، ورئيس اللجنة هو الشيخ عبد الله بكير، والأعضاء بالإضافة إلى الشيخ محمد باجنيد: السيد محسن أبونمي، والسيد حسين بن محمد بن الشيخ أبي بكر، والشيخ محفوظ المصلي، والشيخ مبارك الجوهي.

١٠- ورئيساً للجنة وضع أسئلة الاختبار النهائي التحريري لتلاميذ كورس القضاء الثالث، والأعضاء هم: الشيخ القاضي عبد الله بامطرف، والشيخ القاضي سعيد علي بامخرمة، والشيخ عبد الله الناخبي، حسب خطاب المجلس العالي رقم (١٨٧٢/٨/٦) بتاريخ ١٧/٧/١٣٦٩هـ/٥/٤/١٩٥٠م.

١١- وعضواً في لجنة وضع أسئلة الاختبار النهائي الشفهي لتلاميذ كورس القضاء الثالث، ورئيس اللجنة هو سكرتير الدولة: سيف البوعلي، والأعضاء هم إضافة إلى الشيخ باجنيد: والشيخ قдал القдал ناظر المعارف، والشيخ القاضي عبد الله بامطرف، والشيخ القاضي سعيد بامخرمة، والشيخ عبد الله الناخبي، حسب خطاب المجلس العالي السابق ذكره في الذي قبله.

١٢- وعضواً في لجنة دراسة موضوع مدرسة القضاء الشرعي، -كورسات القضاء- وقد انبثقت هذه اللجنة عن مؤتمر القضاء الأول سنة ١٩٥٢م،



صورة من شهادة الأثر العالمية للشيخ / محمد باجنيد

والتركات بالمكلا، وإمامة مسجد جامع عمر، وخطابته» اهـ، وقال قبله في وصف الشيخ باجنيد: «خطيب مصق، وواظم مؤثر ببلاغته» اهـ (٥٦).

والمعروف أن الخطيب الرسمي لجامع عمر في عهده هو الشيخ عبد الله الناجبي، فيحتمل أنه تولى الخطابة قبل الشيخ الناجبي، ويحتمل أنه كان مشاركا له، يتناوب معه، والله أعلم، ويذكر بعض أحفاد الشيخ باجنيد أنه ما تزال بعض قصاصات خطبه موجودة.

إلقاء المحاضرات:

كان الشيخ باجنيد رحمه الله مشاركا جيدا في إلقاء المحاضرات، ومن ذلك:

- كلمته المعتادة سنوياً في ليلة الاحتفال بالمولد النبوي.

- محاضراته في مؤتمرات القضاء.

- محاضراته في الأندية.

- محاضراته في المكتبة السلطانية.

ومن الكتب التي درسها (فتح المعين)، وله اتساع في الفقه، ومعلوماته فيه قوية؛ لكن مما يؤخذ عليه عدم تفرغه للتدريس (٥٤).

وفي رمضان كان يتحدث عن الزكاة، وفي يوم من الأيام دخل تاجر، ومعه ظروف فيها زكاة، وأخذ يوزعها على بعض الموجودين ممن ليس من أهل الزكاة، فدعاه الشيخ باجنيد، وقال له يا فلان إيش هذا؟ فقال: زكاة، فقال يا جماعة اطرحوا الظروف، وسأله هل هذا من الناس المستحقين للزكاة الذين ذكرهم الله؟ فسكت الرجل، فقال له: خذ الزكاة ووزعها على الناس الذين أراد الله (٥٥).

الخطابة في جامع عمر:

قال الشيخ عبد الرحمن بكير في الشيخ محمد باجنيد: «كما تولى في عهد من عهود حياته الوظيفية دائرة الأوقاف

ورئيسها الشيخ عبد الله بكير، والأعضاء بالإضافة إلى باجنيد: السيد محسن أبو نومي، وقاضي الغيل علي بامخرمة (٥٢).

التدريس في جامع عمر بالمكلا:

اشتغل رحمه الله بالتدريس في جامع عمر بعد توليه الإمامة به، وهذا خطاب رئيس لجنة الشؤون الدينية الشيخ عبد الله بكير:

المُكرِّمين المشايخ:

- محمد عبد الله باجنيد - إمام مسجد عمر.

- عبد الله سعيد باعنقود - إمام مسجد الروضة.

- حسين بن محمد بن الشيخ بوبكر - إمام جامع البلاد.

- مبارك سالم الجوهي - إمام مسجد النور.

بعد التحية:

نلفت نظركم إلى خطاب مدير الأوقاف والتركات بتعيينكم مدرسين في المساجد المذكورة، ونرجو اعتماد ما ذكر مع الإبتعاد عن التعرض للمسائل الخلافية في غير الفروع الفقهية، ودمتم/ عبد الله عوض بكير رئيس لجنة الشؤون الدينية: ١١/٩/١٣٨٢هـ / ٢/٤/١٩٦٣م.

ودروس الشيخ باجنيد في مسجد عمر على قسمين: خاصة وعامة، وكانت بعد الفجر إلى الإشراق، وبعد صلاة العصر، وكانت له حلقة في المسجد بين المغرب والعشاء تحت المنبر، وفي هذا الوقت -بين المغرب والعشاء- كان في المسجد أربع حلقات: الحلقة الأولى حلقة الشيخ محمد باجنيد تحت المنبر، والحلقة الثانية حلقة الشيخ محمد بن قاسم في القرآن، والثالثة حلقة الحبشي في الحديث، والرابعة: حلقة الشيخ عبد الله الناجبي في السيرة، وكانت في ضاحية المسجد (٥٣).



96

العدد (12)

إبريل

يونيو

م 2019

الاشتغال بالتجارة:

اشتغل رحمه الله بالتجارة، فكان يبيع ويشترى في الأخشاب، والحديد، ومواد البناء، ويتولى البيع والشراء بنفسه في محله المعروف بالشرح (٥٧).

وكان رحمه الله فوق ذلك تاجر عقار تملك في المكلا ستة بيوت، أممت كلها في عهد النظام السابق ما عدا البيت الذي هو فيه بجانب مسجد عمر، قال شيخنا سعد باشكيل: ثم ردت بعضها بدون كراء، قال: فقلت له: ردت عليك البيوت - يعني بدون الكراء - فقال الشيخ باجنيد: (إذا حصلت الجمل لا دور لخطامه)، قال شيخنا سعد باشكيل: (لا زلت استشهد بها) يعني بالعبرة.

قال الشيخ عبد الرحمن بكير: «ثم هو - يعني باجنيد - من رجال المال، والأعمال بالمكلا بما كان خلفه له أبوه، وبما استفاده من خبرته، ونشاطه العملي في مال محدود شديد المحدودية شأنه شأن الوسط، أو دون الوسط من تجار مدينة المكلا بحضرموت» (٥٨).

نشاطه الإصلاحي:

قال الشيخ عبد الرحمن بكير في الشيخ باجنيد: «مساهم جيد في الأندية والمجالات الإصلاحية، والعلمية، والجمعيات الخيرية كما هو شأن علماء حضرموت» (٥٩).

ومن الأعمال الإصلاحية التي قام بها توجهه ضمن وقد فيه: حسن قحطان، ومحمد سعيد الجوهي إلى بلاد (القمر)، بتاريخ ١٥ / ٦ / ١٣٨٠ هـ، وذلك لإزالة ما علق بالأذهان من مخاوف حول قرار حظر السلطنة إطلاق النار بدوعن (٦٠).

ومن ذلك أيضاً مشاركاته في مؤتمرات القضاء، وتقديم الآراء، والمقترحات، قال الشيخ عبد الرحمن بكير عن مؤتمر

القضاء الثالث: «كما شارك رئيس محكمة الاستئناف الشيخ محمد عبد الله باجنيد بمحاضرة أكثر موادها تتعلق بالاستئناف ومشاكله» (٦١).

وكان ضمن الوفد المرافق لرئيس القضاة لإقناع علماء حضرموت الداخل ب(القانون الجنائي) للسلطنة القيعية، وكان هذا في بداية شهر ذي القعدة سنة (١٣٦٩ هـ)، وكان الشيخ باجنيد حينها مديراً للأوقاف والتركات (٦٢).

كما كان رحمه الله من العلماء المؤقنين على وثيقة المنع من (اليانصيب)، مع السيد محسن أبي نمي، وعبد الباقي نعمة السوداني، والشيخ سعيد صديق جان، والشيخ علي بامخرمة، وذلك في ١١ / ١٠ / ١٣٦٩ هـ، وكذلك وقع على خطاب لوزير السلطنة في نهي العوام عن اليانصيب.

كما أنه يقوم بالصالح بين المتخاصمين في بيته ممن يقصده لفرض النزاع، أو من يتحاكم عنده إذا رضوا بالصالح، كما أفاد ذلك حفيده.

سفره إلى السعودية:

بعد قيام الثورة في الجنوب لم يطب له العيش في البلاد، وقد تعرض رحمه الله لمضايقات كثيرة من أصحاب الجبهة القومية؛ لأنه كان في بداية الأمر يتناولهم في خطبه، ومن جهة أخرى فإنه كان صاحب عقار، فكان حذراً منهم، وهم متخوفون منه، وأرسلوا له الجواسيس تحت بيته، وأحكموا المراقبة عليه، وقاموا بتفتيش بيته (٦٣)، ولم يتمكن من السفر إلى خارج البلاد إلا بتقرير طبي، فسمح له بالسفر إلى مصر بقصد العلاج، وعالج هناك رجله، ولما كان في مصر علم به التاجر الدوعي الكبير (ابن محفوظ)، ورتب له السفر من مصر إلى جدة، ثم رتب له

في جدة مسجداً في (باب شريف) (٦٤).

التأليفات:

١ - شارك رحمه الله في تأليف: (المواد القانونية لمحاكم السلطنة القيعية)، والتي سماها الشيخ عبد الرحمن بكير بالمسائل المختارة - مع جماعة من العلماء، هم: السيد محسن أبونمي، (ت ١٣٧٩ هـ)، والشيخ عبد الله بكير، (ت ١٣٩٩ هـ)، وقاضي الغيل الشيخ علي بامخرمة، (ت ١٣٨٨ هـ)، والشيخ سالمين شطر، (ت ١٤١٣ هـ)، وحررت في سنة (١٣٦٠ هـ).

٢ - وشارك رحمه الله في فتوى جواز إقامة جمعة ثالثة بالمكلا مع المشايخ: عبد الله بكير، والسيد محسن أبي نمي، والسيد حسين بن الشيخ أبي بكر، والشيخ مبارك الجوهي، والشيخ محفوظ المصلي، وقد ذكرنا هذا سابقاً.

٣ - وله رحمه الله بعض المقالات في صحيفتي (الطلیعة)، و(الرائد)، منها مقالة: (رسالة رمضان) في العدد (٨٩) من صحيفة (الطلیعة) لسنة (١٩٦١ م)، وتعقيب على مقال الشيخ عبد القادر العماري صدر في صحيفة (الرائد) عدد (٢١).

• وله محاضرة في مؤتمر القضاء الثالث، لخصت وطُبعت ضمن أعمال المؤتمر.

• وله خطب منبرية مكتوبة بخط يده كما أخبرني حفيده.

تلاميذه:

أخذ عنه جملة من طلاب العلم، منهم:

١ - الشيخ عمر باقمري.
٢ - الشيخ سعيد باجمدان من طلبة رباط الغيل، أخذ عن السيد محسن أبي نمي وغيره، وأخذ عن الشيخ محمد باجنيد الفقه بمسجد عمر، وحضر دروسه العامة.

٣ - الشيخ سعد باشكيل: حضر بعض دروسه في مسجد عمر.



97

العدد (12)
إبريل
يونيو
2019م

أولاده:

أعقب الشيخ محمد ثلاثة أبناء، وبنات، والأبناء هم:

- ١- جُنيد، وهو أكبر أبنائه، مقيم بجدة، وما يزال حياً.
- ٢- عبد الله، توفي.
- ٣- أمين، توفي (٦٥).

الوفاة:

بعد حياة حافلة بالدعوة والنشاط، والصَّلاح والإصلاح، حصل له حادثٌ في جدة، نُقل على إثره إلى المستشفى، وتمرَّض فيها أياماً (٦٦)، ثم توفي رحمه الله في سنة (١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م)، على ما ذكره شيخنا عبد الرحمن بكير في كتابه (القضاء في حضرموت) (٦٧)، وذكر الشيخ المؤرخ المحقق الدكتور محمد باذيب في كتابه البديع (جهود فقهاء حضرموت) نقلاً عن ابنه جُنيد أنه توفي في سنة (١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م) فيكون عمره حينها (٧٥ سنة)، قضى منها نحو ثلاثين سنة في القضاء، فرحمه الله رحمة الأبرار، وأسكنه الجنة دار القرار.

الهوامش:

- (١) مختصر الدر والياقوت، ص ٤٩.
- (٢) انظر: إدام القوت، ص ١٥٠.
- (٣) تاج العروس ٢٦ / ١٧٢.
- (٤) انظر: المعجم اللطيف للشاطري، في مادة: الجنيد.
- (٥) إدام القوت، ص ١٧٨.
- (٦) الشامل لعلوي الحداد، ٢ / ٦٧٠.
- (٧) المرجع السابق، ٢ / ٦٧٠.
- (٨) مختصر الدر والياقوت، ص ٤٩.
- (٩) المرجع السابق، ص ٢٥٠.
- (١٠) الشامل، ٢ / ٦٣٠.
- (١١) الشامل، ٢ / ٧٣٢.
- (١٢) مختصر الدر والياقوت، ص ٢٥٠.
- (١٣) جهود فقهاء حضرموت، لمحمد باذيب، ٢ / ٩٠٨.

(١٤) انظر: صورة الوثيقة في الصور المرفقة.

(١٥) انظر: جهود فقهاء حضرموت، لبازيب، ٢ / ١٠٤٢.

(١٦) إدام القوت، ص ١٥٠.

(١٧) انظر: ترجمة السيد أحمد بن حسن العطاس لابنه علي، ص ٢٩.

(١٨) إدام القوت، ص ١٧٨.

(١٩) وقد ترجمنا له في كتابنا (معجم تلامذة العلامة السيد محسن أبي نبي)، غير مطبوع.

(٢٠) القضاء في حضرموت، للشيخ عبد الرحمن بكير، ص ١٢١.

(٢١) إفادة من الشيخ سعد باشكيل.

(٢٢) إفادة من السيد القاضي حسين مديح.

(٢٣) إفادة من الشيخ سعيد باحمدان.

(٢٤) إفادة من عبد الله بازار.

(٢٥) انظر: مقدمة رسالة (حل القيد)، مخطوط.

(٢٦) إفادة من حفيده محمد باجنيد.

(٢٧) إفادة من الشيخ سعد باشكيل.

(٢٨) الحديث أخرجه مسلم برقم (٢١٢٨)، وأحمد برقم (٨٦٥)، و (٩٦٨٠).

(٢٩) إفادة من الشيخ عيود باضريس.

(٣٠) إفادة من السيد القاضي حسين مديح.

(٣١) إفادة من السيد حسين مديح، والشيخ عيود باضريس.

(٣٢) انظر: صورة شهادته الأزهرية في الصور المرفقة.

(٣٣) انظر: القضاء في حضرموت، لعبد الرحمن بكير، ص ١٢١.

(٣٤) إفادة من حفيده محمد باجنيد.

(٣٥) إفادة من الأستاذ نضال باعشن.

(٣٦) من مذكرات الشيخ عبد الرحمن بكير - مخطوطة.

(٣٧) انظر: ترجمة الشيخ أحمد باعباد في كتابنا (مختصر الغيث الهمي في ترجمة العلامة السيد محسن أبي نبي)، ص ٣٢٥ - قيد الطبع.

(٣٨) من مذكرات الشيخ عبد الرحمن بكير، مخطوطة.

(٣٩) انظر: القضاء في حضرموت، للشيخ

عبد الرحمن بكير، ص ٥٥.

(٤٠) انظر: إدام القوت، ص ١٧٨.

(٤١) إفادة من الأستاذ نضال باعشن.

(٤٢) انظر: إدام القوت، ص ١٧٨.

(٤٣) انظر: القضاء في حضرموت، للشيخ عبد الرحمن بكير، ص ١٢١.

(٤٤) المرجع السابق، ص ٥٥.

(٤٥) انظر: صحيفة (الرائد)، عدد (١٩).

(٤٦) عن ملف المعهد الديني بالسلطنة القعيطية.

(٤٧) القضاء في حضرموت، ص ٥١.

(٤٨) مذكرات عبد الرحمن بكير، وانظر: عمر بن عوض القعيطي، تأليف: محمد بن علي الحاج، ص ٢٢٤.

(٤٩) عن ملف المعهد الديني.

(٥٠) عن ملف مؤتمر القضاء الثالث، ص ١١، وانظر: القضاء في حضرموت، ص ٩٦.

(٥١) عن ملف الشؤون الدينية بالسلطنة القعيطية، وانظر: القضاء في حضرموت، ص ١٣٨ - ١٣٩.

(٥٢) انظر: القضاء في حضرموت، ص ٥٥.

(٥٣) إفادات من الشيخ عمر باقمري، والشيخ سعد باشكيل، وابن كروم.

(٥٤) إفادة من الشيخ عمر باقمري.

(٥٥) إفادة من الأستاذ نضال باعشن.

(٥٦) عن مذكرات الشيخ عبد الرحمن بكير، مخطوطة.

(٥٧) إفادة من الشيخ باقمري، والشيخ عيود باضريس.

(٥٨) مذكرات الشيخ عبد الرحمن بكير.

(٥٩) المرجع السابق.

(٦٠) انظر: صحيفة (الطليلة)، عدد (٧٨)، لسنة ١٩٦٠ م.

(٦١) القضاء في حضرموت، ص ٥٨.

(٦٢) المرجع السابق، ص ٨٧.

(٦٣) إفادات من الشيخ عمر باقمري، ومن حفيده محمد باجنيد.

(٦٤) إفادة من حفيده محمد باجنيد.

(٦٥) المرجع السابق.

(٦٦) المرجع السابق.

(٦٧) انظر: القضاء في حضرموت، ص ١٢١.

(٦٨) انظر: جهود فقهاء حضرموت، لبازيب، ٢ / ١١٤٩.



سعيد عبدالله باجوه الجوهري

الشاعر الجميل الحكيم

إن الشعر العامي يتمتع بمزايا، ويختص بخصائص، جعلت منه الوريث الشرعي للشعر الفصيح، ولذلك أصبح هذا الشعر محط اهتمام الدارسين في التراث العربي. وفي دراستنا هذه سنتحدث عن شاعر عامي من أبناء ريدة الجوهريين ألا وهو الشاعر سعيد عبدالله باجوه الجوهري، الذي خلف لنا إرثاً شعرياً على قلته يثبت لنا وبها لا يدع مجالاً للشك أننا أمام شاعر جميل وحكيم، فقد أصبحت غالب قصائده التي قالها أشبه بالتراث؛ فالكل ينسبها إلى نفسه، وبعضهم ينسبها إلى شعراء آخرين على مستوى محافظة حضر موت، ولعل ادعاء عدد كبير من الشعراء بأحقية هذه القصائد دليل قاطع على شاعرية هذا الرجل وإبداعه، لكن لم يبق من شعره سوى الشيء القليل جداً، وهذا القليل هو على فن واحد من الفنون الشعرية التي تشتهر بها حضر موت، ألا وهو الزامل الشعبي.

الذائعة الصيت؛ فقد أصبحت بعض قصائده أشبه بالأمثلة التي يتم ترديدها بين الناس، فإلى يومنا هذا ما زالت مستمرة وبخاصة في مديرية ساه لارتباط الشاعر القوي بها وبأهلها الذين تربطهم به علاقات جيدة. وهذا أول قصيدة يتم بها افتتاح الزامل قصيدته التي يقول فيها:

يا لغمرة انجلي من الجلبوب

بحزر طلوع الفجر من مبداه

باشوف بن صبره وحيد النوب

والزاحمة لي هي تقابل ساه

وله العديد من المساجلات مع صديقه

الشاعر بن عمر صالح باوزير نذكر على

سبيل المثال لا الحصر هذه المساجلة

المرج له عدله وله ميزان

من قبل ما يخرج من الحلقوم

وان قد خرج عتبه على الإنسان

مثل الظرف لا قارب التبشوم

يأتي هذا المقال من أجل إنصاف هذا

الشاعر، والتعريف به، ومن أجل إزاحة

الغبار عن هذه الجواهر الثمينة، التي

بالرغم من تقادم الزمن عليها فإنها ما

زالت تحتفظ بجمالها ورونقها، ومن

أجل حفظها من الضياع والنسيان.

فالذين يحفظون قصائد الشاعر باجوه

غالبيتهم قد انتقل إلى رحمة الله تعالى،

ولم يبق منهم إلا قلة قليلة يمكن

عدهم بأصابع اليد الواحدة.

لشاعر باجوه عددٌ من القصائد



حسن أحمد باجوه الجوهري

وسنقوم في هذا المقال بنشر هذا النتاج القليل لهذا الشاعر، ونبدأ بإحدى قصائده الشهيرة، التي كانت تفتتح بها (إذاعة المكلا) أحد برامجها المتعلقة بالشعر الشعبي هذه القصيدة هي:



الهرج له عدله وله ميزان من قبل ما يخرج من الحلقوم وان قد خرج عتبه على الإنسان مثل الظرف لا قارب التبشوم

سنة شهر حداد يخدم في نشم
قلمه ومعمل خطها راس الصفاه
لا مد شي قادي ولا قدى لحد
لما نبش من حيد بن صبره حصاه
ومن قصائده التي تزخر بالحكمة
والنصح والرمزية أيضاً قوله:
من قارب المجروب يجرب
والطير يعدي من يجي له
بانوسقك يا لهيج كَبْبُضْ
في خف والأ في ثقيلة
وقوله أيضاً:

خذها نصيحة ما بها تكذيب
يا لاطف الطف من غلام الدار
وكلاب غيضة ما طردن الذئب
ينبحن والله عالمحب والجار
ومن الصور الشعرية قوله:

الهرج له عدله وله ميزان
من قبل ما يخرج من الحلقوم
وان قد خرج عتبه على الإنسان
مثل الظرف لا قارب التبشوم
فقوله (مثل الظرف لا قارب التبشوم)
تشبيه بليغ؛ حيث شبه خروج الكلمة
السيئة من لسان الإنسان بالظرف،
وهو خيط يصنع من شجرة الظرف،
ويستخدم لتوصيل النار إلى البارود،
الذي يوضع في التبشوم، والذي يقوم
بالانفجار بمجرد اقترابه من النار،
والعلاقة بين طرفي التشبيه قوية
ومتينة.
وللحديث عن هذا الشاعر بقية.

ومن قصائده التي تصدق فيها
توقعاته أو ما يسمى (بالتوقيه)
بالمصطلح العامي، قصيدته التي
توقع فيها موت ابن أخيه الثاني الذي
ذهب في قطار إلى حضرموت، وتعرض
القطار لهجوم من قبل عدد من قطاع
الطرق، وقتل فيها ابن أخيه الثاني
الذي لحق بأخيه الذي توفي قبله بعام،
وقد توقع الشاعر ذلك وأعلن عنه في
إحدى قصائده في أحد الزوامل في
منطقته قبل أن يصل الخبر إلى
منطقته حيث يقول فيها:

العام يوسف ضاع عايقوب
وذا السنه يعقوب ضائع
وش عادي باقول في المكتوب
بلي نفش رويس الفرائع
ومعنى (بلي) هي الأبل.

والذي يميز قصائد هذا الشاعر ويطلق
عليها الرمزية والصور والتشابهية
المستوحاة من بيئته البدوية التي
عاشها وذاق حلوها ومرها.
وقد وقعت في حياة الشاعر حادثة قتل
لأحد أفراد القبائل المجاورة؛ حيث
قامت جماعة بقتله ورمي جثته فوق
إحدى الأشجار ولاذوا بالفرار، وعثر أهل
القتيل على ابنهم مقتولاً، فلم يتهموا
به أحداً، واستمروا بالبحث عن القاتل
سنة أشهر، وبعدها عثروا على
غريمهم، وقاموا بقتله. ففي إحدى
الزوامل التي أقيمت في ريدة
الجوهيين تطرق سعيد باجوه لهذا
الموضوع، ولكن برمزية رائعة تثبت
لنا براعته وقدرته الشعرية حيث يقول:

التي حصلت في ريدة الجوهيين عندما
قام أحد أفراد العائلة التي تتسلم
زعامة القبيلة (التقدمة) بإزاحة ابن
عمه من هذه الزعامة وتنصيب نفسه
بديلاً عنه، وقد انقسم الجوهيون على
قسمين: أحدهما مؤيد للمقدم
الجديد، وكان من ضمن المؤيدين
الشاعر بن عمر صالح باوزير. والآخر
معارض، وكان من ضمن المعارضين
الشاعر سعيد باجوه الجوهي. وبحسب
العادة المتبعة لدى القبائل حينها من
إجراء زامل تنصيب للمقدم الجديد،
فقد قاموا بزامل احتفالاً بتنصيب
المقدم الجديد، وقد افتتح الزامل
الشاعر بن عمر صالح باوزير مفخراً
ومشجعاً للمقدم الجديد ومتوعداً كل
من يعارضه بالفشل قائلاً:

اليوم حللنا حصاة الواقعة
حلت وقدها تركمة فوق الجبل
من بايزاوعها حرام إن زاعها
يا طارحين الساس من فوق الحذل
فانبرى له الشاعر سعيد باجوه من
بين الصفوف قائلاً:

عالشمس غمره يا أهل ليات الظرف
والشهر عاد ما تبين لي وهل
فرعون ما يصلح أمام الشافعي
وإن حد يجادلني يسن مني جدل
ولم يقتنع الشاعر بالرد الأول فأردف قائلاً:

الحكم يرجع ليك يا قاضي زبيد
الحكم حكمك والشرعة والقضاة
شهرين للشيطان يفعل ما يريد
ومن عمل مثقال ذره با يراه
وقد صدقت توقعات الشاعر باجوه،
فبعد مرور شهرين على تنصيب
المقدم الجديد تم الاتفاق بين
الجوهيين على أن تعود الأمور إلى
وضعها السابق بإعادة التقدمة إلى
المقدم السابق.



د. أحمد سعيد عبيدون

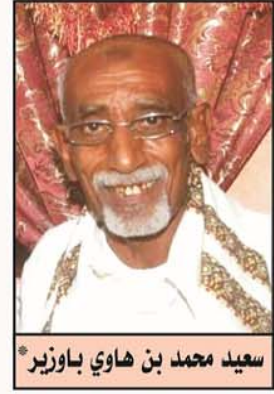
مسافات

ويُطلقنا على ملل الفراغ سراح!	نجري بلا كلل وخلف دروبنا مطر الحنين وصمتنا لَمَاحُ	(٢) بيني وبينك غيمةٌ ورياحُ وتحيةٌ ممدودةٌ وصباحُ	(١) بيني وبينك وردةٌ وسكوتُ وتحيةٌ ممدودةٌ وقنوتُ
(٣) بيني وبينك أنهارٌ مؤجلةٌ من الحنين وأقطارٌ من الشَّغَفِ	الدمع كحلُ لم يفارق مقلةً فينا احمراراً والأنين وشاحُ	الليل عند مسائنا متردّدُ والشّوق وسط غيابنا فوَاحُ	حزني على طلل الزّمان زمرّدُ وهوأي في بحر الهوى ياقوتُ
لن تسمعي أبداً صوت اللظى بدمي ولن تحسيّ بلون الجمر أو تصفي	يسيل هوى وملاء حقولنا تفّاحُ كم مرة لذنّا بليل غموضنا كذباً وفي أقمارنا إيضاحُ	لا ورد يرسم في الجمال هدوءنا شغفنا ولا وترلنا يرتاحُ أبدأ يكاد الصّمت يطبق صمته أملأُ ويخفق في الفؤاد جناحُ	فكأنني - والموج يهتف - يونسُ، وكأنما هذي المسافةُ حوتُ يخضر تسبيحي وتورق حسرتي رمانةٌ قلبي وقلبك توتُ
لم يبق في اللهو من ورد الوصال سوى أن تطلقني في النّوى سهماً على خ ز ف ي	والآن يقضم وقتنا شوكةً		





تداعيات... وهو اجس



كيف ألقاه؟ وألقى من أحب؟
وطناً أبكي عليه أنتحب
هل أضعناه؟ وهل ضيعنا؟
أم كلانا في المنافي مغترب؟
وطناً غادرته.. غادرني
كاد قلبي من ضلوعي أن يثب
منذ أن فارقه ما انطفأت
في مزاميري لحوني تلهب
شابت الأعوام فينا إنها
أنت فينا عنفوان لم تشب
يارفاق العمر هل من عودة
فإليكم نبض قلبي يشرئب
غابت الأبقار والعمر انقضى
جف عودي بعدما كان رطب
شفتي يابسة.. يابسة
وفي قد صار كالبيت الحرب
ظامئ ما زلت، لا لم أرتو
ومياه المزن فوق تنسكب
شربت أودية من فيضها
وأنا قلبي - يميناً - ما شرب
وطيوف الأمس بي حائمة
بعدت مني وحيناً تقترب
هذه الأشباح من أيقظها؟
كالدّم حول فراشي تنتصب
صوتها في داخلي دمرني
وفؤادي من خطاها يرتعب
أيها الصوت الذي أرقني
عم مساءً أيها الصوت وطب

هل تناديني؟ وهل تسمعي؟
فلماذا عن عيوني تحتجب؟
أنت من أنت؟ فهل تعرفني؟
أم لشعري ولصوتي تستلب؟
هل تقمصت خيالي ثانياً؟
وانتحتل الآن شخصي بالكذب؟
كيف قد جئت؟ متى؟ نادمتني؟
هل مع الريح التي كانت تهب؟
هل أنا أنت؟ وهل أنت أنا؟
هل تعاطيني الحكايا واللعب؟
لا تدعني في همومي غارق
لخرافاتي وهمي احتلب
إنني ضيعت عنواني هنا
فإلى دنياك خذي واصطحب
إنني وحدي غريب ضائع
في بلادي لم يعد صوتي طرب
هل أنا نفسي أنا يا هاجسي؟
هل بلادي نفسها؟ قل لي أجب؟
ما الذي صار تعري بعضنا
أم نسينا في هوانا ما يجب؟
لم تعد تعرفني.. أعرفها
صرت فيها اليوم كالعبر الجرب
هذه أرضي بها ما تشتهي
يرغب الغير وقلبي ما رغب
غير أني وبلادي غائب
رغم فيها كل شيء لم يغب
داخلي أسئلة قد هرمت
إنني أرجوك ألا تنسحب
لا تسلني كيف أبدو ساخراً؟
وفؤادي من همومي يصطخب
إن أحزاني لها فلسفة
وبها بعثرتني صدري الرحب

* عضو اتحاد الأدباء والكتاب العرب.



سالم عبدالله بن سلمان

حكاية عشق مصرية

(إلى الصديق النبيل أ. محمد عبدالعزيز الهلاوي)

وحال صوتك صاعداً

ومُدُنْدُنَا

يا نيل .. يا نيل

كم مرة

شدوت من هوى

ومن لظى

ومن صدَى

ومن حنين ...

(على شط بحر الهوى

رسيت مراكبنا

والشوق جمعنا سوى

نحن وحبابينا

على شط بحر الهوى

رسيت مراكبنا (١)

للأزبكية

حيث تفوح رائحة الحروف

وفتنة الأغلفة اللماعة

الظل الظليل

أو رحلة إلى تدفق الملاء

في الأزهر الشريف

وساحة الحسين

أو في الحسين

عالم يموج في القاهرة المعز

نهاره والليل

ولا يكف ولا يميل

وها هو هوى النيل العليل

يلفح وجهك ميمنة وميسرة

وأنت تخوض مياهه

في زورق الليل الجميل

ها هي مصر

بكل تألقها

وتوهجها

وانثيالات أشيائها

في باحة التحرير وكل ميادينها

وحيث ما اتجهت

مبتهجاً ومنسجماً

بكل سبيل

يا مصر ما من مرة

أتيت مقبلاً إليك

إلا سعت مسرعاً

وضجة الشوق

ملء جوانحي

تشدني

(١) (المقطع الأول من أغنية الفنان المصري كيرم محمود).





صرة مرزوق



الاصطياد، وطى الحبال، ودعك سطحته، بينما توزع العبرية على السطح، بعضهم وقف على جانبي السنبوق يرقب مشهد الإبحار ومنظر البحر البديع الممتد أمامهم وأغلبهم من الشباب ممن يسافرون للمرة الأولى، أما كبار السن فتحلقوا في مجموعات يتبادلون أطراف الحديث عن أسفارهم السابقة، وعن السياسة وأحوال الناس والظروف المعيشية الصعبة التي تمر بها البلاد، والتي تدفع بهم إلى هجرات متوالية ما بين الساحل الإفريقي ودول الخليج العربي ودول شرق آسيا. أما الشيخ فقد بقي وحيداً في زاويته لا يعبأ بما يدور حوله.

مضت ساعات النهار سريعة، وأقبل الليل يتسلل في هدوء حتى أسدل ذوائبه على المتوكل، الذي ما زال يتهادى في ذلك المحيط الواسع، أمسك الصرنجي والسكوني (٤) بدفة القيادة بينما خلد الربان سويلم وبقية البحارة والعبرية إلى النوم.

سطح السنبوق ليتأكد من صعود كل العبرية الذين سيسافرون إلى ممباسا، وليتأكد أيضاً من صعود كل بحريته، وبعد أن أيقن أن كل شيء على ما يرام نادى على الصرنجي (٢) برفع السلاالم.. وما إن هم برفعها حتى أمسك بأحدها شيخ كبير، رث الثياب، مهلهل الأطمار، يحمل في إحدى يديه عصا غليظة، قد لف في أعلاها صرة بها بعض الخبز الجاف وقنينة ماء تبرزان من خلال ثقب الصرة المتهالكة، حاول الصعود غير أن الصرنجي منعه، لمح ذلك الربان سويلم فأوماً إليه بالسماح له بالصعود. صعد الشيخ وأخذ يشق طريقه حتى وصل إلى إحدى زوايا السنبوق ووضع عصاه على الأرض وجلس بجانبها.

أخذ المتوكل يعخر عباب البحر في تودة حتى غادر الميناء، ثم أخذت سرعته تزداد شيئاً فشيئاً. انهمك البحرية (٣) في عملهم المعتاد على ظهر السنبوق من تجهيز أدوات



مسعود علي الغنيني

مع بزوغ الفجر بدأت الحركة تدب في ذلك الميناء القابع أقصى الشرق من حضرموت، كانت الحركة وئيدة؛ فما زال رواد الميناء يحاولون نفض الكرى عن أعينهم. في أحد جوانب الميناء كانت هناك حركة سريعة وصاخبة حول سنبوق المتوكل، فالكل يعمل بهمة ونشاط لرفع ما بقي من أمتعة المسافرين، يحثهم على الإسراع صوت جهوري، إنه صوت الربان (١) سويلم، ربان المتوكل المخضرم يجب الانطلاق قبل أن يدهمهم الوقت، ولم يمض وقت طويل حتى أصبح كل شيء جاهزاً جال الربان سويلم بنظره على



أخذ مرزوق وهو أحد العبرية يتحسس صرة النقود التي اقترضها من أحد أقاربه ليفتح بها محلاً لبيع الفحم (الصخر) في ممباسا؛ فقد علم أن أغلب المهاجرين من بلدته يشتغلون في هذه المهنة، وهي تدر عليهم مالاً وفيراً.. وحدث نفسه لم لا يفتح لنفسه محلاً مثلهم؟! شجعه على ذلك ابن خاله الذي يملك محلاً هناك، والذي وعده بمساعدته عند وصوله، وحثه على القدوم في أقرب فرصة تسمح له، وطلب منه إحضار مبلغ معين من المال، حدده له حتى يستطيع فتح محله الخاص، أعاد تحسس الصرة وهو يرسم أحلامه بالعيش الرغيد، وإعالة أسرته التي أنهكها الفقر والمرض، كما لم ينس نفسه وتحقيق حلمه بالزواج من مزنة التي عشقها منذ الصبا، وحاول الزواج منها لكن ضيق ذات اليد حال دون ذلك، أخذ يتحسس صرته ليطمئن عليها كلما أخذته انتباهة نتيجة حركة السنبوق واضطرابه، أو إذا عسفاً^(٥) بهم وبـ^(٦) من الوبال التي يشتهر بها هذا الجزء من المحيط. في الجانب الآخر من السنبوق قام الشيخ يصلي صلاة التهجد ويدعو الله ويبتهل إليه مخلصاً لحيته الكثة بالدموع، وكلما انتبه الريان سويلم من نومه وجده على حالته تلك.

تذكر الريان سويلم ذلك اليوم البعيد عندما أرسله أهله إلى الشيخ في المدينة بعد أن فقد عمه يسلم، الذي تم وضعه في الدهان^(٧) والصوان^(٨) عندما كبر في السن وذهب بعض عقله، ولكنه انفلت في غفلة منهم، وهام في الأرض دون أن يعثروا عليه، بحثوا عنه في كل مكان

ولما ينسوا من العثور عليه أرسلوا سويلم إلى المدينة ليسأل الشيخ عنه، وصل عنده مع العشاء وأخبره بالذي جرى سألته:

- هل الرجل عمك؟

أجابه:

- نعم.

أخبره أنه لا يعلم الغيب، وأن الغيب يعلمه الله، وأن كل شيء بمشيئته وحده، ولكن سويلم أصر على المبيت عنده، وقال له:

-إني ضيفك الليلة.

قدم له بعض الطعام والشراب ولحافاً ينام عليه ثم تركه لينام، وعندما توهّم نوم سويلم قام ليصلي ويتهدج بينما هو لم يكن نائماً بل كان يتظاهر بذلك حتى طلع الفجر فأيقظه للصلاة، ثم قال له:

- عمك في رحمة الله وبأ تحمله في رحبة واسعة عندها جرف عليه شجرة أراك.

استرجع سويلم، ثم ودع الشيخ، وانطلق إلى سوق المدينة، وركب أول سيارة إلى قريته، ووصلها قريب المغرب لبعده المسافة ووعورة الطريق ومشقتها، وجد الناس راجعين من جنازة، ولما اقتربوا منه أخذوا يصافحونه ويعظمون له الأجر في عمه، انتحى بأحدهم جانباً وسأله:

-أين وجدوا عمي؟

- وجدوه في الرحبة قرب القارة.

- هل عند الجرف الذي به شجرة أراك؟ أجابه الرجل في دهشة:

-نعم.. من أخبرك ذلك.

فلم يجبه بل أخذ يتمتم:

- لقد صدق الشيخ.

ومع بزوغ فجر يوم جديد على المتوكل،

استيقظ الجميع لأداء صلاة الفجر، فأخذ البحرية يزاولون عملهم المعتاد في تجهيز الشباك والحبال والمنازل^(٩) لصيد أسماك القرش والطرنيك الأكثر طلباً في أسواق ممباسا. أما العبرية فكان عليهم الاستيقاظ لإخلاء السطحة للبحرية ليتحركوا عليها بسلاسة.

تأخر مرزوق في الاستيقاظ كعادته حتى لكزه أحد البحرية فاستيقظ فزعاً يتصبب عرقاً وكأن كابوساً كان يجثم على صدره، وأول شيء فعله هو التحسس على صرته.. أخذ يتحسس موضعها وكانت المفاجأة صادمة لقد اختفت صرة النقود.. أخذ يبحث عنها في ثنانيا ثياباً وفي موضع رقوده ولكن لا أثر لها، فأظلمت الدنيا في وجهه، وتبددت أحلامه، أخذ يصيح بأعلى صوته، تجمع حوله البحرية والعبرية حاولوا التخفيف عنه ولكن نحيبه أخذ في الارتفاع، صعبه أحد البحرية إلى الريان، وقص عليه قصته، أخذ الريان يهدئ من روعه، ويعده بالبحث عن ماله سألته:

- كم معك من المال في تلك الصرة؟

- لقد كانت معي مائة روبية.

- لا عليك سنجدها بإذن الله.

وقف الريان سويلم في مكان مرتفع ونادى البحرية بالتجمع وتجميع العبرية وأخذ يحدثهم:

-لقد سرق مبلغ من المال على الراكب مرزوق، وأي شخص أخذ هذا المال عليه إرجاعه حالاً وسوف نعفو عنه، وإن لم يفعل ذلك فسوف نعرفه عاجلاً أو آجلاً، وسوف يلقي العقوبة الرادعة له، وإني أمهله إلى الظهر لتسليم المال، وليأتي إليّ في كابينة القيادة لإرجاع المال، ولن نكشف أمره.



حصلت لابننا مرزوق -وأشار الربان إلى مرزوق وهو يقف مرتبكاً بجانب تل(١٢) السنبوق-.

قال الشيخ في هدوء:

- نعم انتبّهت للضجة، وسمعتك تكلم البحرية بذلك.

قال الربان:

- ليش ما جئت لعندنا.

- أنا مشغول عنكم.

قال الربان معاتباً:

- نازعلان منك، كنت متوقفاً منك توقف بجنبي وتساعدني، والآن نا محتاج لك ولازم بغيتك(١٣) تساعدنا في معرفة السارق.

أخذ الشيخ يتمتم بكلام غير مفهوم وهو يحرك مسبحته فتنساب حباتها بسلاسة من بين أصابعه محدثة صريراً كلما اصطدمت إحداها بالأخرى.

أخذ الربان يتوسل إليه ويستعطفه لمساعدته في كشف السارق في ظل ذهول ودهشة الصرنجي. وبعد إلحاح الربان سويلم نهض الشيخ متوكئاً على عصاه. وهنا طلب الربان من الصرنجي أن ينزل الشارع ويكتفي بالقلمي(١٤)، وأن يجمع البحرية والركاب، ويعرضهم على الشيخ لمعرفة السارق.

نقذ الصرنجي أوامر الربان رغم عدم اقتناعه بما يحدث أمامه، مستغرباً من تصرفه ذلك، لكنه نادى بصوت عال على البحرية بإنزال الشارع والاكتفاء بالقلمي وبالجمع على سطح السنبوق.

أخذ المتوكل يتهدى بهدوء مع هبات النسيم العلية، والشمس ترسل أشعتها بعنف على وجوه ركابه الذين اصطفوا أمام الشيخ والربان في توجس.

فجأة لمح مرزوق الصرنجي وهو يدخل الكابينة مسرعاً فاستبشر خيراً، وقال في نفسه: ربما فعلها الصرنجي، وأتى لتسليم المال قبل انتهاء المدة.

لكن الصرنجي دخل في مهمة أخرى، لقد تذكر الشيخ القابع في زاوية السنبوق، والذي لم يطلبه الربان ولم يحقق معه.

- عم سويلم -هكذا تعود الصرنجي مناداة الربان- لقد نسينا شخصاً مهماً، ولم نحقق معه، وأنا متأكد أنه هو من فعلها.

هنا فغر الربان سويلم فاه وقال في دهشة:

- من هو وليش(١٥) ما أخبرتني به من البداية.

قال الصرنجي في اندفاع:

-لقد نسيناه، ولكني متأكد أنه هو من فعلها، وأنا أخبرتك ألا تجعله يطلع معنا في السنبوق، ولكنك ما سمعت كلامي إنه ذلك الشيخ.

تهلل وجه الربان بالبشر، وهو يقول:

- نعم نسيناه، وربما عنده مفتاح الحل.

- بغيتنا نظرب(١٦) عليه.

- لا. نا وإياك با نروح عنده.

- ليش نروح عنده نا بسحبه قداك هنا إلى الكابينة.

- لا. انتّه تبعنا ولا عليك من الباقي.

تعجب الصرنجي من فعل الربان، ولكن لم يكن أمامه إلا متابعتها، خرج الربان من الكابينة يتبعه الصرنجي، وتشجعهم عيون مرزوق وبقية ركاب السنبوق.

وقف الربان أمام الشيخ الكبير، وهو يقول:

- يا شيخنا أما سمعت بالسرقة التي

ثم دلف الربان إلى الكابينة ووجهه يعلوه التجهم، فهذه المرة الأولى التي تحصل سرقة خلال قيادته رغم أن له أكثر من عشرين عاماً رباناً للمتوكل، وقد جاب البحار شرقاً وغرباً، وحمل العديد من الأشخاص، وعمل معه العديد من البحرية، قد تحصل بعض المشادات والصياح وحتى الضرب بين الركاب أو البحرية، ولكنه يتدخل لحلها بحزم وشدة حتى أصبح حزمه معروفاً لدى كل من عمل أو سافر معه، ولكن لم يحصل أن حدثت سرقة في أي من رحلاته الكثيرة.

طلب من الصرنجي أن ينادي على البحرية أولاً الواحد تلو الآخر، وأخذ يسألهم عن السرقة، وأين باتوا؟ وكيف قضوا ليلتهم؟ وهل رأى أحدهم حركة غير طبيعية؟ أو غير ذلك؟ فأنكروا علاقتهم بالسرقة، وحدّثه كل منهم عن ليلته، وكيف قضاها.

ثم جعل الصرنجي ينادي على العبرية، وفعل معهم مثل ما فعل مع البحرية، وأجاب الجميع بالإقرار، ثم سأل الصرنجي والسكوني فلم يظفر بطائل.

اكتسى وجه الربان سويلم بالتجهم، وعلا وجهه مسحة من حزن خاصة وأن الشمس تهم بالزوال لمغادرة كبد السماء مما يشير إلى انتهاء فترة المهلة التي حددها لمن أخذ المال لتسليمه مقابل العفو عنه، وهو يعلم أن مهمة معرفة السارق مهمة صعبة إن لم يكشف عن نفسه طوعاً.

لم يكن الربان وحده يعلو ملامحه الحزن فهناك مرزوق الذي تبذرت كل أحلامه وآماله، فهو لم يعد يفكر في التجارة والربح، وإنما يفكر كيف سيسدد المبلغ الذي اقترضه؟



طلب الشيخ منهم أن ينقسموا إلى قسمين، ففعلوا ذلك في الحال، فتح الشيخ صرته المتهالكة وأخذ منها أزلماً كانت فيها وضربها، وقال:

- هذا الشق (١٥) ما شي عنده.

ثم ضربها مرة أخرى وأشار إلى الجانب الآخر وقال:

- وهذا الشق ما شي عنده.

ثم طلب من البحرية أن يقفوا في جانب، والعبرية في جانب آخر، ثم ضرب الألام وقال:

- هذا الشق ما شي عنده.

وأشار إلى العبرية.

ثم ضربها مرة أخرى وأشار إلى البحرية وقال:

- وهذا الشق ما شي عنده.

تعجب الربان من ذلك إذا كان البحرية لا شيء عندهم، والعبرية لا شيء عندهم، من الذي أخذ فلوس المسكين مرزوق؟ تقدم الربان إلى الشيخ في تناقل وهو يقول:

- من الذي أخذ الفلوس إذا.. عاد شي كلام ثاني (١٦).

هنا وجد الصرنجي فرصة فقال هازناً:

- ألم أقل لك عم سويلم إن هذا الرجال هو الذي أخذ الفلوس، والآن أنت تطلب منه أن يساعدك في إرجاعها، ها هو الآن يقول: إن كل الركاب لم يأخذوا شيئاً هذا الرجال دج.....

لكن الربان سويلم نهره بقسوة قبل أن يكمل كلامه.

فقال الشيخ:

- صدق صاحبك أنا ما قدر أساعدك وكله بمشيئة الله، فاسمح لي بالعودة إلى مكاني، وعسى الله يفتح على مرزوق بالرزق الحلال.

لكن الربان أخذ يعتذر من الشيخ ويصف الصرنجي بالجهل، وطلب منه مسامحته، وأنه لا يقدر يحل هذه القضية إن لم يساعده وهو يقول:

- إذا ما هو من شاني (١٧) من شأن مرزوق المسكين الذي رسلوه أهله ليعولهم، ويكمل نصف دينه.

هنا تدخل مرزوق وانكب على الشيخ طالباً منه ألا يلتفت إلى كلام الصرنجي، ويعمل كل ما في وسعه لمعرفة الفاعل.

أخذ الشيخ يبعد عنه مرزوق وهو يستغفر ويذكر الله، وفجأة تغير وجه الشيخ، وجحظت عيناه، وشعث شعر لحيته، وأخذ يتصبب عرقاً، ويلهث وكأنه قدم من مكان قصي، وطلب في الحال من الربان إحضار طاسة وموس حلاقة، فأحضرت في الحال فأخذهن وتقدم إلى صدر السنوبق ووضع الطاسة في أقصى الصدر، وربط الموس أمامها بحيث تكون شفرتها للأعلى، وتعمت على الطاسة ببعض الأدعية والابتهالات وعاد إلى الخلف.

تركزت أنظار الركاب على الطاسة، وهم مستغربون مما يصنعه الشيخ، ولكن استغرابهم لم يدم طويلاً إذ لمحوا فأراً يحمل في فمه روبية، ويتجه بها نحو الطاسة فيضعها فيها، ثم يسعى إلى الموس فيضع عنقه عليها ويسقط إلى البحر مضرراً بدمائه، ولم تكدهشة تتملكهم! وقبل أن يفتح أحد منهم فاه بكلمة واحدة إذ أقبل فأر آخر يحمل في فمه روبية أخرى فيضعها في الطاسة، ويتجه إلى الموس فيدق عنقه بها ليهوي إلى البحر ميتاً، وهكذا توالى المشهد فأر تلو فأر،

وروبية تلو روبية حتى امتلأت الطاسة بالروبيات، هنا طلب الشيخ من مرزوق أن يذهب ويأخذ الطاسة ويعد نقوده.. تقدم مرزوق في ارتباك إلى الطاسة وأفرغ الروبيات في حجره، وجلس متهالكا وهو يعدها والبحارة والعبرية متعلقون حوله. أما الصرنجي فإنه اتجه إلى الكابينة ليغلق على نفسه فيها حياء مما صنع مع الشيخ وصوت مرزوق يشجعه وهو يعد الروبيات في نشوة وبصوت مرتفع، ويردد بـ... السنبوق روبية روبيتان ثلاث روبيات...

الهوامش:

(١) الربان: قائد السنوبق.

(٢) الصرنجي: نائب الربان.

(٣) البحرية: طاقم السنوبق.

(٤) السكوني: الذي يقود سكان السنوبق.

(٥) عسف: أن يهوي السنوبق بقوة بعد طلوعه وبل أو موجة.

(٦) الويل: مفرد وبل وهي مثل الأمواج مرتفعة لكن لا تكسر توجد في أعالي البحار.

(٧) الدهان: ما يدهن به وهو من العلاجات الشعبية بمناطق المشقاص.

(٨) الصوان: مكان خاص يكون عادة مظلم يوضع فيه المريض الذي يخضع للدهان.

(٩) المنازل: جمع منزك وهو أداة حادة ترمى بها الأسماك فإذا أصابها يصعب عليها التخلص منها.

(١٠) ليش: لماذا.

(١١) نطرب: ننادي.

(١٢) التل: حافة السنوبق.

(١٣) بغيتك: أريدك.

(١٤) القلمي: شراع صغير يرفع فوق دقل خاص يسمى باسمه.

(١٥) الشق: الجانب أو الجهة.

(١٦) عاد شيء كلام ثاني: هل يوجد كلام آخر.

(١٧) إذا ما هو من شاني: إن لم يكن من أجلي.

ملف العدد

أدب المرأة في حضر موت

سارة العجيلي

إلى تلك الأيادي ... فلتخفف

حنان نجيب

أحبك .. أيها العملاق الأزرق

منى العماري

أه يا رمضان!

مريم بن سمير

هوية الشهيد

وهيبة خالد

تمرّني دائماً..

رهف باحويرث

الاكتئاب

عائشة علي

أعجوبة كلمة

وسيلة أحمد

فنجان





إلى تلك الأيادي ... فلتختف

سارة العجيلي

خلفك الهزال، وعلى قلبك يهطل الكثير من وجع الكلمات،
أما على الأرصفة فيبيع الأطفال أحلامهم وتسدل النساء
نقابهن على الأراضي التي ربما تمطرها يدك السياء بحديدة
خردة مما أعاده لك للتو صاحب المركبة - إن لم يعطك
عوضاً عن الفكة حلوى -، ويرتعد الجوبأكملة لامتداد يد
مجموعة قد فاض بها الزمن .

أيعقل أن يراق المشهد على وجه الأيام بهذه البشاعة،
وبالصورة التي تفيض على كل إطار لتكبره ؟

في تاريخ كل هذه الأيادي أسابيع ويكون العيد، ولن يكون
العيد أكبر من العافية - إن كانوا بعافية أصلاً - والإجماع
على جمال كل ثوب يمرق من أمامهم، وكل حلوى لم تصل
إلى أفواههم، وكل كبش لم يصلهم إلا صوته .

في مكان آخر وفي ذات التوقيت سيكون العيد حقاً، لكن
الأعياد لا تصل كل الأيادي .

ليت لي كل عيد لأهديه كل يد، إنني أتمنى حقاً أن أملك
علبة أحلام حقيقية أرش محتواها على الجميع حتى تختفي
تلك الأيادي تماماً وتقوم كل الأحلام من المنام .

ما زلت أرتق وأوسع ثوب الحلم بالقطع الملونة ما
استطعت، فكل الأيادي التي صادفتها باتت تنهش هذا
البقاء مني لتجبرني على إعادة الحلم بصورة أكبر وبفضاء بلا
إطار ليحتضن كل الأيادي بكافة أحجامها وألوانها حتى
تختفي تماماً؛ أحلم بصورة بلا أيادٍ وكوابيس بلا ملاحقة،
وطريق بلا أحلام ضائعة، وأنا بلا انكسار أو وجع نائر .

الفقر في هذه المدينة لا ينجل، إنه وبكل بساطة يفرش
أيادي المتسولين في كل مكان؛ في الأزقة المظلمة كما في
الشوارع العامة التي تتراشق الأضواء فيها وتنحشر
المركبات بأبواقها لتفضح السكون .

في كل مكان تمره هنا لا بد أن تلاحقك الأيادي ويهرول



أحبك .. أيها العملاق الأزرق

حنان نجيب

- وعندما أكون مثقلة بالهموم أنت من تغسل همومي.
- كم أحبك كثيراً، لكن أهلي والناس لن يفهموا ذلك.
- وسيلفقون حولنا الشبهات، وسيحدث عن قصتنا القاصي والداني، وإني لأعلم بأنك تبادلني المشاعر نفسها.
- وإني إن وهبت نفسي لك، كما وهبت القبيلة البدائية الفتاة للغوريلا العملاق كينق كونق في الفيلم الشهير، فإنك ستعلق بي كثيراً، لكن سيمتدني أهلي منك، وأنت ستثور وتصعد لأعلى قمة جبل المكلا لتبحث عني، مثلما صعد الغوريلا فوق البناية الضخمة، وسوف يحاربك الجميع.
- لذا علينا أن لا نتهور، وعلينا أن نبقي أصدقاء فقط دون أن يعلم أحد بصداقتنا.
- فكم أنا محتاجة إلى يد صديق.
تبدأ قطرات المطر بالتساقط مؤذنة بهيجان العملاق.
فتجري الفتاة عائدة إلى منزلها. وتطرق باب منزلهم وتفتح أمها الباب.
- أين ذهبت يا ابنتي في هذا الجو.
- ذهبت للبحر يا أمي.

يتحدثن عن أن العملاق سيثور، ويحطم كل شيء يعترضه، وفي المدرسة كانت تسمع زميلاتها يتحدثن عن هيجان العملاق.
غضبت كثيراً، ولسان حالها يقول: لا عملاقي طيب جداً، ومستحيل أن يفعل شيئاً مما تقولون.
رجعت إلى المنزل، ودخلت غرفتها وبكت كثيراً، نادتها والدتها لتناول وجبة الغداء.
- تعالي يا ابنتي كلي لك لقمة.
- لا يا أمي مالي نفس.
- ليش فزعانة من العملاق عشانه الليلة بيثور؟
- لا، لكن مالي نفس.
ومع إصرار والدتها تذهب لتأكل، ثم ترجع إلى سريرها وتنام، وفي تمام الساعة الرابعة استيقظت من نومها وصلت صلاة العصر، ثم ارتدت ملابس الخروج، وخرجت لتقابل العملاق.
وعندما وصلت إليه، صافحته برجليها أولاً ثم يديها، وأخبرته بكل ما تكن له من مشاعر.
- أيها العملاق إني أحبك كثيراً.
- إني أشعر معك بألفة غامرة.
- وعندما أنظر إليك أشعر بسعادة.

منذ أن سقط رأسها على هذه الدنيا في مستشفى الأمومة والطفولة أو (بأشراحيل)، كما يطلق عليه سكان المكلا، وناولت القابلة الطفلة المولودة لأبيها لكي يكبر في أذنيها، فمع تكبيرات والدتها كانت هذه الطفلة تسمع صوت ذلك العملاق، وكانت تشم رائحته، التي تغلغلت في رثتها، وجرت في عروقها.
أخذوها إلى بيتها الموجود أيضاً بالقرب من ذلك العملاق، كبرت الطفلة، ومع الأيام تعلقت به كثيراً، وصارت تسترق النظر إليه كلما سنحت لها الفرصة، وفي المدرسة كم كانت تسرح في التفكير فيه، وفي الليل عندما تضع رأسها على الوسادة، قبل أن تغرق في النوم كانت كل ليلة تفكر فيه.
ومع موسم نجم البلدة في الصيف حين تصبح الأجواء باردة وتزداد الرطوبة، تتركز رائحة ذلك العملاق، مما يجعل الفتاة تستنشقها بشغف وتنتشي.
أحبته بكل درجات الحب: التيم، الصباية، الشغف، الهوى، الوله، الوداد... إلخ.
في يوم من الأيام أثبتت حول العملاق البلايل، وقيل إنه سيثور ويهيج ويحطم كل بيوت مدينتها المكلا.
جئن نسوة إلى منزلهم لزيارة والدتها، وكن



آه يا رمضان!

منى عمر عوض العماري

مالي لا أشعر هكذا أبداً. لم يعد الحاضر الذي أريده أن يكون رائعاً، ولا المستقبل الذي أردت أن أبنيه شيئاً يسعدني، ولا شيئاً أتوق إليه، وبقيت عالقة في الماضي ما بين أنا وذكرياتي، حتى أنني أحاول فقد الجميع قبل أن يرحلوا؛ كي لا يأتي مثل هذا الألم ثانية.

أبي وإن ينسك الجميع لا تنسك ابنتك البكر أبداً، ولا تنسى الدعاء لك والعيش معك في داخلها حيث لا يوجد سواك. لا تنسى أن تذكرك في كل شيء، وأن تحزن والناس تضحك لأنك لست بينهم. ابنتك تلك لا تريد حتى أن تكمل الماجستير كي لا يأتي يوم مناقشة الرسالة ويأتي الجميع ولا تأتي أنت. أنت الذي سجلتها في الماجستير وشجعته لإكمال أحلامها ثم حين يتم لا توجد أنت. يحرقني هذا الرحيل المبكر في حين أردت أن أشاركك الكثير. سأمضي أحمل أحلامك بداخلي؛ لأحقق لك ما كنت تصبو إليه، ثم إذا ما التقينا على ناصية الحلم وأتيت إليك سأحكي لك عن جميع ما حصل.

أبي كن بخير حتى ألقاك. رمضانك بالفردوس يا رب، ورمضاني في ذكرياتك حتى يجتمع الشتيتان وينتهي هذا البين.

تاريخ: ٣٠ / ٤ / ٢٠١٩م

أي بعد مرور ٨ أشهر على رحيل التربوي الأستاذ: عمر عوض العماري.... أبي.

جرينا إليك وجربت كل الوسائل لكي أوقظك ما بين عطر وبصل لعلك فقدت الوعي حتى أنني تمنيت أن تكون في غيبوبة على أن ترحل، ثم أتى الصيدلاني ليعلن بأن يوم الإثنين ١٣ / ٨ / ٢٠١٨م الموافق ٢ / ذي الحجة هو اليوم الذي لا بعده عيد ولا فرح. قيل لي بأن هذا ضعف إيمان، وبأنني أقوم بحرقك كلما بكيت، بل قيل



الأستاذ: عمر عوض العماري

أكثر من ذلك، لذا هربت من الجميع ولم أكثر، وانزويت بكون ذكرياتك، ثم إذا ما واجهت هذه الحياة أدور في فراغ كائن جريح، لا يعلم كيف يطبب هذا الجرح! لم يعد لي من نفسي غير بقايا رقيقة متماسكة بركاكة تكاد تتساقط جميعها لولا الأمل بلقاء يوماً قريباً. لم يعد أي شيء يغريني، ولم أعد أعجب بأي شيء في هذه الحياة، حتى أنني أستطيع خسارة كل أحد دون الشعور بأي ألم، ووصلت إلى نقطة أنني أبتسم لمجرد الابتسام لا لفرح، حتى أنني أضحك وتتساءل نفسي

يمر يومي بسين روتين عمل وروتين منزل، لا يكاد يشبع هذه الرغبة العارمة بي أن أبحر في كل الدنيا، وأن يكون كل يوم هو يوم حماس يجري فيه دمى جرياً أشعر به في كل كيان. لكن تلك الرغبات بدت باهتة جداً الآن في ناظري، وتساقطت جميع أحلامي ولا أرى منها غير ما كتبته في مذكراتي. لم أعد أقوى على حمل الحياة، ولم يعد لي رغبة في أن أستمر، ولولا تلك الطبيعة الساكنة في أن أعمل أي شيء لسقطت في مكان لا قاع له. بقيت عالقة هكذا يا أبي منذ رحيلك لا أنا آت إليك لأكتمل ولا أنت تأتي لتملأ هذا الكون الفارغ لولا ذكرياتك فيه. والعجيب أن رمضاني الذي أنتظره بلهفة لم أعد أريده أن يعود، ولا أريد هذه الأيام أن تمضي يا أبي وأنت غير موجود. يشن هذا القلب المكلم لفقدك كل يوم ولا أراني إلا وقد تساقطت دموعي واسودت أيامي، وتكالبت علي نفسي حتى وقعت. أنا وإن كنت لا أراك بعيني أراك بداخلي في كل شيء. أراك في جدران البيت وفي الشارع، أراك في كل رجل له شعر أبيض مطعم بأسود، وأراك في كل من مر يحمل ابتسامة دافئة مثل تلك التي لك، وحتى أنني أراك في كل المواقف الصغيرة، ثم أنطوي على نفسي لأبكىك شوقاً لا ينتهي، وأحرق لفقدك ناراً لا تنطفئ منذ تلك اللحظة التي وجدتك أُمي بها لا ترد فأتنتي تجري قائلة: مَنى أبوك ما يرد علي



111

العدد (12)

إبريل

يونيو

2019م

أجراسُ رجسها نسياني
صلواتُ وفاؤها أن تؤنسي،
أنا مشتاق لصوت السلام

أحدث السلام؟!!

أزال الاستسلام؟!!

أنا مشتاقٌ لأذان يحرق أفواه الوهم، وإذا
ما كان بكاء أهلي وحزن حارتي أنار
شيئاً من الظلام

ما زلت لا أعلم لم الخوف يمتهن..
ونحن الأحرار .. وجذورنا وزرها ما
تعلق بآخر الزمان

أنا التاريخ .. أعيده وأصير هويته وأمضي..
ولا أهاب ما فقد، أصيره رجوعاً وأملاً..

أنا جرح الحرية لا ألتئم

أيها الباقون دعوا الصراع يحتدم

دعوا الصوتي أن يوقظ تحريراً لنلتئم

هوية الشهيد

مريم بن سمير



شارعٍ يرثني، عما إذا كنت سأبقى مخلداً

أنا ميتٌ وتأتيني الرؤى عن موطني

وعن أغلال الظلام

أنا الطفل والجندي والسجين،

أعلم أنني لن أنسى ولن أفقد، محض

ذاكرة تشعل كل عام،

شهيد الوقت والقتل

ولن أعود إلى درب أمي

ولن أرى الحياة حيةً رغم أعني

أنا سأبقى أترقب الانتصار وربما

التحرير الأعظم

أو أبحث في عيني الوطن عن اسمي، عن

وهيبة خالد



بكاءٌ مُستمر ..

أتعلم أنك كنت كالحرب ..

ألحقت بي كل هذا الدمار والهلاك ..

ثم جعلتني أهربُ بنفسي بشكلٍ مؤذٍ عن أكثر الأشياء التي
رغبتها بشدة ..

حاربتُ الاعتياد وحُبَّ الوجود ..

ونجاهلت قلبي ..

وفي كل مرة تمرني أرددُ سنجاً بعد كرتينا ربيعاً كأننا لم ندق
بالأمس مرّاً

تمرني دائماً ..

عندما تمرني .. لا تمرني كطيف خاطف ..

بل تمرُّ تمرّاً كفيلم بحر كة بطيئة ..

في كل مرة .. يابى أن يكتمل بدون ضجيج ..

هل يحدث معك ما يحدث معي؟!!

ألم يحدث مرورك بي ضجة في قلبك ..

أم أنني كأبي عابر سبيل .. يتعرف إليك جيداً وأنت تتكرُ معرفته ..

اسمي .. هل سمعت له صدى منذ ذلك الوقت؟!!

أم أصبح لديك دفتر خاص بالأسماء ..

كنت أظن أنني لا أشبه أحداً .. مختلف في نظرك .. لكنني أيقنت

بعدك أن نظرية الأربعين شبيهها هي ما كانت عالقة في نظرك ..

شعورٌ موجع .. وانهار داخلي

قلب يتألم .. وانهارك جسد ..



112

العدد (12)

إبريل

يونيو

2019م

الاكتئاب

رهف باحويرث

أعجوبة كلمة



قيل إن الكلمة أوتيت قوة رغم قلة حروفها، لذا من صادق الحديث أن تسمع قصصاً وكأنها أقرب إلى الخيال، وليس في ذلك شيء من التصنع أو التلفيق. في القدم كانوا أكثر حكمةً ونطقاً في التفوه بالكلمات، بل كانوا يعدّون مجالس لا تخلو من ضرب أمثال في هذا وذاك لتعظيم شأن ما أو لأخذ عبرة فيما سلف عن حدث ما. كانت لمجالسهم عظمة لعظم شأن ما كان يُقال، ولأن للكلمة سحراً ما زلنا نتوق شوقاً حين يحدثنا كهل أو شيخ عن حديث سمعته في وقت من زمنه كانت فيه للكلمة جبروتها، بل تفوق وزن ذهب كجيل أحد. في وقت أصبحت الساحة تعج بأفواه تنطق بما لا يخفى عليك خافية، تيقن أن كلمة بلغت مبلغاً تكاد تكون فيه إما تحيي العظام وهي رميم وإما أن ترديك متأثراً بجراحاتك.

يوجد سؤال عالق في ذهني هل تريد أن تسألني ما هو؟ نعم نعم سأجيبك هل مررت يوماً بالكآبة!!! هل أحسست بأنك مكتئب وتريد العزلة؟ من منّا لم يحس بكل هذا!!!! أنه واقع نتعيش معه لطالما سيطر علينا وانقض على قلوبنا بسبب الانعطافات المفاجئة في حياتنا. لا بأس لا تيأس فهو أمر طبيعي فقد أخبرنا الله بذلك منذ زمن طويل لذا يجب عليك أن تتقبل أن الإنسان خلق ضعيفاً وأنت لست قوياً طول الوقت ستندب حظك عدة مرات وتتفاجأ بالعقبات وسيكسو الحزن وجهك وتقول لماذا حظي هكذا...؟ لا عمل ولا شهرة ولا منصب ولا علاقات جديدة حتى الحياة باتت كثيفة. ستمر بكآبة حادة وستبكي إلى أن تستريح وتستعد لبناء نفسك لأنك شخصاً من فولاذ وعزيمتك ليست ضعيفة ستكرر كل يوم أنني الأفضل وسيمر كل مر لا للكآبة ولا للعزلة بعد الآن انهض وتقدم إلى الأمام.





113

العدد (12)
إبريل
يونيو
2019م



فنجاني

وسيلة أحر

أوشكت قهوتي
أن تغادر الفنجاني
بدأت في التضائل
شيئاً فشيئاً
ببرود شديد
..
وطعمها المر
بدأ في التسلل بعيداً
وكأنها تُودعني
ببعض القبلات المتناثرة
على شفتي
..
لأول مرة
أشعرُ بهكذا وداع
وكأنه أبدي
وكأننا لن نلتقي مجدداً
وكأنها تُشعرني
بقبلة الوداع لفنجاني
وكأنها تُحدثني سرّاً
بأنها آخر مرة
سيكون الفنجاني بين يدي
..
ما علتي
ما علة فنجاني قهوتي
وكأننا أول مرة أنظرُ إليه وأستلذُّ به

..
لنهندي
..
كطفل .. يحاول خلسة أن يتسلل من بين
يدي
أعيشهُ مع كل رشفة
وأعيشُ به
..
فنجاني
حدثني
مالي أراك تفيضُ بالحُب
وكأنك صبيٌّ مغرم
..
ساد السكونُ
فنجاني
غادرته حبيبته
وتسللت في فمي
لم يعد فيك الآن
إلا بقايا ..
وها أنت الآن تُغادرُ يدي
وتستقر براحة يديها
لتقرأ .. أنت
وتقرأني
ويُفصحُ سرُّنا
ذاك الذي ساق كليتنا
على نفس الدرب

لنهندي
..
تنهدت قارئتك
فجأةً
فسال دمعُ عيني وبلبل محجري
قالت .. بصوت شبه خافتٍ
سأبكي عليك
سأبكي عليه
سأبكي على ما فات في العمر وما
سينقضي
..
ساد السكونُ
وكأن الزمان توقفَ
وسمعتُ صوتاً من بعيدٍ أتياً
ما بال فنجانيك اليوم لا يكادُ ينتهي
..
عذراً إليك
فإنني
رأيتُ حلماً مزعجاً
رأيتُ أن سعادتي إذا ما قرأتُ فنجاني
ستنتهي
عذراً إليك
فإنني
ما عدتُ رغبةً أن يُغادر الفنجاني يدي



رزق جالس

يحلم الناس في كل المجتمعات البشرية —بـالجاه، والمناصب، والمال والمكانة الاجتماعية العليا، ويسعون إلى الوصول إليها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، ولكن هذا الحلم الجمعي يمضي بالسنن الكونية التي تتوزع بموجبها الأزواق المكتوبة عند الرزاق، ولا يخلو مجتمع إنساني من تمايز ودرجات اجتماعية ترتفع أو تهبط في السلم الاجتماعي لاعتبارات غالباً خارجة عن إرادتهم لكنها محكومة بعناصر كثيرة متحركة بتحريك حركة التاريخ، وتنوع المجتمعات واقتصادياتها، واختلاف قيم المجتمع وأعرافه، وعاداته، وثقافته.

وفي حضرموت عزز من النظام التراتبي عاملان هما النسب والوظيفة الاجتماعية، ولهذا انقسم المجتمع على ثلاث مجموعات رئيسية لها تفرعاتها وتراتبها الداخلي. المرتبة الأولى العليا وهم فئة السادة والمشايخ، واحتل رجال القبائل المرتبة الثانية، أما المرتبة الثالثة فهم الحضر (المساكين والضعفاء) بحسب الوصف المحلي.

وبين حاجة المجتمع لتنوع الوظيفة الاجتماعية وتبادل الأدوار لتحقيق المنفعة العامة، وتبادل المصالح والأزواق (كرهاً أو طوعاً) وبين ثبات التراتب الاجتماعي عبر مسافات التاريخ كان للميثولوجيا كلمتها في المتخيل الشعبي الذي أرجع أسباب الانقسام الاجتماعي وحظوظ الناس في الرزق إلى حكاية موغلة في القدم عندما تسابق ثلاثة من أجداد الحضارة للوصول إلى نهاية متفق عليها تحدد بموجبها مصير كل منهم، ومصير أحفاده، وبحسب السباق والتنافس يكون نصيب الواصل الأول (كتاباً)، ونصيب الثاني (سيفاً)، والثالث (مسحاة)، وهذه ترمز إلى العلم والقوة والعمل، فالذي وصل الأول هو جد المجموعة الأولى الذي يمثلها السادة والمشايخ، والثاني صاحب السيف صار جد القبائل، أما نصيب الثالث فهو المسحاة

(من أدوات الفلاحة)، وهي علامة على فئة العمال (الضعفاء والمساكين)، وكما حدد هذا التسابق الأسطوري المكانة الاجتماعية فإنه حدد طريقة الحصول على الحاجات الضرورية للإنسان (الرزق).

وجعلت هذه الأسطورة الساخرة من هذا التمايز كأنه قدر غير قابل للتحريك، وعزز من ذلك صرامة الزواج الأفقي فتعالى الناس بعضهم على بعض، وكل يرى فنته من زاويته الأفضل والأعز، ولله في خلقه شؤون. وإذا أسهم أصحاب (الكتاب) في خلق نوع من التوازن المجتمعي بضبط حركة السيوف (عمل القوة)، وتخفيف معاناة المساحي (قوة العمل)، فإن (الكتب) ينالها أحياناً نصيبها من أذى السيوف عندما تنفلت من أغمارها لأسباب معظمها اقتصادية.

وخارج لعبة الاحتكاك فإن الغالب على المجتمعات تكاملية المصالح بين الحواضر والأرياف من خلال تعدد الوظائف الاجتماعية، وتقسيم العمل، والنظام التراتبي الذي حافظ على ديمومة بنية المجتمع التقليدية، وساعدت حرية تحرك (الكتب) على ترسيخ قيم ثقافية مشتركة، قبلها الناس وصارت عنواناً لهم، وعلامة دالة على كتلة مجتمعية بحدود جغرافية محددة. أما عن الكيفية العامة في الحصول على الرزق فكان الجميع -بنسب متفاوتة- يسعى ويشقى.

وفي مرحلة حضرموت الحديثة ظهرت فئة الموظفين المدنيين من كتبة ومدرسين وإداريين، هؤلاء صار (رزقهم) يصلهم نهاية كل شهر بمبلغ معلوم، ومن هنا جاءت المقولة المشهورة: (ما تسهل رزق جالس إلا لأهل الكتب والمدارس)، ولا شك أنها ليست موغلة في القدم فهي مرتبطة بالمدارس ومخرجاتها، وهو أمر شهدته حضرموت بصورة لافتة منذ بدايات النصف الأخير من القرن العشرين، ولمعانة العمل المهني

والحرفي الذي يعتمد الجهد العضلي نُظر للموظف الجالس على كرسي في مكتبه في الظل أو تحت المروحة الكهربائية بعين الاندهاش، والغبطة، وربما الحسد.

وفي مراحل لاحقة أصبحت الوظيفة المكتبية (رزق جالس) الهدف الأسمى الذي جعل القلوب تهفو إليها (وخليك مع المضمون)، وعزز من ذلك قول إخواننا المصريين: "إن فاتك الميري تمرغ بترابه". وهكذا تغيرت لعبة التسابق من حيث الشروط والآليات والغايات وصار التنافس على كرسي الوظيفة الحكومية هو السائد، ومن جلس عليه يناله نوع من الوقار، ويصير رزقه مضموناً، وبهذا اهتزت بعض دلالات الميثولوجيا القديمة في الوجدان الجمعي، وبرزت أساطير جديدة عند حفدة أجداد الحضارة تطلعون بموجبها إلى حياة الخمول، وتنكروا لخيرات بلادهم، وبحثوا عن أرزاقهم في بلاد الناس، وهذه التحولات ظهرت في وقت كانت فيه الدول المتطورة والشعوب الحية تعلي من قيمة التفكير المبدع والعمل المنتج سواء كان فيه الإنسان جالساً أو قائماً، وعلى نقیض من ذلك أدمن العرب على ثقافة الجلوس في الكراسي لغرض النسيمة على بعضهم البعض، وتمترسوا وراء أساطير التاريخ، وغابت النوايا الصادقة، وتعالى بعضهم على بعض حد التكبر، ولهذا توارثوا كراسي لا بركة فيها ولا رزق.



أ. د. عبدالله سعيد بن جَسَّار الجعدي

لوحة للفنانة التشكيلية
عبير الحضرمي



المؤتمر العلمي الرابع

(التاريخ والمؤرخون الحضارمة)

في القرن الثالث عشر الهجري- التاسع عشر الميلادي)

(18- 19 ديسمبر 2019م)

التمهيد:

- الرحلات والزيارات العلمية.
- رابعاً: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية:
- النشاط الاقتصادي.
- التركيب الاجتماعي.
- العادات والتقاليد.

شروط المشاركة:

- أن يكون موضوع البحث مطابقاً لمحاور المؤتمر.
- أن يمتاز البحث بالأصالة وسلامة المنهج العلمي.
- أن يمتاز البحث بخلصة مبتكرة تدل على الغاية المرجوة من البحث.
- ألا يكون البحث قد سبق نشره أو قدم للنشر في مجلة أو قدم لمشاركة في مؤتمر آخر.
- ألا يقل عدد صفحات البحث عن 20 صفحة أو لا يتجاوز 50 صفحة.
- أن يرتقي البحث بلغته العربية من حيث الأسلوب وقواعد النحو.
- أن يكتب البحث بخط حجمه 16 وحجم خط الهامش 14 ونوع الخط: Simplified Arabic.
- ترسل جميع المراسلات الخاصة بالمؤتمر عبر البريد الإلكتروني:

hadcenter1@gmail.com

- ترسل الأبحاث كاملة مع ملخصاتها بصيغة word وبصيغة pdf مشفوعة بالسيرة الذاتية ومذيلة بعنوان الباحث ورقم هاتفه وبريده الإلكتروني في موعد أقصاه 15 نوفمبر 2019م.
- الإشعار بقبول البحث أو رفضه من قبل اللجنة العلمية للمؤتمر سيتم في 5 ديسمبر 2019م.
- يتكفل المركز بتكاليف الإقامة والإعاشة والمواصلات الداخلية مدة أيام المؤتمر.

حفل القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) بأحداث تاريخية على درجة قصوى من الأهمية؛ ففيه سقطت إمارات ودويلات وقامت أخرى جديدة، وشهد أيضاً بدايات التدخل البريطاني والعثماني في حضرموت، ولأن الدراسات التاريخية تسهم في تعزيز الهوية وتساعد على تشكيل الوعي الاجتماعي، فإن مركز (حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر) وضع ضمن خطته العلمية عقد مؤتمر سنوي يخصص لدراسة قرن من الزمان بهدف تسليط الأضواء على هذا التاريخ المجيد ومحاولة كشف أسرار وأبعاده الحضارية لفتح آفاق جديدة للدرس التاريخي الرصين.

أهداف المؤتمر:

- 1- إبراز دور الحضارمة في حركة التاريخ الحضاري العربي الإسلامي.
- 2- رصد معطيات تاريخ حضرموت وتوثيقه.
- 3- إفساح المجال للباحثين في مجال الدراسات التاريخية.
- 4- شيوع الثقافة التاريخية في المجتمع.

محاور المؤتمر:

أولاً: حضرموت في الكتابات التاريخية.

- كتب التاريخ والحوليات.
- كتب التصوف.
- كتب الفقه والفتاوى.
- المكاتبات والمراسلات.

ثانياً: التطورات السياسية في حضرموت:

- قيام الإمارات والسلطنات والمشيكات.
- بدايات التدخل الأجنبي في حضرموت.

ثالثاً: الحياة العلمية والثقافية:

- المراكز والمؤسسات العلمية.
- الإنتاج العلمي.

للاستفسار زيارة موقعنا:

-  Hadramout.center
-  Hadramout.center
-  hadcenter1@gmail.com
-  www.hadramout.center